الكشف اليسير

مما جاء في كتب السير والتفسير
دراسة استشرافية تحليلية إحصائية

لمفردات القران الكريم

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٤/ /)

.

،

/ . _ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٤.

() ص

ر.أ: (٢٠١٤/ /).

الواصفات:////

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

Ajarrar٩٩٩@yahoo.com
خلوي ٧١٢ ٨٨ ٩٩ ٧٧ ٩٦٢ +

الثلاثاء - غرة جمادى الاولى - ١٤٣٤
الموافق١٢ - آذار -٢٠١٣
تم تنقيح ومراجعة ١٥ / ٩ / ٢٠١٣ م



دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail : daralmamoun2005@hotmail.com

الكشف اليسير

مما جاء في كتب السير والتفسير
دراسة استشرافية تحليلية إحصائية

لمفردات القران الكريم

المجلد الأول

تأليف

أبو الوسيم علي بن خيري آل جرار



دار المأمون للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى روح من غرسا في قلبي حب الله وحب رسوله

إلى من حبواني بالعطف والرعاية والرحمة

حين لم يكن لي حول ولا قوة

إلى روح والدي ووالدتي

إلى التي ساعدتني وايدتني وصبرت علي

لما انشغلت في اعداد الكتاب

إلى الرفيقة والصديقة والسكن

إلى زوجتي

إلى الزهور العطرة اليانعة في حياتي

ابناي وابنتي

أهدي كتابي...

مع الحب والتقدير

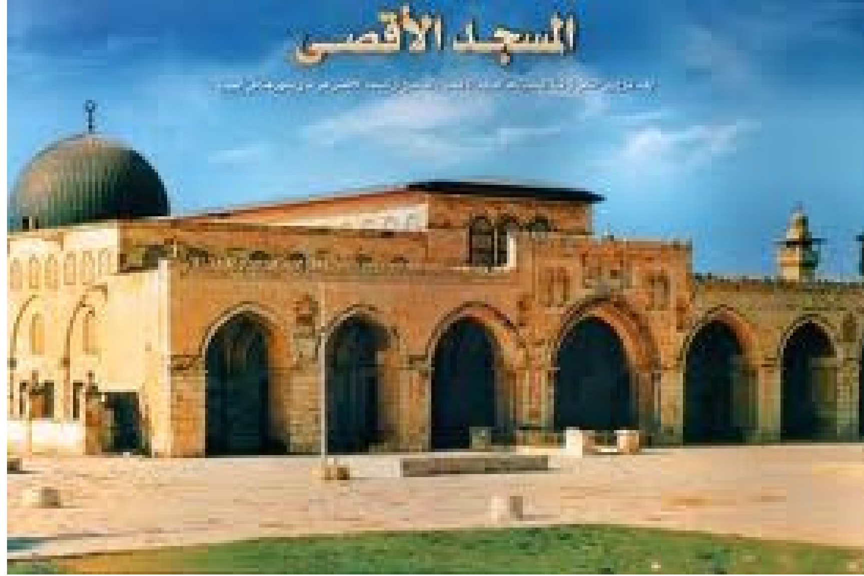
أبو الوسيم علي بن خيري جرار



الكعبة المشرفة تتوسط صحن المسجد الحرام في مكة المكرمة شرفها الله وأدام عزها



القبة الخضراء تعلو حجرة السيدة عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها حيث ضريح رسول الله ﷺ في المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة حفظها الله ورعاها



المسجد الاقصى المبارك في بيت المقدس (القدس الشريف) نصره الله وفك أسره



مسجد قبة الصخرة المشرفة في بيت المقدس (القدس الشريف)

الباب الأول

الإيمان في القران الكريم

المقدمة

الحمد لله الذي لا اله غيره كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه من الحمد والثناء والتسبيح، واشهد أن لا اله إلا الله، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، واشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، أدى الأمانة وبلغ الرسالة وترك الأمة على المحجة البيضاء، بلغ فأتم البلاغ، ونصح وارشد فأحسن النصح والإرشاد، جزاه الله خير ما جزى نبيا عن أمته، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. أما بعد فقد قال سبحانه لرسوله في بدئ أمره: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، فان أول ما جاء في القران الكريم الأمر بالقراءة، والقراءة يلزمها الكتابة أو بمعنى اصح يلزمها مكتوب، والمكتوب لا بد أن يكتب عن علم، والعلم حتى يكون علما وليس سفسطة لا بد أن يرافقه التدبر قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[الأعراف: ٢٠٤] والقراءة يلزمها أمران حتى تؤتي أكلها، يلزمها الإتقان من القارئ، والإنصات من المستمع، فإذا صح الإنصات أدى إلى التدبر، والتدبر يؤدي إلى الفهم، والفهم يؤدي إلى العمل، ومن العمل أن يقوم من علِم بالتعليم، ومن التعليم أن من علم كتب، ليأتي قارئ جديد فيكمل الحلقة، ليكون الجميع ما بين عالم ومتعلم، فإذا صح كل ذلك أدى إلى الطاعة، والطاعة هي امتثال الأمر والعمل بمقتضاه، فان حصل ذلك وصح استوجب الرحمة، والرحمة دلالة على رضاء الرب، ومن نال الرضاء فقد أحرز الفوز والفلاح.

ومن أراد القراءة عليه أن يختار، فان في الكتب الغث والسمين، ولينظر الإنسان ما يقرأ ولم يقرا. فان أراد الله ورسوله والدار الآخرة، فما من كتاب أجدر بالقراءة من كتاب الله، ومن أراد الدنيا ففي الكتب كثير للقراءة. ومن أراد الدنيا

والآخرة معا فليس له إلا كتاب الله، هو اشرف الكتب وأصدقها وانفعها، فان كتاب الله أعظم واجل واكبر من أن يحيط به ويشمل ما فيه، كتاب أو مجلد أو موسوعة، فهو ثروة بكل ما تحوي هذه الكلمة من معان، فيه الشرائع والفرائض والعبادات والأمر والنهي، وفيه القصص والأمثال والعبر، فيه الأخلاق والسلوك وطبائع البشر، وفيه من حقائق العلم وأسراره ما لا يعلمه إلا مبدع الأكوان وفاطرها سبحانه. وعلى كثرة ما كتب على مر العصور عن كتاب الله، من تفاسير وشروح لآياته وقصصه وأحكامه، وهي تعد بالآلاف، إلا أن معينه لا ينضب وخزائنه لا تنفد، وفيه لكل من يسر الله له رجاحة في العقل، وتبصرا في المعاني، واستلهاما للفقه، أقول فيه الكثير مما لا يخلق ولا يبلى. ومن أجمل ما قيل فيه، ما روي عن علي كرم الله وجهه قوله: (أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فتن» قلت: وما المخرج منها، قال: «كتاب الله كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، فهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم ينته الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾، هو الذي من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم»). رواه الدارمي.

وهذا كتابي سميته (الكشف اليسير مما جاء في كتب السير والتفسير). ومما يتضح من اسم الكتاب فإنني قد عمدت إلى دراسة، وتحليل، وإحصاء، ما تيسر لي مما قيل في، وعن، القران العظيم كتاب الله سبحانه الذي انزله على خير خلقه وخاتم رسله، محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وقد عنيت في دراستي بألفاظ القران ومفرداته، وكذلك بالآيات الكريمة، واجتهدت في إحصاء ذلك وتبيانه

وشرحه، مستعينا بقواميس اللغة وكتب التفسير وبعض كتب السير والتاريخ، ومستعينا ومسترشدا بأقوال العلماء والفقهاء، وقبل كل ذلك أخذت من أحاديث رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وأخذت من أقوال صحابته رضوان الله عليهم، ما رأيت أن فيه إثراء للدراسة حيثما لزم ذلك. وهذا الكتاب موجز مختصر ميسر، وهو غيض من فيض من كل ذلك، اعتمدت في مصادري على عدد من كتب التاريخ، والسير، وكتب الحديث، وكلها محوسبة على موقع الإيمان على الشبكة العنكبوتية، وعدد آخر من مواقع المكتبات الاسلامية (الانترنت)، وسبب اخذي بالكتب المحوسبة؛ سهولة الوصول الى المعلومة بما يوفر الوقت والجهد، كذلك اعتمدت بعض مواقع الانترنت التي وجدت فيها ما يفيد الدراسة، كنصوص العهد القديم (التوراة) وغيرها. واعتمدت موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف وهو برواية حفص عن عاصم، ومنه أخذت نسخة القران الكريم المحوسبة، التي أخذت منها الشواهد القرآنية على القصص والموضوعات، وكذلك أخذت منها كتب التفسير المحوسبة. واعتمدت في بعض الكتب على النسخ المطبوعة حسب الحاجة. مع الإشارة إلى المصادر كلما لزم الأمر.

أما ما اعتمدت من كتب التاريخ والسير، فاني أخذه لأبين المصدر، وليس لأني اعتقد صحته على الإطلاق دون غيره من الكتب الأخرى، أو أن هذه الكتب أفضل من غيرها، مع ملاحظة أن في كثير من تلك الكتب؛ اقصد كتب التاريخ والسير، كثير من الإسرائيليات، أو يغلب على بعض متونه الوضع، وتشتم منه رائحة الأسطورة أكثر مما يبدو عليه من الحقيقة، واخص بذلك ما كان قبل عهد رسول الله من القصص والروايات، والدليل على ذلك انك تجد القصة في كتاب ما، فإذا قرأتها في غيره تجد فيها الكثير من الاختلاف أو التناقض، ولذلك لم انقل إلا ما أيده القران الكريم، أو أيدته الأحاديث الشريفة، مع استبعادي لكثير من الروايات التي لم يصح فيها الحديث، أو ضعف الرواة متنها أو سندها، واجتهدت

أن اخذ من الحديث ما كان صحيحا أو مرفوعا، واستثنيت المرسل وما دونه قدر المستطاع. ولقد ذكرت لكل قصة مصدرها الذي وردت فيه، مع تعليق على البعض منها يوضح ما أراه فيها والله اعلم. وأود أن أشير إلى أن إسناد حدث أو قصة إلى المصادر التي ذكرت بعدها، لا يعني أنها لم توجد إلا به، بل قد تكون وجدت في غيره أو أنها موجودة فعلا في غيره، ولكني أخذتها من ذلك المصدر بعينه.

وأما اقتصاري على تلك المصادر بعينها دون غيرها، فليس لأنها اثبت من غيرها أو اصدق أو اصح، فان ما فيها هو ما في غيرها والتي تعد بالعشرات بل بالمئات في كل موضوع، ولكن لان في بعضها زيادات في التفاصيل وفي بعضها إيجاز، فلكي يجبر طويلها قصيرها، مع اعتمادي الاختصار فيما لا لزوم له، وفيما لم تثبت صحته والإجماع عليه، وأود الإشارة إلى أن أرقام الأجزاء وأرقام الصفحات في المراجع والمذكورة في متن الكتاب هي بما يوافق الكتب المحوسبة وليس بما يوافق المطبوع، وعليه فالصفحة في الكتاب المحوسب قد تساوي أكثر من عشرين صفحة من الكتاب المطبوع فلذلك جرى التنويه، كما لا بد من التنويه الى ان كتب الحديث اكثر ثقة من كتب السير والتاريخ، ففي كتب الحديث يحرص المحدث على تبيان درجة الحديث من حيث منزلته، صحيحا كان ام حسنا ام ضعيفا، ام كان موضوعا او مكذوبا، ومن حيث هو مرفوع او مرسل او متفق عليه او هو حديث آحاد وما الى ذلك مما يضعفه او يقويه. بينما المحدث في كتب التاريخ يتقصى الجمع بغض النظر عن صدق من نقل عنه الرواية او كذبه او وضعه، لان اهتمامه منصب على جمع الاخبار وتوثيقها بكل رواياتها، حرصا على امانة النقل. وللتدليل على ذلك اضرب مثلا الامام الطبري رحمه الله، ففي تفسيره المسمى (تفسير الطبري) كان شديد الحرص على التنويه الى ثقة من روى عنهم احاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام، مع بيان منزلة الحديث ودرجته، فهو يفسر كتاب الله، لذلك اعطاه ما يستحق من الحذر والحرص والتيقظ. اما في كتابه المسمى (تاريخ الطبري) فقد

صرح انه ينقل الاخبار كما نقلت اليه دون النظر الى احتمالية الوضع فيها. ففي التاريخ فسحة في السرد والنقل. والحدث ايا كان عندما تتعدد مصادره، فلا بد ان نجد فيه اختلافا يؤدي الى اللبس والغموض وزعزعة حقيقته، فكل راو يروي بما يوافق هواه من حيث نظرته للحدث، وعليه فالأحكام على ما سبق من مجريات التاريخ، تبقى نسبية لا ترقى الى اليقين.

وكل تفسير الآيات الكريمة الواردة كشواهد على الأحداث مأخوذ من التفاسير الخمسة الواردة في المصادر، مجموع بعضها إلى بعض أو متمم بعضها لبعض، اضافة الى عدد من التفاسير لقدامى ومحدثين من المفسرين كلما لزم الامر، وقد تركت في كثير من القصص تفصيلات وجزئيات حرصت على أن لا تخل بالمضمون ولا تعيب الرواية واجتهدت أن أعطي الحدث حقه ما استطعت، وكنت اتبع تلك التجاوزات بقولي (بتصرف) أو (باختصار) للدلالة على اعادة صياغة الحدث او القصة دون التدخل في مجرياتها. وعند الإشارة إلى المصدر كنت أقول أحيانا (التفاسير)، وذلك يعني أن الحدث أو القصة أو تفسير الآية قد ورد في كل التفاسير المعتمدة في الدراسة، وهي: تفسير الطبري، والبغوي، وابن كثير، والسعدي. وغيرها، مع ملاحظة أن ابن كثير يأخذ الكثير عن ابن جرير، وعنده زيادات عليه. كذلك اود الاشارة الى اني كنت اهمل السند في بعض الاحيان للاختصار فاقول مثلا: روى الطبري او روى ابن كثير واترك رجال السند الا الراوي عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، مثال ذلك: **(حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت)** فانني اقول: روى **(البخاري في الصحيح برقم٣) من حديث عائشة أم المؤمنين قالت)** ومن اراد معرفة السند كاملا فليرجع اليه في مصدره.

وفي باب قصص وآيات، عندما ذكرت من نزلت فيهم الآيات، فقد أخذت برأي الجمهور وأشرت إلى بعض من وقع فيهم خلاف، ولم اذكر كل ما نزل فيهم،

بل ذكرت شواهد من ذلك لعدم التطويل، وقد تركت أسماء من نزلت فيهم آيات ووقع فيهم خلاف شديد، أو نسب نزول الآيات لكثيرين، وتركت بعض من كان مشركا ثم اسلم فحسن إسلامه، لان محل ذلك كتب التفسير وكتب السير. وقد غزا رسول الله ﷺ سبعا أو ثمان وعشرين غزاة منها ما كانت سرايا أو بعوث ومنها ما خرج فيه بنفسه. وقد تركت من غزوات وسرايا وبعوث رسول الله ﷺ ما لم يرد ذكره في القران الكريم، ويمكن الرجوع إليه في كتب السير والتاريخ والمغازي لمن أحب ذلك.

ولقد قسمت هذا الجزء من الكتاب وهو المجلد الأول إلى ثلاثة أبواب، هي: باب الإيمان، تحدثت فيه عن الإيمان وأركانه، ثم تحدثت عن الكتب السماوية، ثم عن الرسل عليهم السلام. وفي الباب الثاني تحدثت عن الخلق، وعن الكون والكائنات. ثم في الباب الثالث تحدثت عن القصص في القران الكريم. وقد اتبعت كل باب بمراجعه. وختمت الكتاب بفهارس أبوابه الثلاثة مجتمعة.

واختم بان ما كان صوابا فمن الله وبتوفيقه وفضله، وما كان خطأ أو نسيانا، فمني وهو مردود علي وعلي تبعته، اسأل الله أن يوفقني لما يحب ويرضي. اسأل الله أن يجعل العمل في ميزان حسناتي، وان ينفع بما فيه من قرأه والله من وراء القصد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، واله وصحبه، والتابعين بإحسان إلى يوم الدين. وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى الله الراجي عفوه وثوابه

أبو الوسيم علي بن خيري آل جرار

القسم الأول

الإيمان بالله

وبالملائكة وبالقدر وباليوم الآخر

لما خلق الله سبحانه آدم عليه السلام، جعله في أحسن صورة، وعلى أتم ما أراد سبحانه من الكمال والتمام، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] وجعل من الفطرة السوية أن يؤمن الخلق جميعا من بني آدم بالله، عالمهم وجاهلهم. مؤمنهم وكافرهم، وأشهدهم سبحانه على ذلك واخذ منهم العهد عليه، وشهد عليهم بذلك ليقيم عليهم الحجة يوم الحساب قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. ثم إن الله سبحانه بعد ذلك اشهد الملائكة، والخاصة من خلقه وهم أولوا العلم على ذلك، وأولوا العلم هؤلاء منهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ومنهم الأولياء والصالحون، ومنهم العلماء والفقهاء، قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨] وكذلك العامة البسطاء الذين تمسكوا بالفطرة السوية وان لم يتخصصوا بعلم أو فقه فقد شهدوا على ذلك بفطرتهم.

ولما كان ما كان من أمر إبليس وادم وحواء، حيث أغواهما اللعين فأكلا من الشجرة المنهي عن الأكل منها، أمرهم سبحانه جميعا بالهبوط إلى الأرض، مقام

العمل والكد والابتلاء، واخبرهم أنهم وذرياتهم بعضهم لبعض عدو قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأعراف: ٢٤]. فلما اهبطوا ندم ادم عليه السلام واخذ يبكى على خطيئته ويستغفر الله لذنبه، حتى تغمده الله برحمته فعلمه كلمات دعا الله بهن، فتاب عليه. قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ ﴾ [البقرة: ٣٧]، إلا أن إبليس لم يطلب المغفرة والرحمة، بل طلب النظرة إلى يوم الدين قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [ص: ٧٩] فأجابه سبحانه لما طلب: ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾ [ص: ٨١] واستمر اللعين في صلفه وغروره، فلم يطلب الرحمة ولا المغفرة، وأخذته العزة بالإثم كونه خلق قبل ادم، وكونه يرى نفسه أفضل من ادم حيث خلق من نار، وادم خلق من طين، فاقسم ليغوين بني ادم أجمعين ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٢] ولعلمه أن ذلك ليس بمقدوره استثنى فقال: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٣] فقال سبحانه متوعدا إياه ومن تبعه من الغاوين: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٤ – ٨٥] إي النار موعدك ومصيرك ومصير من قدرت عليه فتبعك من بني ادم، ولها أن تمتلئ من العصاة والمجرمين.

ولما استقر ادم عليه السلام على الأرض التزم شرع الله ومنهاجه وعمل به، فكانت توبته نصوحة فصانها وحافظ عليها، فأرسله الله نبيا ورسولا إلى بنيه فكان عليه السلام أول الرسل. وعمل بنوه بذلك الشرع والتزموه، ولكن إبليس لم يتركهم على حالهم واخذ يوسوس لهم، ويزين لهم الفسوق والمعصية والكفر، حتى

كانت أول خطيئة على الأرض وهي قتل قابيل لهابيل. ثم استمر يزين لهم الرذائل والمعاصي حتى كفروا بالله وأشركوا معه شركاء وطواغيت يعبدونهم، حتى عبدوا الأصنام والأوثان وغيرها من الطواغيت. ولرحمة الله خلقه جعلت رسله إليهم تترى على فترات، ليجددوا لهم الإيمان ويعيدوهم إلى الطريق القويم طريق الله سبحانه. وليبشروهم برحمته وغفرانه، وينذروهم غضبه وسخطه، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٤٨ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [الأنعام: ٤٨ - ٤٩] وكان رأس ما يأتي به الرسل وجماعه وذروة سنامه التوحيد والإسلام. وهو العودة إلى العهد والميثاق الذي أخذه الله على خلقه، فكانت أول دعوة الأنبياء والرسل؛ هي **الإيمان بالله سبحانه**، وكان أول ما يدخل العبد في الدين هو نطقه بالشهادة؛ شهادة أن لا اله إلا الله، وفيها إثبات الإلوهية لله وحده، ونفيها عن غيره، قال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]، مع الامتناع والحذر ومجانبة ورفض كل ما يعبد من دون الله قال تعالى: ﴿۞ قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٦]، ثم **الشهادة بصدق الرسول (وكل الرسل والأنبياء) وانه مبعوث من الله،** ثم التصديق بما جاء به من عند الله والعمل به وبمقتضاه، والالتزام بما فيه من أوامر ونواه وتشريع وإحكام وعبادات. وكل ما يطيقه عقله وإدراكه أو ما لا يطيقه ويدركه، **كالملائكة** والجن، وكذلك **التصديق بالكتاب (واعني بذلك الكتب السماوية التي جاء بها الرسل الذين أنزلت عليهم الكتب**، وهي التوراة التي جاء بها موسى،

والزبور الذي جاء به داود، والإنجيل الذي جاء به عيسى، والقران الذي جاء به محمد، وصحف شيت، وإدريس، وإبراهيم، وموسى، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكل كتاب انزله الله ولم يأت ذكره في القران الكريم، وسيأتي تفصيل ذلك في القسم الخاص بالكتب السماوية في موضعه من هذا الكتاب) قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وكذلك **الإيمان باليوم الأخر** بما فيه من جنة قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وبما فيه من نار قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. وما لا يمكن لنا أن نتصوره، لقصور عقولنا عن إدراك ما لا نحسه وما لا نراه من غيبيات لا تطيقها بشريتنا ولا تستوعبها. كالصراط والأعراف، ومنها الموت والبعث، والثواب والعقاب، قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن: ٧].

وأخيرا **الإيمان بالقدر خيره وشره**، والقدر هو ما قدره الله سبحانه على خلقه، وما كتبه عليهم في اللوح المحفوظ، وما سبق إليه علمه من أفعالهم وأقوالهم. فهو سبحانه قد قدر لخلقه الخير والصلاح وفطرهم عليه، وعاش الناس زمانا وهم على ذلك ثم اختلفوا قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْۚ﴾ [يونس: ١٩] وقال سبحانه: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ

وَمُنذِرِينَ ﴾[البقرة: ٢١٣] قال الطبري: اختلف أهل التأويل في معنى "الأمة": في هذا الموضع، وفي "الناس" الذين وصفهم الله بأنهم: كانوا أمة واحدة. قال ابن عباس: هم الذين كانوا بين آدم ونوح، وهم عشرة قرون، كلهم كانوا على شريعة من الحق، فاختلفوا بعد ذلك. فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين. وذهب مجاهد إلى أن آدم كان على الحقّ إمامًا لذريته، فبعث الله النبيين في ولده. ووجه معنى "الأمة" إلى الطاعة لله، والدعاء إلى توحيده واتباع أمره، وقال آخرون: معنى ذلك كان الناس أمة واحدة على دين واحد يوم استخرَج ذرية آدمَ من صلبه، فعرضهم على آدم. فكان أبي بن كعب يقول: كانوا أمة واحدة حيث عُرضوا على آدم، ففطَرهم يومئذ على الإسلام، وأقرُّوا له بالعبودية، وكانوا أمة واحدة مسلمين كلهم، ثم اختلفوا من بعد آدم. قال ابن زيد: لم يكونوا أمة واحدة قطُّ غيرَ ذلك اليوم إي حين أخرجهم من ظهر آدم، قال: "فبعث الله النبيين"، قال: هذا حين تفرقت الأمم. قال الطبري: وكل ذلك جائز فلا دلالة من كتاب الله ولا خبر يثبت على أيٍّ هذه الأوقات كان ذلك. فغيرُ جائز أن نقول فيه إلا ما قال الله عز وجل: من أن الناس كانوا أمة واحدة، فبعث الله فيهم لما اختلفوا الأنبياءَ والرسل. ولا يضرُّنا الجهل بوقت ذلك، كما لا ينفعُنَا العلمُ به، (الطبري بتصرف واختصار).

ولقد قسم سبحانه القدر بينه وبين عباده، فجعلهم مخيرين في بعض الامر، فرزقهم الطيبات من الطعام والشراب، وهم مخيرون فيما ياكلون وفيما يدعون، وبين لهم ان من الاشربة ما هو حلال وما هو حرام، وهم مخيرون فيما يشربون. كذلك بين لهم الحلال فيما ياتون من الافعال وامرهم باتيانه، وبين لهم الحرام وامرهم باجتنابه وعدم اتيانه، وبين لهم التكاليف الشرعية التي ارادهم ان ياتوها، فارسل رسله يبينون لهم الشرع ويامرونهم بالايمان واقامة الدين باركانه من صلاة

وصيام وزكاة وحج، وما يتبع ذلك من احسان وامر بالمعروف ونهي عن المنكر، وما الى ذلك من التكاليف الشرعية، ويسر كل منهم لما خلق له. فهم بالخيار بين ان يامنوا فيفوزا، او ان يكفروا فيهلكوا. واعطاهم من الالاء والنعم ما يعينهم على حسن الاختيار، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ٨ - ١٠] وقال سبحانه: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فالشقاء والسعادة من أمور القدر التي سبق علم الله سبحانه إليها، فقدر على كل إنسان سعادته أو شقوته ويسره لذلك، بعد أن بين له طريق الخير وطريق الشر، فالخلق ميسرون لما اختاروا، فامامهم الإيمان والكفر، والطاعة والعصيان. وكل يسر لما خلق له، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]وقال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]فهو سبحانه لا يظلم أحدا وقد أرسل الرسل ليبينوا للخلق ما هو مطلوب منهم تجاه ربهم، وقال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصِّلَت: ٤٦].

وقد جعل سبحانه من امور القدر ما هو مكتوب بقدرته سبحانه من أمور ليس للخلق فيها تصرف ولا إرادة، كالحياة والموت والأجل قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١] وكذلك الرزق، فمن الخلق من قدر عليه رزقه، ومنهم من بسط له فيه، وذلك لحكمة الله اعلم بها، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا

ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾[الفجر: ١٥ - ١٦]، (روى مسلم بسنده برقم ١٠٢باب الإيمان) من حديث طويل عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه... إلى أن قال...فأخبرني عن الإيمان . قال "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره". إلى أن قال ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي "يا عمر أتدري من السائل". قلت الله ورسوله أعلم . قال "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم".

ومن الجدير بالذكر أن الأمم منذ اختلفت ونسيت عهد الله. لم تنس أن لها خالقا! فلو سئل إي إنسان مهما بلغت حاله من الرقي أو البداوة أو الانحطاط، ومهما أوغل في الجهل والتأخر، أو مهما بلغ من العلم والتقدم. لو سئل ذلك الإنسان، من خلقك؟ من خلق السموات والأرض؟ من خلق الكون؟ من أعطاك السمع والبصر؟ من رزقك؟ من يشفيك إذا مرضت؟ من الذي ينزل المطر وينبت الزرع؟ من... ومن... ومن...؟ لو سئل تلك الأسئلة وكثير غيرها، فلن تجد عنده إلا جوابا واحدا. الله... الله!! قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [الزُّمَر: ٣٨]. ولكن الإنسان لحمقه وجهله وضعفه، تبع الشيطان وسار على دربه، فأضل اللعين الأمم تنفيذا لوعيده حين قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] وقال فيهم أيضا، إي في ادم وذريته قال: ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٦٢] (وفي قوله سبحانه: ﴿لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا﴾؛ مأخوذ من

احْتَنَكَ الجرادُ الأرض إذا أتى على نبتها؛ قال الفراء: يقول لأستولينّ عليهم إلا قليلاً يعني المعصومين؛ ويقول أحدهم: لم أجد لجاماً فاحْتَنَكْتُ دابتي أي ألقيت في حنكها حبلاً وقُدتها. وقال الأخفش. في قوله لأحْتَنِكَنَّ ذريته، قال: لأَستأْصلنهم ولأَستمِيلَنَّهم. ويقال: احْتَنَك فلان ما عند فلان أي أخذه كله. ويقال: حنك الفَرس يحنكه إذا جعل في حنكه الأَسفل حبلاً يقوده به). (الباحث: لسان العرب)

لذلك، ولما استولى الشيطان على عقول الأمم وافهامها -إلا من رحم ربي-، فإنها أخذت تبتدع آلهة تعبدها، فجعلت من المخلوقات آلهة كالشمس والكواكب، والمطر وغيره من ظواهر الطبيعة، والنار، بل وحتى الحيوانات كالبقر، ومنهم من عبد الحجارة، ومنهم من عبد أرواح آباءهم وأجدادهم، وذلك أن فطرتهم تدعوهم إلى التوجه إلى خالقهم فمنهم من اهتدى وامن، وأولئك هم الذين اتبعوا الرسل لما أرسلهم الله سبحانه، ومنهم من زاغ وضل وتبع خطوات الشيطان، وهؤلاء هم الذين قالوا لجهلهم وضلالهم: إنما نتقرب بهم إلى الله (يقصدون آلهتهم الزائفة) وقالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾[يونس: ١٨]فقال لهم سبحانه: ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[يونس: ١٨] وقد قال فيهم سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾[الزُّمَر: ٣] ولقد كذبوا وافتروا، فالله سبحانه لا يقبل معه شريكا قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾ [الزُّمَر: ٣]، إي النقي المنزه عن الشرك. وهم على كل حال ميسرون لما خلقوا له.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ

عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[الأنبياء: ٢٢] ويقول سبحانه كذلك: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[المؤمنون: ٩١]. قلت: لو تفكر هؤلاء الذين طمس الله على قلوبهم بجهلهم، ولو اعملوا اعظم نعم الله عليهم وهي العقل، لعرفوا ما هم فيه من ضلال، ولعادوا الى رشدهم، ولتابوا وانابوا، ولكنهم لحمقهم وجهلهم اسلموا قيادهم الى الشيطان فزين لهم اهواءهم، واعمى بصائرهم عن الحق المبين، فزادهم رهقا على رهق وطغيانا على طغيان. فالحمد لله الذي جعلنا من المهتدين الموحدين، والحمد لله الذي جعلنا مسلمين. ونسال الله الثبات على الإسلام والإيمان، فوق الأرض، وتحت الأرض، ويوم العرض، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عليه أفضل صلاة وأتم تسليم.

لطيفة حول القضاء والقدر

يتحدث البعض عن القضاء والقدر باعتبارهما شيئان منفصلان فيقولون هذا قضاء، ويقولون هذا قدر، حتى يقع لبس في مفهومهما ودلالاتهما. فما هو القضاء وما هو القدر وهل من فرق بينهما؟ يقول ابن منظور في اللسان: (القضاء: الحَتْم والأَمْرُ. وهو الحُكْم، وأَصله القَطْع والفصل. يقال: قَضَى يَقْضِي قَضاء فهو قاضٍ إذا حَكَم وفَصَلَ، وقَضاء الشيء: إِحْكامُه وإِمْضاؤُه والفراغ منه فيكون بمعنى الخَلْق. قال الزهري: القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إِلى انقطاع الشيء وتمامه. وكلُّ ما أُحْكِم عمله أَو أُتِمَّ أَو خُتِمَ أَو أُدِّيَ أَداء أَو أُوجِبَ أَو أُعْلِمَ أَو أُنْفِذَ أَو أُمْضِيَ فقد قُضِيَ.

والقدر: القضاء المُوَفَّقُ. يقال: قَدَّرَ الإله كذا تقديراً، وإِذا وافق الشيءُ الشيءَ نقول: جاءه قَدَرُه. قال ابن سيده: القَدْرُ والقَدَرُ القضاء والحُكْم، وهو ما يُقَدِّره الله

عز وجل من القضاء ويحكم به من الأمور. والمراد بالقَدَر التقدير، وبالقضاء الخَلق قال تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ﴾؛ أي خلقهن، فالله سبحانه قدرهن سبعا وقضاهن أي خلقهن على ما قدر. فالقضاء والقَدَرُ أمران مُتلازمان لا يَنْفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القَدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفَصْل بينهما فقد رام هَدْمَ البناء ونَقْضه)، (لسان العرب بتصرف واختصار).

يقول سبحانه: ﴿ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ ﴾ أي أتْمَمْنا عليه الموت، فان الموت مقدر محفوظ في اللوح، ولكن امضاءه، اي قضاءه يكون لحظة خروج الروح. نقول: قَضَيْتُ دَيْني، أي انفدت سداده، فالدين في الاصل موجود أي مقدر ولكن القضاء أي السداد متاخر الى وقته الذي تم فيه. ونقول قضى نحبه، أي مات، فالموت مقدر منذ الازل والقضاء مؤجل الى حينه الذي تم فيه. وباختصار اقول ان القدر هو تقدير الله الشيء بسابق علمه في اللوح المحفوظ، والقضاء هو انفاده في موعده ووقته والله اعلم.

لطيفة حول اللغة العربية

اللغة العربية هي اسمى اللغات واشرفها، فهي لغة اهل الجنة، ويكفيها شرفا انها لغة القران الكريم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

قلت: ومن لطيف ما تختص به هذه اللغة العظيمة، ان ما من منادى علم فيها



(أي لفظ يدل على اسم علم، قد لحقت به ال التعريف لتحوله من اسم نكرة الى اسم معرف) يقبل النداء باشهر الفاظ النداء وهو (الياء – يا)، اقول ما من علم يقبل النداء دون وسيط، الا لفظ الجلالة (الله). فاذا ناديت أي علم غيره فلا بد لكي تستقيم لغتك من ان تستعمل وسيطا هو اسم الاشارة (ايها) فتقول: يا ايها الرجل يا ايها الملك، يا ايتها المرأة، وهكذا مع كل الاعلام، فان قلت: يا الرجل، يا الملك، يا المرأة، فلغتك عند ذلك غير سليمة والخطأ فيها بين واضح، ولتستقيم لغتك لا بد من ازالة التعريف عن، الرجل والملك والمرأة، فتناديهم بقولك: يا رجل، يا ملك، يا امرأة. نخلص من ذلك ان الله سبحانه ليس بينه وبين عبده وسيط. فنقول يا الله، فيكون النداء او الدعاء منك الى خالقك سبحانه ليس بينك وبينه شيء. ويكون المنادى هنا واحدا ليس غيره ولا ينبغي ان يكون. فما من اله الا الله سبحانه. وسواء كنت مؤمنا او كافرا، فانك عندما تقول: يا الله، (باستعمالك لفظ الجلالة الله) فانك بفطرتك – شئت ام ابيت – انما تنادي من لا رب ولا اله غيره.

اردت من ايراد هذه اللطيفة ان ابين ان الايمان بالله فطري، مخزون في قلب كل عبد شاء ام ابى، فالسعيد من صدق قوله وفعله فطرته، والشقي من عاند وكابر. نسأل الله سبحانه ان يثبتنا على الفطرة، وان تصدق اقوالنا واعمال جوارحنا ما فطرنا عليه.

القسم الثاني

الكتب السماوية

القران الكريم

جاءت كلمة (قرآن) من المصدر (قرأ)، واصله من (القرء) بمعنى الجمع والضم، يقال: قرأت الماء في الحوض، بمعنى جمعته فيه. ويقال ما قرأت الناقة جنينا، أي لم يضم رحمها ولد (لسان العرب). كما قال عمرو بن كلثوم:

ذراعـــي عيطـــل أدمـــاء بكـــر   هجـــان اللـــون لم تقـــرأ جنينـــا

وقد كان قتادة رحمه الله يقول بذلك، أما ابن عباس رضي الله عنهما فوجه ذلك إلى انه مصدر من قول القائل: قرأت أقرأ قرآنا وقراءة.

القران والمصحف اصطلاحا

سمي القران قرانا لأنه يجمع الآيات والسور، ويضم بعضها إلى بعض. وفي المراجع عند ذكر ما كتب من القران على الرقاع والأكتاف والعسب واللخاف في عهد رسول الله ﷺ، يشار إليه بالقول (صحف) وذلك انه لم يجمع في مصحف واحد بسبب تتابع الوحي، وبسبب نزول الآيات الناسخة، وعدم التيقن من انتهاء السورة لاحتمال نزول آيات تلحق بها، وقد استمر الأمر على ذلك فترة حياة رسول الله ﷺ، وبقي على ذلك إلى زمن أبي بكر رضي الله عنه حيث انقطع الوحي بوفاة رسول الله ﷺ، وأصبح بالإمكان جمع القران (فجمعه رضي الله عنه بمشورة عمر بن الخطاب - بعد تردد - وبموافقة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وكان من دواعي ذلك ذهاب العدد الكبير من الصحابة الذين قتلوا رضي الله عنهم في

حروب الردة، وخشية أن يذهب القران بذهابهم، فلما رأى أبو بكر والصحابة ذلك واجتمع رأيهم عليه وشرح الله صدورهم لذلك، أمر رضي الله عنه الصحابي الجليل زيد بن ثابت بتتبع القران وجمعه، فجمعه في صحف كانت عند أبي بكر إلى وفاته ثم عند عمر إلى وفاته، ثم عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهم أجمعين. (النشر في القراءات العشر ج١ ص١) بتصرف واختصار. وبذلك ظهر أول استعمال لكلمة المصحف للدلالة على الكتاب بين الدفتين، قال الزركشي في (البرهان في علوم القران ج١ ص٦) (لما جمع أبو بكر القران قال: سموه. فقال بعضهم: سموه إنجيلا، فكرهوه، فقال آخرون: سموه السفر، فكرهوه من يهود. فقال ابن مسعود: رأيت للحبشة كتابا يدعونه المصحف، فاستحسنوه فسمي القران مصحفا. وقد استخدم لفظ (المصحف) للدلالة على القرآن الكريم، فيستخدم عادة للإشارة إلى النسخ المكتوبة من القران. اما المحفوظ في الصدور- وهو لا شك نفسه المكتوب ولا يفهم من ذلك انه غيره -فسمى قرانا. لتعلقه بالقراءة دون الكتابة.

نزول القران

القران آخر الكتب السماوية كان أول نزوله بمكة على رسول الله ﷺ، وكان عليه الصلاة والسلام يخرج إلى حراء في كل عام شهرا يتنسك فيه، فلما قضى الله سبحانه إنفاذ أمره، أرسل إليه الملك في رمضان، بلا خلاف في الشهر، قال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة: ١٨٥] ولا خلاف في الليلة قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١]، إلا انه وقع خلاف في اي يوم كان ذلك من الشهر، قال ابن كثير: (كان ابتداء نزول الوحي يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان، وقيل من الرابع والعشرين) (البداية والنهاية ج٣ص٣٣) ولكن المتفق عليه انه نزل في النصف

الثاني من رمضان) والله اعلم. ومن الثابت والمتفق عليه ان الذي نزل به جبريل عليه السلام، قال ابن كثير: (قاله غير واحد من السلف: ابن عباس، ومحمد بن كعب، وقتادة، وعطية العوفي، والسدي، والضحاك، والزهري، وابن جريج. وهذا ما لا نـزاع فيه). نزل به بألفاظه كلها من عند الله سبحانه، فهو كلام الله ليس لجبريل فيه زيادة أو نقص، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]قال ابن كثير في التفسير: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾: وهو جبريل، عليه السلام، ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [أي: نـزل به ملك كريم أمين، ذو مكانة عند الله، مطاع في الملأ الأعلى، ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يا محمد، سالمًا من الدنس والزيادة والنقص؛ ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾] أي: لتنذر به بأس الله ونقمته على من خالفه وكذبه، وتبشر به المؤمنين المتبعين له. وقوله: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ أي: هذا القرآن الذي أنـزلناه إليك [أنـزلناه] بلسانك العربي الفصيح الكامل الشامل، ليكون بَيِّنًا واضحًا ظاهرًا، قاطعًا للعذر، مقيمًا للحجة، دليلا إلى المحجة. قال ابن أبي حاتم في التفسير: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن أبي بكر العَتَكيّ، حدثنا عباد بن عباد الُمهَلَّبي، عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبيه قال: بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه في يوم دَجْن إذ قال لهم: "كيف ترون بواسقها؟". قالوا: ما أحسنها وأشد تراكمها.قال: "فكيف ترون قواعدها؟". قالوا: ما أحسنها وأشد تمكنها. قال: "فكيف ترون جَوْنَها؟". قالوا: ما أحسنه وأشد سواده. قال: "فكيف ترون رحاها استدارت؟". قالوا: ما أحسنها وأشد استدارتها. قال: فكيف ترون برقها، أومَيض أم خَفْو أم يَشُق شَقّا؟". قالوا: بل يشق شقًا. قال: "الحياء الحياء إن شاء الله".قال: فقال رجل:يا رسول الله،

بأبي وأمي ما أفصحك، ما رأيت الذي هو أعربُ منك. قال: فقال: "حق لي، وإنما أنـزل القرآن بلساني، والله يقول: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾. انتهى كلام ابن كثير. قلت: (يوم دجن: إي مظلم بسبب تراكم الغيم الممطر وكثرته. فالدجنة هي الظلمة. وبواسقها: إي ما استطال من فروعها، شبهها بالنخل الطويل المتراكم المرتفع في السماء. وجونها: إي سوادها. والوميض: لمعان البرق الخفيف يظهر ثم يختفي. والخفو: اللمعان إذا ظهر وانتشر في الغيم. ويشق شقا: نقول شَقَّ البرقُ يَشُقُّ شَقّاً هو البرق الذي تراه يَلْمَعُ مستطيلاً إلى وسط السماء وليس له اعتراض، (لسان العرب).

وقد نقل ﷺ القران إلى الأمة مثلما نقل إليه، فلم يزد عليه ولم ينقص منه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٦] قال ابن كثير في التفسير: يقول تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾ أي: محمد ﷺ، لو كان كما يزعمون مفتريا علينا، فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئا من عنده فنسبه إلينا، وليس كذلك، لعاجلناه بالعقوبة. ولهذا قال ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ قيل معناه لانتقمنا منه باليمين؛ لأنها أشد في البطش، وقيل: لأخذنا بيمينه. ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ قال ابن عباس: وهو نياط القلب، وهو العِرْقُ الذي القلب معلق فيه. وكذا قال عكرمة، وسعيد بن جبير، والحكم، وقتادة، والضحاك، ومسلم البَطِين، وأبو صخر حُميد بن زياد. وقال محمد بن كعب: هو القلب ومَرَاقُّه وما يليه). انتهى كلام ابن كثير.

ولما كانت السنة التي انزل فيها القران، كان رسول الله ﷺ على عادته في كل عام، قد خرج بأهله إلى غار حراء، وهو غار في أعلى جبل حراء الذي يقع شرقي

مكة على يسار الذاهب إلى عرفات، ويبعد عن الحرم الشريف مسافة أربعة كيلو مترات، في أعلاه الغار الذي يتجه بابه إلى الشمال، ويمكن للداخل فيه أن يرى الكعبة المشرفة، كما يمكن للواقف على الجبل رؤية مكة وأبنيتها، وقد سمي الجبل بعد نزول الوحي فيه (جبل النور)، وسمي كذلك (جبل الإسلام). فلما كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته، ورحم العباد بها، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى. روى (البخاري في الصحيح برقم٣) من حديث عائشة أم المؤمنين قالت: (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ. قال "ما أنا بقارئ". قال "فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ. قلت ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ. فقلت ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [العلق: ١ - ٣]". فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال "زملوني زملوني". فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر "لقد خشيت على نفسي". فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد ابن عم خديجة ـ وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي ـ فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن

أخيك. فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى، فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ﷺ، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أومخرجي هم ". قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي). وروى أيضا (البخاري برقم٤) من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله ﷺ قال "بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه فرجعت فقلت زملوني. فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ [المدثر: ١ - ٥] فحمي الوحي وتتابع ". وفي الحديث الذي رواه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه (برقم٤٢٢)، بسنده إلى عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قال: (قال – أي الملك – ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١ - ٥]. فأورد الخمس آيات الأول من سورة العلق، وليس الثلاث الأول فقط. فكانت هذه الآيات الكريمة أول ما نزل من القران الكريم، ثم تتابع بعد ذلك نزول الوحي على رسول الله إلى أن قبض ﷺ.

وقد كانت فترة نزول الوحي ثلاثة وعشرين عاما، فقد بعث عليه السلام وهو ابن أربعين سنة وقبض وهو ابن ثلاث وستين. قال ابن كثير: (قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن داود بن أبي هند، عن عامر الشعبي، أن رسول الله ﷺ نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل القرآن، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته

جبريل، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة، عشراً بمكة وعشراً بالمدينة.فمات وهو ابن ثلاث وستين سنة). فهذا إسناد صحيح إلى الشعبي، وهو يقتضي أن إسرافيل قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين ثم جاءه جبريل. وأما الشيخ شهاب الدين أبو شامة فإنه قد قال: وحديث عائشة لا ينافي هذا، فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا. ثم وكل به إسرافيل في تلك المدة التي كان يخلو فيها بحراء، فكان يلقي إليه الكلمة بسرعة ولا يقيم معه تدريجاً له وتمريناً، إلى أن جاءه جبريل، فعلَّمه بعدما غطه ثلاث مرات، فحكت عائشة ما جرى له مع جبريل، ولم تحك ما جرى له مع إسرافيل اختصاراً للحديث، أو لم تكن وقفت على قصة إسرافيل. ثم روى أحمد، عن غندر، ويزيد بن هارون، كلاهما عن هشام، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: بُعث رسول الله ﷺ وأُنزل عليه القرآن، وهو ابن أربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشر سنين. ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة). (البداية والنهاية ج٣ص٣٣).

القران نزل منجما

اتفق علماء المسلمين على أن القران نزل منجما، أي مفرقا، ولم ينزل دفعة واحدة، بل على فترات متقطعة على امتداد فترة نزوله، كما بينت ذلك آيات الكتاب الكريم في أكثر من موضع كما سنبين إن شاء الله، وقد ردوا ذلك إلى عدة حكم منها:

١) تثبيت قلب النبي ﷺ لما كان يلاقيه من أذى قريش وتكذيبهم له، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ [الفرقان: ٣٢] وقد بينت الآية نزوله مفرقا، ليسهل حفظه وفهمه والعمل بمقتضاه. فان الكفار لما قالوا: أنـزلت التوراة على موسى

والإنجيل على عيسى والزبور على داود جملة واحدة، فلماذا ينزل القران متفرقا؟ بين سبحانه السبب قال: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ﴾. (أي: أنـزلناه متفرقًا ليقوى به قلبك فتعيه وتحفظه، فالكتب أنـزلت على أنبياء يكتبون ويقرءون، والقرآن نزل على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ، ولأن من القرآن الناسخ والمنسوخ، ومنه ما هو جواب لمن سأل عن أمور، ففرقناه ليكون أوعى لرسول الله ﷺ وأيسر على العامل به. ﴿وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ قال ابن عباس: بيَّنَّاه بيانًا، وقال: كان الله ينـزل الآية، فإذا علمها نبيّ الله نـزلت آية أخرى ليعلمه الكتاب عن ظهر قلب، ويثبت به فؤاده. والترتيل: التبيين في ترسل وتثبت. وقال السدي: فصَّلناه تفصيلا. وقال مجاهد: بعضه في إثر بعض. وقال النخعي والحسن وقتادة: فرقناه تفريقًا، آيةً بعد آية.

٢) الرد على الشبهات التي يختلقها المشركون ودحض حججهم أولاً بأول، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[الفرقان: ٣٣] ومن أمثلة ذلك قولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ ﴾ [الفرقان: ٣٢] فرد عليهم سبحانه قال: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ﴾. أي: أنـزلناه متفرقًا ليقوى به قلبك فتعيه وتحفظه، وقولهم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ ﴾ فرد عليهم سبحانه قال: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣] وقولهم: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ فرد عليهم سبحانه قال: ﴿۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ



فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴾ [الإسراء: ٤٩ - ٥١] والأمثلة على ذلك كثيرة في كتاب الله.

٣) تيسير حفظه وفهمه على النبي ﷺ، وعلى أصحابه، قال تعالى: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾ [الإسراء: ١٠٦] اختلفت القرّاء في قراءة: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ ﴾ فقرأته عامّة قرّاء الأمصار (فَرَقْناهُ) بتخفيف الراء من فرقناه، بمعنى: أحكمناه وفصلناه وبيناه، وذكر عن ابن عباس، أنه كان يقرؤه بتشديد الراء "فَرَّقْناهُ" بمعنى: نـزلناه شيئا بعد شيء، آية بعد آية، وقصة بعد قصة. والقراءة الأولى هي الأولى بالصواب، لأنها القراءة التي عليها الإجماع وهي المثبتة في المصاحف، ولا يجوز خلافها. وفي قوله سبحانه: ﴿لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ ﴾ إي على فترة من الزمن كما بينا سابقا قيل ثلاثا وعشرين سنة وقيل عشرين، وفي قوله: ﴿وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾ إي آية بعد آية، وقصة بعد قصة وعلى مقتضى الحال.

٤) التدرج بالصحابة والأمة آنذاك في تطبيق أحكام القرآن، ليسهل عليهم التخلي عما اعتادوه من عادات وتقاليد الجاهلية، قالت عائشة رضي الله عنها: (إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر. لقالوا لا ندع الخمر أبدا. ولو نزل. لا تزنوا. لقالوا لا ندع الزنا أبدا) (صحيح البخاري برقم٥٠٤٤). فقد اعتادوا شرب الخمر والاتجار بالرقيق والربا والميسر، وما إلى ذلك مما نهى الإسلام عنه وحرمه، قال تعالى: ﴿ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ

وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾ [البقرة: ٢١٩] فبين أن في الميسر والخمر نفع وضرر، ولكن الضرر فيهما اكبر من النفع، ثم بعد ذلك ممهدا لتحريم شرب الخمر قال جل ذكره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾[النساء: ٤٣] فحرمها وقت الصلاة وأباحها في غير وقت الصلاة، ثم حرمها بالكلية فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[المائدة: ٩٠]قال الطبري: (حدثنا ابن حميد قال، حدثنا جرير، عن مغيرة، عن أبي رزين قال: كانوا يشربون بعد ما أنـزلت التي في "البقرة"، وبعد التي في "النساء"، فلما أنـزلت التي في "المائدة" تركوها). قلت: وللفساق الذين يقولون إن الله لم يحرمها بالكلية، متعللين بقوله سبحانه ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾ إذ يرون أن الله لم يجزم بالتحريم، إذ لم يقل حرمت أو هي حرام، أقول: إنها محرمة قطعا، والتحريم فيه جزم بل تشديد على الحرمة بثلاثة أدلة: الأول: أن (اجتنب) فعل أمر ولا يجوز معه المخالفة، والثاني: قول الله سبحانه في الآية التي تليها: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١] ففي قوله سبحانه: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١]، قال الصحابة رضوان الله عليهم لما سمعوها: انتهينا يا ربنا، والثالث: قال تعالى في الآية التي بعدها: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [المائدة: ٩٢]، فقد تأكد الجزم وذلك أن رسول الله حرمها، بل حرم ثمنها حتى إن الصحابة

أهرقوها لما حرمت ولم يبيعوها لينتفعوا بثمنها فهو حرام، ومن لم يطع الرسول فما أطاع الله. اشهد انك يا رسول الله بلغت. فهي حرام، حرام، حرام.

٥) نزل القران حسب الحاجة والمناسبة وليرد على أسئلة السائلين. ومن ذلك: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[المائدة: ٤]ومنه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ﴾[البقرة: ٢٢٢]ومنه ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٨٣]ومنه ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾ [البقرة: ١٨٩] أما المقدار الذي كان ينزل فيظهر من الأحاديث النبوية ومرويات الصحابة أنه كان ينزل على حسب الحاجة ومقتضى الحال.. قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[الحجر: ٢١]، وقال جل من قائل:﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾. (التفاسير). وقد ذكر السيوطي تلك الأسباب في (الإتقان ج١ ص٣).

ترتيب نزول القران

لا خلاف بين العلماء أن أول آيةنزلت من القران، هي أول آية من سورة العلق وهي قوله تعالى:﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١] كما بينا سابقا استنادا إلى حديث عائشة رضي الله عنها(صحيح البخاري برقم٣)، وأما آخر آية نزلت فقد وقع فيها اختلاف بين العلماء، وانقل هنا ما قال العلامة عبد العظيم الزرقاني في كتابه، (مناهل العرفان ج١ ص٨٠ - ٨٤) قال: اختلف العلماء في آخر آية نزلت،

واستند كل منهم إلى آثار ليس فيها حديث مرفوع إلى النبي ﷺ، ولكنهم على الإجمال قالوا بما وصل إليهم من العلم، وليس فيما قالوه تناقض أو تضاد فإنما نقلوا آراء الصحابة حسب رؤية كل منهم إلى مفهوم آخر النزول. وقد اختصرت ما قال على النحو التالي:

القول الأول

أن آخر آية نزلت قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٨١] أخرجه النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس، وكذلك اخرج ابن أبي حاتم قال: آخر ما نزل ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ﴾[البقرة: ٢٨١]، وعاش النبي بعدها تسع ليال ثم مات لليلتين خلتا من ربيع الأول.

القول الثاني

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ ... الآية﴾ [البقرة: ٢٨٢] اخرج ابن جرير عن سعيد بن المسيب انه بلغه أن احدث القران عهدا بالعرش آية الدين، واخرج أبو عبيد في الفضائل عن ابن شهاب قال: آخر القران عهدا بالعرش آية الربا وآية الدين، وقال السيوطي: (الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف لأنها في قصة واحدة، فاخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر)، وذلك صحيح، قال الزرقاني، ولكن النفس تستريح إلى أن آخر هذه الثلاثة نزولا، قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وذلك لأمرين: **احدهما**: أن الآية تشير

إلى ختام الوحي والدين بسبب ما تحث عليه من الاستعداد ليوم المعاد، وما تنوه به من الرجوع إلى الله واستيفاء الجزاء العادل من غير غبن ولا ظلم، وذلك انسب بالختام من آيات الأحكام المذكورة في سياقها. **ثانيهما:** نص ابن أبي حاتم في روايته السابقة، على أن النبي ﷺ، عاش بعد نزولها تسع ليال لا غير، ولم تظفر الآيات الأخرى بنص مثله. وذكر الزرقاني بعد ذلك عدة أقوال نصت على آيات غير هذ، وبين أن تلك الآيات دلت على آخر مقيد غير مطلق، كالدلالة على آخر سورة أو أخر حكم، أو أخر الحديث عن أمر معين، وليس للدلالة على آخر ما نزل مطلقا، وخلص إلى أن آخر ما نزل هو قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

القول الثالث

آخر ما نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨] أخرجه البخاري عن ابن عباس، والبيهقي عن عمر. رضي الله عنهم.

أسماء القران

ذكر العلماء والمفسرون أسماءً عديدة للقرآن استخرجوها من نص القرآن ومن الحديث أشهرها: القرآن، والكتاب، والفرقان وسُمي القرآن الكتاب لأن آياته وسوره قد سطرت وجُمعت بين دفتين. وذكر اسمه في القران قرانا إشارة إلهية لحفظ الله له في الصدور مقروءا، أما ورود ذكره على انه الكتاب فإشارة إلى حفظه في السطور مكتوبا. وقد تكفل سبحانه بحفظه، فلا يعتريه نقص ولا زيادة ولا نسخ ولا تحريف، كما اعترى الكتب السابقة، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ

لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فُصِّلَت: ٤٢] وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] قال الطبري (بتصرف): (وهذا خطابٌ من الله تعالى لنبيه ﷺ. يقول تعالى ذكره: أنـزلنا إليك، يا محمد، "الكتاب"، وهو القرآن ويعني بقوله: "بالحق"، بالصدق ولا كذب فيه، ولا شك أنه من عند الله"مصدقًا لما بين يديه من الكتاب"، يقول: أنـزلناه بتصديق ما قبله من كتب الله التى أنـزلها إلى أنبيائه، وفيه أمر للنبي عليه الصلاة والسلام أن يحكم بين المحتكمين إليه من أهل الكتاب وسائر أهلِ الملل بكتابه الذي أنـزله إليه، وهو القرآن. يقول تعالى: احكم، يا محمد، بين أهل الكتاب والمشركين بما أُنـزل إليك من كتابي وأحكامي في كل ما احتمكوا فيه إليك، من الحدود والجُرُوح والقَوَد والنفوس، فارجم الزاني المحصَن، واقتل النفسَ القاتلةَ بالنفس المقتولة ظلمًا... الخ، فإني أنـزلت إليك القرآن مصدِّقًا لما بين يديه من الكتب، ومهيمنًا عليه رقيبًا، يقضي على ما قبله من سائر الكتب قبلَه، ولا تتبع أهواء هؤلاء اليهود الذين حرفوا كتابهم؛ فيحكمون بجلد الشريف المحصن في الزنى والقتل، ويحكمون بقتل الوضيع). فالقران مصحح لما طرأ على الكتب من تحريف، وناسخ لبعض الاحكام قال تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧] قال الطبري: (إنّ "الإصر" هو العهد ومعنى الكلام: ويضع النبيُّ الأميُّ العهدَ الذي كان الله أخذ على بني إسرائيل، من إقامة التوراة والعملِ بما فيها

من الأعمال الشديدة، كقطع الجلد من البول، وتحريم الغنائم، ونحو ذلك من الأعمال التي كانت عليهم مفروضةً، فنسخها حُكْم القرآن).

وقد قال الشيخ عبد الله دراز في كتابه النبأ العظيم: ("فلا ثقة بحفظ حافظ حتّى يوافق حفظه الرسم المجمع عليه، ولا ثقة بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو ثابت عند حفاظ الأسانيد"). ويتضح من ذلك انه لا بد لمن يحفظ القران عن ظهر قلب، أن يوافق حفظه القران على الرسم العثماني المعروف بمصحف عثمان. ولا بد لكل مصحف ينسخ أو يطبع أن يوافق ذلك الرسم دون زيادة أو نقصان، حتى ولو بحرف واحد كأحرف المد وأهمها الألف الساكنة وما شابهها، وان أجيز أن تطبع بعض الآيات بخط النسخ المعروف في كتب الطلاب لغرض التعلم والتعليم لا غير، وإلا فهو مخالف ولا يعتد به. بل هو خروج عن الإجماع يجب رفضه ومحاربته وإنكاره. والاسم الفرقان مشتق من فعل فَرَقَ بمعنى فَصَلَ وفَرَق بين الأمور، فهو إذًا يفرّق ويفصل بين الحق والباطل. ومن أسمائه أيضًا: المنير، السراج، وغيرها من الأسماء الواردة في آي القرآن نفسها أو في الأحاديث الشريفة. وقد أورد له السيوطي في (الإتقان ج١ ص٣) خمسة وخمسين اسما. وقد قسم العلماء والمفسرون الأسماء إلى ثلاث مجموعات:

(موقع شبكة القران: alquran-network.net/asmaequran)

المجموعة الأولى

وهي طائفة من الأسماء التي تشير إلى ذات الكتاب وحقيقته، كالأسماء التالية:

١) الكتاب، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [القصص: ٢] وقال: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

٢) القرآن، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

٣) كلام الله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٦].

٤) الروح، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ ﴾ [الشورى: ٥٢].

٥) التنزيل، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٢].

٦) الأمر، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ [الطلاق: ٥] .

٧) القول، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٥١].

٨) الوحي، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٤٥].

المجموعة الثانية

وهي الطائفة التي تشير إلى صفات القرآن الذاتية، وذلك كالأسماء التالية:

١) الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ [الواقعة: ٧٧].

٢) العزيز، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴾ [فُصِّلَت: ٤١].



٣) الحكيم والعليّ، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[الزُّخرُف: ٤].

٤) الصدق، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ [الزُّمَر: ٣٣].

٥) القصص الحق، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ ﴾ [آل عمران: ٦٢].

٦) المُبارك، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

٧) العَجَبُ، قال تعالى: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾ [الجن: ١].

٨) العِلْمِ، قال تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٤٥].

المجموعة الثالثة

وهي التي تشير إلى صفات القرآن التأثيرية، التي تشير إلى علاقة القرآن بالناس، ومنها:

١) البيان والهدى والموعظة: قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

٢) الذِكر: قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

٣) الشفاء والرحمة: قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴾ [الإسراء: ٨٢].



٤) التذكرة: قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ﴾ [المدثر: ٥٤].

٥) البلاغ: قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

٦) البشير والنذير: قال تعالى: ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ [فصلت: ٣ - ٤].

٧) النور والمبين: قال تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾ [المائدة: ١٥].

٨) الفرقان: قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

٩) البصائر: قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

صفة القران الكريم في القران

وصف جل ذكره القران بصفات منها:

١) هو مصدق للكتب السماوية التي سبقته، وهو هاد للمؤمنين ومبشر لهم بحسن العاقبة قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

٢) هو بيان للناس عامة، وهدى للمتقين خاصة، قال الطبري: حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة. قوله: "هذا بيان للناس"، وهو هذا القرآن، جعله الله بيانًا للناس عامة، وهدى وموعظة للمتقين خصوصًا. وذلك

في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ١٣٨].

٣) هو المذكر، قال تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [طه: ١ - ٣](قال قتادة: لا والله ما جعله الله شقيا، ولكن جعله رحمة ونورا، ودليلا إلى الجنة). فهو تذكرة لمن يخشى عقاب الله، فيتقيه بأداء فرائض ربه واجتناب محارمه. (تفسير الطبري).

٤) هو المخرج للناس من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]. إي من ظلمة الكفر والعصيان إلى نور الهداية والإيمان.

٥) هو أحسن الحديث والكتاب المتشابه، والمثاني، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزُمَر: ٢٣] (هو أحسن الحديث يشبه بعضه بعضا، لا اختلاف فيه، ولا تضادّ. قال قتادة: الآية تشبه الآية، والحرف يشبه الحرف. وعن سعيد بن جُبَير قال: يشبه بعضه بعضا، ويصدّق بعضه بعضا، ويدلّ بعضه على بعض. وقوله: (مَثَانِيَ) يقول: تُثنى فيه الأنباء والأخبار والقضاء والأحكام والحجج) (تفسير الطبري).

٦) هو خير من كل ثروة أو مال، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[يونس: ٥٨] قال الطبري: ((فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)، يقول: فإن الإسلام الذي دعاهم إليه، والقرآن الذي أنـزله

عليهم، خيرٌ مما يجمعون من حُطَام الدنيا وأموالها وكنوزها) قلت: وذلك خطاب للمؤمن وللكافر. فالمؤمن فرح به لانه معه آمن به واتبعه، فهو خير ما جمع. اما الكافر الذي لم يؤمن به ولم يتبعه، فانه بخسارته اياه حين صد عنه، فلن يغني عنه ما جمع – مهما جمع – اذ بخسارته يكون قد خسر كل شيء.

القران الكريم كتاب الله

القران كتاب الله انزله سبحانه على عبده ورسوله محمد ﷺ، فيه الشريعة، والأمر والنهي والموعظة، قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨]قال أبو جعفر الطبري: (اختلف أهل التأويل في المعنى الذي أشير إليه بـ"هذا ". فقال بعضهم: القرآن. وممن قال ذلك الحسن البصري، قال: هذا القرآن. كذلك قال به قتادة. قال: "هذا بيان للناس"، وهو هذا القرآن، جعله الله بيانًا للناس عامة، وهدى وموعظة للمتقين خصوصًا. وقال آخرون: إنما أشير بقوله " هذا "، إلى قوله في الآية السابقة: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧]ثم قال: هذا الذي عرَّفتكم، يا معشر أصحاب محمد، بيان للناس. قال: حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق: "هذا بيان للناس"، أي: هذا تفسير للناس إن قبلوه). قلت: ولست أرى في القولين تعارضا، فالقران بيان للناس كافة وللمسلمين خاصة، وظاهر الآيات يشير إلى ذلك، وقد جاء في القران الكثير من الآيات التي تؤيد ما ذهبت إليه قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الأنفال: ٢] وقال جل من قائل:



﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤ - ١٢٥] ومما اهتم القران الكريم بمعالجته نورد ما يلي:

القران بيان وبلاغ

القران بيان وبلاغ، فهو للمسلمين خاصة وللخلق عامة، فلما بعث الله سبحانه محمدا عليه الصلاة والسلام نبيا، إنما بعثه لقومه خاصة، وللخلق عامة، حتى إذا اهتدى قومه وامنوا، حملوا القران لغيرهم من الأمم. وقد بدأ عليه الصلاة والسلام بذلك، فأرسل الدعاة والمبلغين من صحابته إلى ملوك وزعماء عصره، فمنهم من امن كنجاشي الحبشة، ومنهم من صالح وبقي على دينه كمقوقس مصر، ومنهم من عاند وكفر كأباطرة الروم، وأكاسرة فارس. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩] وقد كان سبحانه أرسل الرسل إلى الأمم السابقة، مبشرين ومنذرين، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ [فاطر: ٢٤]، فلما كان آخر الزمان كما قدر جل وعلا، أرسل محمدا، آخر الرسل إلى كل الأمم هاديا ومبشرا ونذيرا، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]. فهو عليه الصلاة والسلام رسول الله إلى كل خلقه، انسهم وجنهم، إلى العربي والعجمي، إلى الأسود والأحمر، إلى الحر والعبد، إلى الذكر والأنثى. فكلهم عباد الله وعليهم إتباع رسوله، فمن امن نجا وفاز، ومن كفر هلك وخسر.

وقد ورد في القران الكثير من الآيات التي تدل على بيان القران وبلاغه، فهو يبين للناس كافة ويبلغهم أن الله واحد، عليهم الإيمان به، وإتباع هديه، والعمل بشرعه، كما ينذرهم ليتعظوا ويثوبوا إلى الرشد والهدى قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ١٣٨]وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، فهو بلاغ وإنذار وتذكرة، وهو الذي يفرق بين الحق والباطل، والخير والشر، وما يهدي إلى الإيمان فيتبع، وما يردي في الكفر والضلال فيجتنب، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، كذلك فيه قصص الأمم السابقة، لتدرس وتفهم وتكون عبرة لمن أراد أن يعتبر ويتعظ، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ﴾ [آل عمران: ٦٢]، ويمكن استخلاص القضايا الرئيسية التي ركز عليها القران وهي:

الإسلام

وهو الانقياد لله بالخضوع والطاعة، والاستسلام الخالص له باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وتوحيده ونفي ألوهية غيره، فقد بين القران أن الله سبحانه هو الواحد الأحد، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[الإخلاص: ١ - ٤] وبين أن العبادة لا تكون إلا لله وحده دون غيره، من الآلهة الزائفة التي كانت تعبد من أصنام وأوثان وطواغيت، قال تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ﴾

[يوسف: ٤٠] فالله سبحانه يبين في هذه الآية أن كل معبود سواه إنما هو زائف ابتدعه العصاة الكفرة، فلا ينبغي أن يعبد، وإنما العبادة لا تنبغي إلا للحكم العدل دون غيره وهو الله سبحانه، كذلك أمر باجتناب الطواغيت وهي كل طاغية مزيف، من انس أو جن أو شيطان، أو حاكم أو ملك أو ولي أمر، أو صنم أو وثن، أو شهوة أو هوى، أو قوة أرضية أو سماوية؛ ظاهرة أو خفية، فكل ذلك طواغيت يجب اجتنابها والبراءة منها ومن عبادتها، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] كذلك أمر سبحانه الا يشرك احد معه في العبادة، قال تعالى على لسان لقمان: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان: ١٣]فان إشراك احد من خلق الله، أيا كان هذا الأحد، عظيما أو جبارا أو مستكبرا، فان إشراكه مع الله بالعبادة ظلم عظيم، وافتراء وتعد على من له النعماء والآلاء سبحانه. كما بين سبحانه عظم جريمة الشرك وعظم عقوبتها قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨]، ولقد أمر سبحانه رسوله والمؤمنين بالبراءة من كل ما يعبد من دونه قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١ - ٦]كما بين القران الكريم الشريعة بما فيها من أصول الإسلام الخمسة وأركانه، والتي لا يصح الإسلام إلا بها مجتمعة، فلا يجوز الأخذ ببعضها وإنكار بعض. فهي كل متكامل وهي، الشهادتان، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، كما بين الأوامر، ومنها، الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والزواج، واكل الطيبات، والوفاء

بالعهود، والطهارة من النجاسة، وغيرها. كذلك بين النواهي ومنها، الربا، واكل لحم الخنزير، والقتل بغير حق، والزنا، والخمر، والميسر، والرشوة، وعقوق الوالدين، وغيرها من النواهي. فالإسلام كل متكامل من أنكر منه شيئا، أو نقص منه، أو زاد فيه، فقد كفر به كله ولن يقبل ذلك منه.

كذلك فقد نسخ الاسلام الديانات السابقة (أي شرائعها او بعضها، لانها كلها دين واحد في أصوله وثوابته) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وعليه فلا يهودية ولا نصرانية بعد الاسلام. روى (مسلم برقم ٤٠٣) **عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال " والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"** .

الإيمان

وهو ما وقر في القلب وصدقه العمل كما عرفه الحسن البصري، وهو (كما قال الإمام الشافعي (في كتاب الأم).. (وان لم أجد هذا النص في كتاب الأم إلا أن ابن تيمية نقله وقال به): (يقول الإمام الشافعي: وكان الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعدهم ممن أدركنا: أن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة عن الآخر)(مجموع الفتاوى ص١٢٨).

وهو ستة أركان هي: الإيمان بالله، والملائكة، والكتب السماوية كلها، والأنبياء والرسل جميعا، واليوم الآخر وهو يوم الحساب، والقدر خيره وشره. وهذه غيبيات، يوجب الإيمان الحق التصديق بها، كما وردت في القران الكريم، وكما نقلها إلينا الحبيب محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم عن ربه سبحانه، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ

وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[البقرة: ٢٨٥] ولا بد للمؤمن الحق أن يأخذ بها جميعا، ولا يصح الإيمان إن ترك بعضها أو شكك فيه.

الإحسان

وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك، وفي اللغة هو مأخوذ من الحسن وهو إتقان الشيء، من قول أو عمل على أكمل وجه وأتمه. وأوله القيام بالعبادات على الوجه الذي أراده الله سبحانه دون تقصير أو رياء، وثانيه بين العباد أنفسهم، فيكون تعاملهم بما يرضي الله ويوافق شرعه. من صدق وعدل وتعاون، وما إلى ذلك من فضائل الأعمال. إضافة إلى التمسك بالفرائض، وإقامة الحدود، وإخلاص التوبة من المعصية، ونبذ العنصرية والجاهلية. قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[النحل: ٩٠].

القران المعجزة

كان الأنبياء عليهم السلام، قبل رسول الله ﷺ، كلما اخبروا أقوامهم بأنهم رسل الله او انبياءه، وطلبوا منهم الإيمان به وتوحيده، وترك الشرك الذي هم فيه، كذبوهم وطلبوا منهم المعجزات، ليثبتوا صدق دعواهم، فكان سبحانه يرسل إليهم المعجزات حسب المجال الذي يبرعون فيه، فقد برع قوم فرعون بالسحر، فلما بعث الله إليهم موسى عليه السلام، أرسل معه معجزة العصا، لتبطل سحرهم، وتبين عجزهم، فلما ألقاها عليه السلام، تحولت ثعبانا عظيما يلقف ما يأفكون. ولما أرسل عيسى عليه السلام، كان قومه يبرعون بالطب، فأرسل سبحانه معه معجزة

إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، بإذن الله. أما العرب فقد كانوا مولعين بجمال اللغة، وفصاحتها، وبلاغتها، نثرا كانت أم شعرا، حتى أنهم كانوا يعلقون ما استحسنوا من الشعر على الكعبة، والذي سمي بالمعلقات. فلما أرسل سبحانه رسول الله عليه السلام، أرسل معه القران، معجزة بلاغية، تحداهم على فصاحتهم أن يأتوا بمثله، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، ولما قالوا هو مفترى قد افتراه محمد وهو ليس من عند الله تحداهم أن يأتوا بعشر سور مفتريات قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[هود: ١٣] لا بل تحداهم على أن يأتوا بسورة واحدة مثله قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة: ٢٤]، وصدق الله فلم ياتوا، ولن ياتي من جاء بعدهم من المكذبين. ممن ادعوا النبوة زورا وتقولوا على الله سبحانه. الا ان ياتوا بهذر لا معنى له ولا مضمون.

ومعجزات الأنبياء السابقين كانت تأتي معهم وتذهب بذهابهم، أما القران الكريم، فهو معجزة دائمة، تحدى سبحانه به الخلق إلى يوم القيامة بما فيه من البلاغة والفصاحة، فلا زال منذ نزل وسيبقى إماما لأهل اللغة وقدوة لأهل البلاغة، فمن أراد منهم الإتقان والإبداع فعليه بالقران دراسة وفهما وتدبرا، وهو لأهل التشريع والقانون والدساتير نبراس بما فيه من أحكام وتشريعات تحفظ الحقوق وتقيم العدل وتردع الجريمة والانحراف، وبما فيه من إعجاز علمي تحدى

العلم والعلماء إلى آخر الزمان، فقد تعرض لحقائق علمية، لم يكتشفها العلم إلا مؤخرا، ككروية الأرض، وحركتها، وكمراحل تطور الجنين، والكثير الكثير من الحقائق التي اكتشف العلم القليل القليل منها.

القران كتاب التعبد وصحة الإسلام

والقران الكريم كتاب التعبد الذي لا تصح عبادة بدونه، أو بدون أحكامه، فلا تصح صلاة إلا بتلاوة آياته، ولا يصح إسلام إلا بالأخذ بما فيه من الأركان الخمسة، ولا يصح إيمان إلا بالأخذ بما فيه من الأركان الستة، ولا يصح الإخلاص والإحسان إلا بالتصديق به والتزام أوامره واجتناب نواهيه. وهو ميزان عمل المسلم، بعد رحمة الله سبحانه، فهو يوم القيامة يقود من عمل به والتزم أحكامه وداوم على تلاوته، فيأخذ بيده حتى يدخله الجنة، جعلنا الله ممن يقيمون حروفه ويلتزمون أحكامه وحدوده. أما من جافاه وهجره ولم يعمل بما فيه، فانه يكون وراءه يدفعه إلى نار جهنم حتى يكبه على وجهه فيها والعياذ بالله. ثم به يرتقي العبد في درجات الجنة قال أبو داود في سننه (باب استحباب الترتيل ١٤٦٦): حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان حدثني عاصم بن بهدلة عن زر عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها). وقد كان عليه الصلاة والسلام يأمر الصحابة بحفظ القران وتعاهده. وقد قال فيه عليه الصلاة والسلام من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه كما روى البخاري (باب من رايا بقراءة القران ٥١١٤) قال: (حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال "المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ



القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر ـ أو خبيث ـ وريحها مر". كذلك رواه مسلم. وللقران الكريم جملة، ولسوره وآياته، فضائل عظيمة فهو شفاء وهو طمأنينة وهو هدى وهو قربى إلى الله، ويمكن تتبعها في كتب الحديث وفي كتب التفسير.

القران دستور المسلم

القران شرع الله سبحانه ودستور حياة المسلم فردا، ومصدر التشريع للامة جماعة، فقد عالج كل قضايا الفرد والمجتمع، فللفرد هو منهاج حياة، فيه كل حقوقه وواجباته، من عبادات وأوامر ونواه، تشمل علاقة الإنسان بخالقه، وما يجب عليه من الطاعة والامتثال والانقياد والاستسلام، ليفوز برضى الله ورحمته، فينجو من عذابه ويدخل جنته، فإنما خلق لهذا، وليس لغيره قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. كذلك هو لامة الاسلام، مصدر التشريع، فيه الاحكام لكل ما ينشئ من منازعات وخلافات، فيه الحدود والجزاءات ماعظم منها وما صغر، بما يناسب كل جريمة او جنحة او تعد على الغير في انفسهم او ممتلكاتهم او حقوقهم، قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ﴾ [المائدة: ٤٥]. وقد امر سبحانه نبيه ان يحكم بين الناس بمقتضاه، وربط الرضا والانقياد لاحكامه بالايمان قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

القران نظم علاقة الأبناء والآباء

كذلك نظم علاقة الأفراد بأسرهم، وما يجب عليهم تجاه والديهم من رعاية وعطف وطاعة في غير معصية، وقد قرن سبحانه طاعته بطاعة الوالدين والإحسان لهما في كثير من الآيات الكريمة قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴾ [الإسراء: ٢٣] كذلك نظم علاقتهم بأبنائهم قال تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾ [النساء: ١١] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٣١] فإنما رزق الجميع على الله سبحانه فهو الرازق لا غيره، قل عدد الأبناء في الأسرة الواحدة أم كثر، فهو سبحانه قد كفل للجميع رزقهم فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع.

القران نظم حقوق الأزواج وواجباتهم

ونظم علاقة الأزواج بعضهم ببعض قال تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ ﴾ [الروم: ٢١] فالآية الكريمة ترشد إلى ان الزوجين بعضهما من بعض، يسكن احدهما إلى الأخر ليجد عنده وفيه المودة والرحمة. وبين حق المرأة على زوجها فقال سبحانه: ﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ ﴾ [الطلاق: ٧] فمن حقها عليه

الإنفاق، ويشمل ذلك المسكن والطعام والملبس وكل ما تحتاج إليه، فالغني ينفق من سعة، والفقير مما اقدره الله عليه. ولها عليه حسن العشرة قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ [النساء: ١٩] وإما حق الزوج على زوجته، فله عليها الطاعة وحسن العشرة قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ﴾ [البقرة: ٢٢٨] كما له عليها حق القوامة، وعليها واجب الطاعة قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾[النساء: ٣٤] وفي حال الخلاف بين طرق الإصلاح قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾ [النساء: ٣٤] فان لم ينفع الوعظ والهجر والضرب (ضرب التأديب لا ضرب الانتقام والقسوة، فذلك مالا يجيزه الله) وان استمر الخلاف وخيف الفراق قال تعالى: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥] فان تفاقم الخلاف وكان لا بد من الفراق قال تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ

﴿حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ﴾[البقرة: ٢٢٩]كما بينت الآيات الكريمة في غير ما موضع تفاصيل تلك العلاقات في حال الوفاة من عدة وارث وغير ذلك، ومن ارد التوسع فيمكنه الرجوع الى كتب التفسير والفقه وغيرها.

نظم العلاقات الاجتماعية والقضاء

ونظم كذلك علاقة الأفراد بعضهم ببعض، سواء كانت تلك العلاقات قربى أو نسب أو جوار أو ولاية، أو معرفة أو علاقة إنسانية عابرة قال تعالى:﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦] فالآية الكريمة بينت عددا من العلاقات الإنسانية الواجب مراعاتها والحفاظ عليها، كذلك نظم القران العلاقات المجتمعية الحياتية بين الناس، من بيع وشراء ومعاملات، وزواج وارث وتكافل، وتقاض وغير ذلك مما يشمل حياة المجتمع بكل مناح الحياة، ففرض الزكاة، واحل البيع وحرم الربا. ولم يترك صغيرة ولا كبيرة في حياة البشر إلا تعرض لها وعالجها ونظمها، بما يكفل عيش الجميع في طمأنينة وكرامة واستقرار. ففي المعاملات قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقد اشتملت الآية على عدد كبير من الأحكام، يمكن الرجوع إليها في التفسير.كذلك قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥] وفي التقاضي قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ



بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥].

نظم الحكم والسياسة

كذلك نظم علاقة الحاكم بالمحكوم، فعلى ولي الأمر العدل والإحسان والحكم بشرع الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل بما آتاه الله من سلطان للحفاظ على سلامة الرعية وتنظيم حراسة الثغور، وتسير الجيوش المعدة بالتدريب والمجهزة بالسلاح، إذا اقتضت الحاجة لذلك، دون ظلم أو عدوان، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ [النساء: ٥٨] يأمر الله سبحانه الحاكم بالعدل بين رعيته، ويبين له أن تلك موعظة، حتى يلتزم بها، ويبين له انه تحت رقابة الله، فالله يسمع ويرى، ولا بد من يوم الحساب، فان جار أو ظلم.قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨] وقد أمر الله الحاكم أن يكون لينا رفيقا برعيته، فلا يجور ولا يتسلط، قال تعالى يصف خير خلقه: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فإذا كان هذا خطاب لسيد الخلق، فما بالك بالحكام وهم دون دونه، والذين تأمروا الناس وتمكنوا من رقابهم. وتجدر الإشارة إلى مبدأ سياسي هام نصت عليه الآية الكريمة، وهو مبدأ الشورى الذي يلزم الحاكم بالأخذ بالمناصحة وعدم الاستبداد، وفي الإعداد للقتال إذا وجب قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ

وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ ﴾[الأنفال: ٦٠] فإذا جنح أعداء الله للمسالمة، فليس للحاكم أن يعتدي أو يظلم، قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [الأنفال: ٦١] وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣] هذا ما للرعية على الحاكم، أما ما للحاكم على الرعية، فله السمع والطاعة في غير معصية، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء: ٥٩] وقد تعددت الآراء في المراد بأولي الأمر، فقيل الأمراء وقيل العلماء، وقيل الأمراء والعلماء، ورجح كثير من العلماء القول الأخير، ومنهم ابن كثير (في تفسيره للآية) و(الشوكاني في تفسيره فتح القدير ص٨٩). وفي تتمة الآية يقول عز من قائل: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩] قال الطبري: يعني بذلك جل ثناؤه: فإن اختلفتم، أيها المؤمنون، في شيء من أمر دينكم: أنتم فيما بينكم، أو أنتم وولاة أمركم، فاشتجرتم فيه = "فردوه إلى الله"، يعني بذلك: فارتادوا معرفة حكم ذلك الذي اشتجرتم = أنتم بينكم، أو أنتم وأولو أمركم = فيه من عند الله، يعني بذلك: من كتاب الله، فاتبعوا ما وجدتم = وأما قوله: "والرسول"، فإنه يقول: فإن لم تجدوا إلى علم ذلك في كتاب الله سبيلا فارتادوا معرفة ذلك أيضًا من عند الرسول ﷺ إن كان حيًا بسؤاله، وإن كان ميتًا فمن سنته.

كذلك مما للحاكم على المحكوم الطاعة في غير معصية وان جار وان ظلم وان ظهر منه فسق، فلا يجوز الخروج عليه أو محاربته، (روي عن عوف بن مالك الاشجعي عن رسول الله ﷺ قال "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون

عليكم وتصلون عليهم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم" . قيل يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف فقال "لا ما أقاموا فيكم الصلاة وإذا رأيتم من ولاتكم شيئا تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يدا من طاعة") (صحيح مسلم برقم٤٩١٠). فالحديث دل على أن الحاكم إن عصى أو أمر بمعصية، كره عمله ولا طاعة له فيما أمر به من معصية مع بقاء البيعة له وعدم الخروج عليه، أما إن ترك الصلاة أو أمر بتركها فيجوز الخروج عليه ونقض بيعته، واستتيب فان تاب فبها، وإلا نقضت بيعته وحكم بقتله ومحاربته، لأنه جاء بكفر بواح فان من ارتد عن شيء من أصول الإسلام أو تركه أو أنكره فقد خرج من ربقة الإسلام، جاء في حديث عبادة بن الصامت قوله: (دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله قال "إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان" (صحيح مسلم برقم ٤٨٧٧). فترك الصلاة وإنكارها كفر بواح يوجب الخروج. وقد قال بما قلنا في شان طاعة الحاكم عامة علماء المسلمين، ولمن أراد الاستزادة فليراجع البخاري (الجهاد- الأحكام- المناقب – الفتن) ومسلم (الإمارة) وابن ماجة والترمذي وأبو داود (الجهاد - الفتن) والنسائي (البيعة) والدارمي في (السير – الرقاق).

كما تناول القران علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول، كما نوهنا في الفقرة السابقة، كما حث على احترام العهود والمواثيق، وعدم الاعتداء. وبين أحكام السلم والحرب والمصالحة. وبين العلاقة بأهل الذمة من كتابيين من يهود ونصارى، وكذلك ممن ليس لديهم كتاب من المجوس والوثنيين وغيرهم. وهذا غيض من فيض مما زخر به كتاب الله، من أحكام وتشريعات، فهو لكل زمان، ومكان، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

لطيفة حول سورة قريش

يقول سبحانه وتعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ [قريش: ١ - ٤]، والإيلاف لغة هو لزوم الشيء والركون اليه رغبة او رهبة، بالإرادة او بالترغيب، وهو التجميع والوصل، وهو التهيئة والتجهيز، وهو الاستجارة والحصول على الامان، وهو العهد والذمام، وهو المداراة والترغيب والحمل على المحبة، (قواميس اللغة). ويمكن جمع كل تلك المعاني في جملة واحدة فنقول هو لزوم الامر واعتياده والاطمئنان اليه.

فإذا تأملنا هذه السورة العظيمة، نجد انها تضع المنهاج العريض والمبادئ الاساسية للحكم وللسياسة. وتتناول ذلك في ثلاث جزئيات هي مقومات الدولة وهي: الحرية، والاقتصاد والأمن. واستنادا الى فهمنا لروح الايات الكريمة نقول: يقول سبحانه ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾ وهذا امر صريح بإخلاص العبادة لله وحده، ولكنه تبارك وتعالى يقول ايضا: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، فالتخيير بين واضح، فإذا كان ذلك مع الله رب العباد، فإنما يدل ذلك على اسمى معاني الحرية، فكل الحريات بعد ذلك متاحة، مهما كانت مسمياتها، عقدية كانت ام دنيوية، شرط ان لا يكون فيها ظلم ولا تعد على حريات الاخرين. وأي دولة لا تقوم على هذا الاساس وهو الحرية فهي ليست بدولة، وإنما هي غابة يأكل الناس فيها بعضهم بعضا.

ثم يقول سبحانه: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ﴾، وهذا هو الاساس الثاني

الذي تقوم عليه الدولة، وهو الاقتصاد، فلا بد للناس من ان تأكل وتشرب لتعيش، ولا يتأتى ذلك إلا باقتصاد مزدهر قوي، يحصل فيه كل فرد على ما يلبي احتياجاته، ويحقق طموحات، وقد وجه سبحانه في السورة الكريمة الى ما يدعم ذلك الاقتصاد وينميه قال تعالى: ﴿ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾. فليست الرحلتان للسياحة ولا للمتعة وقضاء اجازات الصيف والشتاء وغيرها، وإنما هي للتجارة ودعم الاقتصاد والعمل على توفير المال للقيام بمتطلبات الوطن والمواطن. ولا بد للدولة حتى تدعم الاقتصاد وتمارس التجارة من ان تكون دولة منتجة، فلا بد لأبنائها من العمل والكد وبذل الجهد لإنتاج ما يحتاجونه، ولا بد من توفير ما يزيد عن الحاجة، ليتسنى المتاجرة به لتامين ما لا يستطيعون انتاجه مما لا يتوفر لهم الحصول عليه بمقدراتهم. فالسماء لن تمطر لهم ذهبا ولا فضة ليتاجروا. فإذا تحقق الاقتصاد القوي، امكن تامين كل المتطلبات، من انشاء جيش قوي مدرب مجهز بالرجال والسلاح والعتاد، لحماية الوطن والحفاظ على امنه. وأمكن كذلك تامين ما يلزم لمرفقات الدولة، من صحة وتعليم وتنمية في كل مجالات الحياة.

ثم يختم سبحانه الاية بقوله: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾، وهذا هو الاساس الثالث الذي تقوم عليه الدولة، وهو الاطار الشامل الذي يحوي ويحفظ الاساسين السابقين، الحرية والاقتصاد، فان لم يكن أمن، فلا حرية ولا اقتصاد. والأمن بمفهومه العام هو كل ما يؤدي الى الاستقرار والرفاء والرفاه. فالأمن هو محاربة كل ما يؤدي الى اختلال تلك المعايير او انتقاصها، ولذلك كانت الحدود، كحد القتل والحرابة والزنا والسرقة وغيرها، كذلك محاربة الربا، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكل ذلك يعزز الامن ويقويه، ويؤسس لدولة قوية يأمن فيها العباد والبلاد.

وأخيرا وليس آخرا – فالبحث طويل ومتشعب – أليس الدين هو السياسة والسياسة هي الدين، على ان يوضع كل شيء في محله بما له وما عليه، دون ضرر او ضرار، وإنما – من وجهة نظري على الاقل – من قال غير ذلك فمزور أفاق، في نفسه حاجة يريد ان يقضيها بحق مشوه أو بباطل صريح، فالحكومات منذ قامت على مر التاريخ، انما قامت على دين الحاكم، شاء المحكوم أم أبى، كان الدين وثنيا ام سماويا، فالأمر سيان، خذ الارض من أقصاها الى أدناها، من الصين وما جاورها، الى بابل وحران ومصر، الى اليمن والحبشة وكل افريقيا السوداء والبيضاء، الى اوروبا من وثنيتها الى مسيحيتها، الى العالم الجديد من المايا الى الانكا، فالدين والسياسة هما وجهان لعملة واحدة اسمها الحكم. والحكم عهد وميثاق بين الحاكم والمحكوم، فللحاكم السمع والطاعة، ما عدل وانصف، فان ظلم وجار واستبد فلا سمع ولا طاعة، وللمحكوم الامن والاستقرار والرفاه، فان اخل وأفسد استحق الجزاء والعقاب.

القران حبل النجاة في الدنيا والآخرة

ثم ان القران فوق ذلك هو حبل النجاة والمخرج من كل كرب، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[الرعد: ٢٨] وقد جاء في الحديث (عن الحارث الأعور قال: دخلت المسجد فإذا أناس يخوضون في أحاديث، فدخلت على علي فقلت: ألا ترى أن أناسا يخوضون في الأحاديث في المسجد، فقال: قد فعلوها قلت: نعم، قال: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فتن» قلت: وما المخرج منها، قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، فهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم،

وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم ينته الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾، هو الذي من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم»). (سنن الدارمي رقم٣١٩٧)، وقد قيل في هذا الحديث هل هو من كلام رسول الله أم هو من كلام علي، فقد روي الحديث بعدة طرق، فقد رواه محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي، عن الحارث الأعور، كما رواه حمزة بن حبيب الزيات، قال عنه ابن كثير في مقدمة التفسير: (على أنه وإن كان ضعيف الحديث إلا أنه إمام في القراءة والحديث، مشهور من رواية الحارث الأعور وقد تكلموا فيه، بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما إنه تعمد الكذب في الحديث فلا والله أعلم. وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي، رضي الله عنه، وقد وَهِم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ. قال الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه فضائل القرآن: حدثنا أبو اليقظان، حدثنا عمار بن محمد الثوري أو غيره عن أبي إسحاق الهجري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: "إن هذا القرآن مأدبة الله تعالى فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله عز وجل، وهو النور المبين، والشفاء النافع، عِصْمَة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يعوج فيقوم، لا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَق عن كثرة الرد، فاتلوه، فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول لكم الم حرف، ولكن ألف عشر، ولام عشر، وميم عشر"). وهذا غريب من هذا الوجه)، انتهى كلام ابن كثير.

علوم القران

منذ نزول القران انشغل المسلمون بحفظه، واجتهدوا في فهمه، والوقوف على معانيه، والتعرف على أحكامه، وأوامره ونواهيه، فنتج عن ذلك ما يعرف بعلوم القران، عرف بعضها قبل نسخ مصحف عثمان رضي الله عنه: ولما جمع عثمان رضي الله عنه القران، وأمر بنسخه عرف (علم الرسم العثماني). وفي خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبأمر منه، وضع أبو الأسود الدؤلي قواعد النحو لصيانة النطق، وضبط قراءة القران، بما تواتر عن رسول الله ﷺ، ويكفي أن ذلك تم بإشراف الإمام علي رضي الله عنه للرد على من يتهم أهل السنة، بأنهم قد زادوا في القران أو نقصوا منه والعياذ بالله. ومع دخول غير الناطقين بالعربية في الإسلام، ظهرت علوم أخرى، كعلم (إعراب القران)، و(علم التلاوة والتجويد)، و(علم غريب القران)، و(علم أحكام القران). وغيرها من العلوم، وعلى مر العصور ظهرت علوم أخرى كعلم (إعجاز القران) وعلم (ترجمة القران). مع الأخذ بعين الاعتبار انه لا يجوز التعبد بالقران إلا باللغة العربية، لان الترجمة تحد من المعنى، وتضيع كثيرا من الأحكام.

وقد تناول القران الكريم عددا كبيرا من الموضوعات، منها العلوم الدينية، والعقائد، والكتب السماوية، والتشريع، والقضاء، والأحكام، والعبادات، والنظام الاجتماعي، والعلوم الإنسانية، والعلوم العامة، والفنون، وعلم الفلك، والعلوم الطبيعية، وما وراء الطبيعة، والتاريخ والقصص. وغير ذلك الكثير، ولا بد من التنويه هنا، إلى انه لا يجوز ولا يصح الربط المطلق بين آيات كتاب الله، وبين ما اتفق على انه حقائق علمية لا تقبل الشك، ولا يجوز التسرع – وان كان من باب الغيرة على الدين - أقول لا يجوز للمشتغلين بالتفسير المسارعة إلى الأخذ بآيات الله، وزجها في إثبات المطابقة بينها وبين ما يكتشفه العلم الحديث، كما يفعل كثير

من المفسرين في زماننا، فالحقائق العلمية اليوم قد تصبح غدا وهما وباطلا، عند اكتشاف ما يناقضها أو يدحضها، كما لا يجوز ولا يحق لكل من خطر في ذهنه تفسير معين لآية من القران الكريم، ان يعرض ذلك على انه حقيقة وعلم راسخ موثوق، كمن قال - على سبيل المثال وليس الحصر - بخلود الخضر في الحياة الدنيا، أو قال بحياة حوت يونس الابدية، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] وقال أيضاً: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]، أو من قال بسواد بشرة آدم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، وليس السواد من تمام الجمال، او من قال ان رسول الله محمد، نور لا ظل له- عليه وعلى انبياء الله جميعا افضل صلاة وأتم تسليم – قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ...﴾ [الكهف: ١١٠]. والبشر خلقوا من طين. فالحذر الحذر، ولنتأسى بالسلف الصالح من الصحابة الكرام، فقد كانوا يتحرجون، بل ويرفضون تفسير بعض الآيات، بل آمنوا بها وأخذوها كما جاءت وتركوا حقيقة مدلولها لله عز وجل، كتفسير طول يوم المعراج، مرة بالف سنة (السجدة ٥)، ومرة بخمسين الف سنة (المعارج ٤)، كان أحدهم يقول: حاشا لله ان اقول في كتاب الله ما ليس لي به علم. فاتقوا الله ايها المفسرون؛ يا من تستنبطون بخيالكم معاني لا علم لكم بها، ولا قدرة لكم على اثباتها، فالقران الكريم كتاب شرع وعقيدة، وليس كتاب علم خالص، أو تاريخ وسير، أو كتاب أدب، وان كان قد أشار إلى كثير من العلوم، وبين كثيرا من أصولها، كما بينا، فليحذر هؤلاء من مغبة هذا التسرع، فكتاب الله أسمى واجل من أن يوقف لذلك. وسأتحدث عن بعض علوم القران في الصفحات الآتية بقليل من التوسع وبما يناسب الدراسة، وللتوسع والاستزادة يمكن الرجوع إلى ذلك في مصادره.



علم تفسير القران

وهو يختص بتفسير آيات القران وفهمها، كي يتم العمل بها على الوجه الصحيح الذي أراده الله سبحانه، فكان الصحابة رضوان الله عليهم، يتدارسونه فيما بينهم، فإذا أشكل عليهم شيء، ردوه إلى رسول الله فبينه لهم، ولما قبض عليه الصلاة والسلام فسروا القران بالقران وبما بين أيديهم من السنة، فان لم يجدوا اجتهدوا في التفسير، فاخذ التابعون عنهم، واجتهدوا أيضا، وقارنوا ووازنوا بين روايات الصحابة عن رسول الله، وكذلك بين اجتهاداتهم، ثم لما ظهر التفسير كعلم قال السيوطي: (بين العلماء معنى التفسير ومعنى التأويل، فمنهم من فرق بينهما في المعنى والمقصود، وقال بعضهم إن التفسير اعم من التأويل، ومنهم من جعلهما بنفس المعنى والمدلول، كذلك بينوا أهمية هذا العلم والحاجة إليه، وبينوا أنواعه ووضعوا شروطا وآدابا لا بد للمفسر من الالتزام بها ومراعاتها قبل أن يشتغل به) (الإتقان ج١ص٢٠ باختصار) (البرهان في علوم القران ج٢ ص١٤ - ١٥). فلا بد لمن أراد أن يتصدى للتفسير من أن يكون عالما بلغة العرب، متقنا لها متمكنا من كل علومها، من إعراب (بالمعنى النحوي وبالمعنى الاصطلاحي وهو معرفة الألفاظ والمفردات) وقواعد ونحو وصرف وبلاغة، وما إلى ذلك من علوم العربية، ولا بد له من إتقان كل علوم القران، عارفا بها متمكنا منها، (روي عن مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ قال "لَا أُوتَى بِرَجُلٍ يُفَسِّرُ كِتَابَ اللهِ غَيْرِ عَالِمٍ بِلُغَةِ الْعَرَبِ؛ إِلَّا جَعَلْتُهُ نَكَالًا". (البرهان في علوم القران ج١ ص٧).

وقد أدى ظهور علم تفسير القران والاشتغال به بعد ذلك إلى ظهور علم الحديث، بما يشتمل عليه من علوم السند والمتن والجرح والتعديل وعلوم طبقات الرجال، وتصنيفات الرواة وما يتعلق بذلك من العلوم. لمعرفة درجات الحديث

وأنواعه، من متواتر أو آحاد او متفق عليه، ومن مرفوع أو مرسل أو غريب، كذلك معرفة الصحيح والحسن والضعيف والموضوع وما إلى ذلك، حرصا على أن لا ينقل عن رسول الله ﷺ، إلا ما أمكن التيقن من صحته على أحسن الوجوه. وكان من أسباب ظهور علم التفسير انتشار الإسلام ودخول غير العرب فيه ممن لا يعرفون العربية أو لا يتقنونها، وقد اشتغل بعلم التفسير كثير من العلماء على مر العصور، اشتهر منهم على سبيل المثال: الطبري وابن كثير والبغوي، ومن المحدثين وغيرهم كثير، منهم ابن عاشور وغيره. ومما تجدر الإشارة إليه أن الكثير من الصحابة والتابعين كانوا يتحرجون من التفسير، ولا يدلون فيه بدلو، إلا بما علموا وتيقنوا، وفي علم الحديث اشتهر الشيخان البخاري ومسلم، بالصحيحين، واشتهر غيرهما بالسنن، كالترمذي وابن ماجة. وفي الطبقات اشتهر ابن سعد، وفي معرفة الصحابة اشتهر كثيرون.

علم المحكم والمتشابه

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَـٰبَ مِنۡهُ ءَايَـٰتٌ مُّحۡكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌۖ ﴾[آل عمران: ٧]وقال أيضا: ﴿الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود: ١] و(المحكم) و(المتشابه) لفظان متقابلان، إذا ذُكِرَ أحدهما استدعى الآخر ضرورة. وقد أفاض العلماء القول فيهما، وتفاوتت أنظارهم في تعريفهما وحقيقتهما، باعتبارهما بحثان مهمان من أبحاث أصول الفقه. و(المحكم) من حيث اللغة، مأخوذ من حَكَمْتُ الدابة وأحكمتها، بمعنى أحكمت وثاقها، ومنعتها من التفلُّت والهرب. وإحكام الكلام: إتقانه وتمييز الصدق فيه من الكذب. أما (المحكم) اصطلاحًا، فقد اختلفت أنظار أهل العلم في تعريفه، فقال بعضهم: هو ما عُرِفَ المراد منه؛ وقال آخرون: هو ما لا يحتمل إلا وجهاً واحداً؛ وعرَّفه قوم

بأنه: ما استقلَّ بنفسه، ولم يحتج إلى بيان. ويمكن إرجاع هذه التعريفات إلى معنى واحد، هو معنى البيان والوضوح. و(المتشابه) لغة، مأخوذ من الشبه والتشابه، تقول: فلان يشبه فلانًا، أي: يماثله، وله من الصفات ما للآخر. وعلى هذا فتشابه الكلام تماثله وتناسبه، بحيث يصدِّق بعضه بعضًا. أما تعريف (المتشابه) اصطلاحًا، فعرفه بعضهم بأنه: ما استأثر الله بعلمه، وعرفه آخرون بأنه: ما احتمل أكثر من وجه، وقال قوم: ما احتاج إلى بيان، بردِّه إلى غيره. وبناءً على التعريف اللغوي لكلٍ من (المحكم) و(المتشابه) يتضح أنه لا تنافي بين (المحكم) و(المتشابه) من جهة المعنى اللغوي؛ فالقرآن كله محكم، بمعنى أنه متقن غاية الإتقان، وهو كذلك متماثل ومتشابه، بمعنى أنه يصدِّق بعضه بعضًا. والمتشابه أنواع وهي باختصار وفق الآتي:

المتشابه من جهة اللفظ

هو الذي أصابه الغموض بسبب اللفظ، وهو نوعان:

الأول: يرجع إلى الألفاظ المفردة؛ إما لغرابة ذلك اللفظ، كلفظ (الأبّ) في قوله تعالى:﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] فلفظ (الأبّ) يحتاج إلى بيان وتوضيح. وإما لاشتراك ذلك اللفظ في عدة معان، مثل (العين) و(القرء) فلفظ (العين) يطلق على العين الباصرة، ويطلق على العين الجارية، ويطلق على الجاسوس؛ وكذلك لفظ (القرء) يطلق على الحيض، ويطلق على الطُّهر، وكل هذه الألفاظ وما شاكلها من المتشابه، الذي لا يُعرف معناها إلا من خلال السياق الذي وردت فيه، أو عن طريق القرائن التي حُفت بها.

والثاني: يرجع إلى جملة الكلام وتركيبه، من بسط واختصار؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم﴾ [النساء: ٣] ففي الآية خفاء في المراد، جاء من ناحية إيجاز اللفظ، والأصل: وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى لو

تزوجتموهن، فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء. ومعناه: أنكم إذا تحرجتم من زواج اليتامى؛ مخافة أن تظلموهن، فأمامكم غيرهن، فتزوجوا منهن ما طاب لكم.

المتشابه من جهة المعنى

ويُمثَّل له بأوصاف القيامة وأحوالها مما لا نستطيع تصوره؛ لأن فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فإن العقل البشري لا يمكن أن يحيط بحقائق أحوال وأهوال القيامة، ولا بنعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أو عذاب القبر، وكذلك بهيئة الله سبحانه وصفاته، واستواءه، فان هناك من الغيبيات الكثير مما تقف عقولنا عاجزة عن فهمه وإدراكه، وكيف السبيل إلى أن يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه، وما لم يكن فينا مثله ولا جنسه. وكل ما لا يمكن تصوره أو إدراكه بعقول البشر، فيجب على المسلم أخذه والإيمان به كما ورد، والوقوف به عند ذلك.

المتشابه من جهة اللفظ والمعنى معًا

وهو أنواع، لن نقف على تفصيلها هنا، وسنأخذ مثالا واحدا فقط وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾[التوبة: ٣٧] فإن من لا يعرف عادة العرب في جاهليتهم وما كانوا عليه، فإنه يتعذر عليه تفسير هذه الآية ومعرفة المراد منها. ووجود المتشابه في القرآن له فوائد عدة، ذكرها العلماء، منها: الحث على النظر والبحث والتأمل في آيات الله سبحانه. ومنها: إثبات التفاضل والتفاوت في العلم بين العباد؛ إذ لو كان القرآن الكريم كله محكمًا لاستوت منازل الخلق في فهمه، ولم يظهر فضل العالم على الجاهل، ولا الذي يعلم حقيقة القول على الذي يعلم ظاهره، وقد جعل الله بعض القرآن محكمًا؛ ليكون أصلاً للرجوع إليه، وجعل

بعضه متشابهًا يحتاج إلى الاستنباط وإعمال العقل، ورده إلى المحكم. ومنها: ابتلاء العباد بالوقوف عند المتشابه دون الخوض في تأويله وتحميله ما لا يحتمله، وتسليم الأمر فيه إلى الله تعالى. (كالالفاظ الداخلة في باب صفات الله مثلا) فالواجب إثبات ما أثبته الله ورسوله، ونفي ما نفوه، والألفاظ التي ورد بها النص يُعتصم بها في إثبات الصفات ونفيها؛ فنثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفته نصوصهما منهما. وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها فلا تطلق حتى يُنظر في مقصود قائلها؛ فإن كان معنى صحيحًا قُبِلَ، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص، دون الألفاظ المجملة. ومن الجدير بالذكر أن ما ورد في (باب الصفات) من الآيات والأحاديث، ينبغي حمله على ظاهره، من غير تأويل أو تحريف أو تعطيل أو تمثيل؛ وأن ظاهرها لا يقتضي تمثيل الخالق بالمخلوق. فقد ثبت عن الإمام مالك أنه سئل عن الاستواء، فقال: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)(التحرير والتنوير ج٨ ص٨٢). وهذه تفيد أن (الاستواء) معلوم من حيث اللغة؛ مجهول من حيث الكيف، ولا دليل عليه، فالسؤال عنه بدعة، إذ لا يمكن إدراكه أو الوصول إليه، وقد رُوي عن بعض أهل العلم، أنه سئل عن الآيات والأخبار التي فيها من صفات الله تعالى، فقال: نمرها كما جاءت، ونؤمن بها، ولا نقول: كيف وكيف. (موقع إسلام ويب٢٠١٢/٦/٢١ المحكم والمتشابه). باختصار.

تنويه حول التأويل

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧]، قلت: ولا بد من التنويه هنا الى انني ومن خلال دراستي

لتفسير هذه الآية في عدد من التفاسير قد وجدت ان للعلماء قولان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ القول الاول: راى بعضهم ان (الراسخون) مرفوع بالعطف على لفظ الجلالة الله وعليه فان تاويله هو في علم الله وفي علم الراسخين، وممن قال بذلك ابن عباس، قال: انا ممن يعلم تاويله. وعن مجاهد وغيره قولهم: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ يعلمون تاويله ويقولون ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، وهؤلاء ردوا علمهم بتاويل المتشابه على ما عرفوا من تاويل المحكم الذي لا تاويل لاحد به الا تاويل واحد يفسر بعضه بعضا ويصدقه. والراي الثاني الذي قال به آخرون فهو ان (الراسخون) مرفوع على الابتداء وخبره ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾، وذلك ان علم تاويله لا يعلمه الا الله منفردا بعلمه. واما (الراسخون في العلم) فانهم ابتدئ الخبر عنهم بانهم ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ اي آمنا بالمتشابه والمحكم، وان جميع ذلك من عند الله. وممن قال بذلك عائشة رضي الله عنها قالت: كان من رسوخهم في العلم ان آمنوا بمحكمه ومتشابهه، ولم يعلموا تاويله. وكذلك قال هشام بن عروة، كان ابي يقول: ان الراسخين في العلم لا يعلمون تاويله، ولكنهم يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾. وقيل كان ابن عباس يقول بذلك ايضا. ومن الجدير بالذكر ان كثيرين ممن اخذوا بالراي الاول قد غربوا كثيرا حتى ان بعضهم قد اجترأ على التفسير على هواه، وعلى ما يوافق مآربه كما عند بعض الفرق الضالة، فزاغوا فأزاغ الله قلوبهم

علم الناسخ والمنسوخ

وهو من اجل العلوم التي تعين على تفسير القران وفهمه ومعرفة أحكامه، (لذا كان السلف الصالح يرى معرفة الناسخ والمنسوخ شرطا في أهلية المفسر للتفسير



والمحدث للحديث، وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، رضي الله عنهم، لا يرضون لأحد أن يتحدث في الدين إلا إذا كان عارفا وعالما بالناسخ والمنسوخ من القرآن (www.qurancomplex.org/Tree.asp)) وهذا العلم يتناول آيات القران الناسخة، والمنسوخة، ما بقي منها بلفظه وما محي لفظه. وبما يشمله ذلك من أحكام. كما في قوله تعالى﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾[البقرة: ٢١٩] فبين أن في الميسر والخمر نفع وضرر، ولكن الضرر فيهما اكبر من النفع، فنبه الى ذلك دون تحريم.ثم بعد ذلك ممهدا لتحريم شرب الخمر قال جل ذكره:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾[النساء: ٤٣]فحرمها وقت الصلاة وأباحها في غير وقت الصلاة. ثم نزل قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[المائدة: ٩٠]، فحرمها بالكلية **لقوله فاجتنبوه، وذلك امر صريح لا مراء فيه.** ومن الواضح ان اية سورة البقرة قد بقيت بلفظها ولكن حكمها نسخ باية سورة النساء، ثم جاءت آية سورة المائدة فنسخت حكم آية النساء، وان بقيت هي كذلك في لفظها كآية سورة البقرة. وفي القران الكريم غير ذلك كما في الارث وكما في النسب.

علم غريب القران

وهو يتناول معاني الكلمات المفردة من الناحية اللغوية والاصطلاحية. وهو علم لابد لمن تصدى لتفسير القران من معرفته وإتقانه مع تبحره في اللغة العربية وإتقانها، قَالَ مُجَاهِدٌ: لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي كِتَابِ اللهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِلُغَاتِ الْعَرَبِ). (البرهان في علوم القران ج١ ص٧).



علم أسباب النزول

وهو يتناول أسباب نزول الآيات والسور، ومكان نزولها، ووقت النزول، وفيمن وفيما نزلت. وذلك مما يعين على التفسير كما قال الإمام ابن تيمية: (ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب)(مقدمة في أصول التفسير ص١) وبمثل ذلك قال اغلب العلماء والمفسرين.

علم القراءات

أجمع أهل العلم على أن القرآن الكريم نُقل إلينا عن النبي ﷺ بروايات متعددة متواترة، ووضع العلماء لذلك علماً أسموه علم "القراءات القرآنية" بينوا فيه المقصود من هذا العلم، وأقسام تلك القراءات وأنواعها، وأهم القراء الذين رووا تلك القراءات، إضافة لأهم المؤلفات التي دوَّنت في هذا المجال. والقراءات لغة، جمع قراءة، وهي في الأصل مصدر الفعل "قرأ"، وقد اصطلح العلماء على تعريف علم القراءات بأنه: العلم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها، منسوبة لناقلها. وقد قسَّم أهل العلم القراءات القرآنية إلى قسمين رئيسين هما: القراءة الصحيحة، والقراءة الشاذة.

والقراءة الصحيحة يجب أن توافق ثلاثة شروط وهي:

- أن توافق وجها صحيحا من وجوه اللغة العربية.
- أن توافق القراءة رسم مصحف عثمان رضي الله عنه.
- أن تنقل إلينا نقلا متواترا، أو بسند صحيح مشهور.

فان وافقت شرطان ولم توافق الثالث، فهي قراءة شاذة، وأطلق عليها القراءة التفسيرية، بمعنى جواز تعلمها وتدوينها وتفسير القران بها، ومنها قراءة ابن مسعود

قوله تعالى: ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] قرأها: (فاقطعوا أيمانهما)، وقرأ أبي بن كعب قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠] قرأها (مروا فيه) و(سعوا فيه)، وقرأت عائشة وحفصة قوله تعالى:﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾[البقرة: ٢٣٨] قرأتا (والصلاة الوسطى صلاة العصر)، وابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ۝٧٩ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ﴾ [الكهف: ٧٩ - ٨٠] فقد قرأها: (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا * وأما الغلام فكان كافرا) رضي الله عنهم أجمعين. فكل قرأ بما سمع.(موقع إسلام ويب ٢٠١١/١٢/١٥ حقيقة القراءات القرآنية)، راجع أيضا: (النشر في القراءات العشر ج١ ص١) [أَرْكَانُ الْقِرَاءَةِ الصَّحِيحَةِ]

القراءات بحسب أسانيدها

وقد نقل السيوطي عن الجزري انه قسمها بحسب السند إلى ستة أقسام هي:

١. **المتواتر:** وهو ما نقله جمع غفير لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى نهاية السند. وهو يشمل القراءات العشر المتواترات المشهورة. ولا تصح القراءة، ولا التعبد إلابه ولا تجوز بغيره.

٢. **المشهور:** وهو ما صح سنده ولم يخالف الرسم ولا اللغة واشتهر عند القراء، فلم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ، وان لم يبلغ درجة التواتر، وهذا لا تصح القراءة به، ولا يجوز رده ولا يحل إنكاره.

٣. **الآحاد:** وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية، أولم يشتهر الاشتهار المذكور، ولا تجوز القراءة به، مثل قراءة أبي بكرة: (رفارف خضر وعباقري حسان)، والصواب الذي اجمع عليه القراء (رفرف خضر وعبقري حسان).

الرحمن – ٧٦، وما شابه ذلك.

٤. **الشاذ:** وهو ما لم يصح سنده ولو وافق رسم المصحف والعربية، مثل قراءة (ملك يوم الدين)، بصيغة الماضي في (ملك) ونصب (يوم) مفعولا.

٥. **الموضوع:** وهو المختلق المكذوب، كقراءات الخزاعي، وتحرم القراءة به.

٦. **ما يشبه المدرج من أنواع الحديث:** وهو ما زيد في القراءة على وجه التفسير، وتحرم القراءة به. ومن ذلك قراءة ابن عباس(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ) فان قوله: في مواسم الحج، هي زيادة للتوضيح وليست من القران. وقَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ فِي آخِرِ كَلَامِهِ: وَرُبَّمَا كَانُوا يُدْخِلُونَ التَّفْسِيرَ فِي الْقِرَاءَةِ إِيضَاحًا وَبَيَانًا؛ لِأَنَّهُمْ مُحَقِّقُونَ لِمَا تَلَقَّوْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قُرْآنًا، فَهُمْ آمِنُونَ مِنَ الِالْتِبَاسِ، وَرُبَّمَا كَانَ بَعْضُهُمْ يَكْتُبُهُ مَعَهُ . وَأَمَّا مَنْ يَقُولُ: إِنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ كَانَ يُجِيزُ الْقِرَاءَةَ بِالْمَعْنَى، فَقَدْ كَذَبَ. انْتَهَى. (الإتقان في علوم القران ج١ ص٥)

قلت: والالتباس لا يقع من الصحابة بل من الرواة وممن اخذ عنهم. والقراءات الأربعة الأخيرة لا تحل القراءة بها مطلقا، ويعاقب من قرأ بها.

القراءات بحسب المدن

كان العديد من صحابة رسول الله ﷺ، من حفظة القران وممن وهبهم الله جمال الصوت وإجادة القراءة، حتى أن رسول الله كان يحب أن يسمعه منهم، ومنهم أبو موسى الأشعري، وأسيد بن الحضير، رضي الله عنهما، ومنهم من شرفه عليه الصلاة والسلام بالثناء عليه، روى البخاري (الحديث ٥٠٥٠) قال: حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة عن عمرو عن إبراهيم عن مسروق ذكر عبد الله بن

عمر وعبد الله بن مسعود فقال لا أزال أحبه سمعت النبي ﷺ يقول "خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبى بن كعب".

وقد انتشر العديد من الصحابة والتابعين في الأمصار، واشتهر من بعدهم الكثير من القراء منذ عهد الصحابة والتابعين بحفظ القران، والاتفاق عليه من حيث حفظه وإتقان ضبط أداءه والتفرغ لتعليمه، حتى صاروا أعلاما يقتدى بهم، ويرحل إليهم، ويؤخذ عنهم، فاجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول، ولم يختلف عليهم اثنان، وبسبب تصديهم للقراءة نسبت إليهم، وهم بحسب مدنهم:

١) **المدينة المنورة:** أبو جعفر يزيد بن القعقاع، ثم شيبة بن نصاح، ثم نافع بن أبي نعيم

٢) **مكة المكرمة:** عبد الله بن كثير، وحميد بن قيس الأعرج، ومحمد بن محيصن.

٣) **الكوفة:** يحيى بن وثاب، وعاصم بن أبي النجود الأسدي، وسليمان الأعمش، ثم حمزة بن حبيب الزيات، ثم أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي.

٤) **البصرة:** عبد الله بن أبي اسحق، وعيسى بن عمر، وأبو عمرو بن العلاء، ثم عاصم الجحدري، ثم يعقوب الحضرمي.

٥) **الشام:** عبد الله بن عامر، وعطية بن قيس الكلابي، وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر، ثم يحي بن الحارث الذماري، ثم شريح بن زيد الحضرمي.

(النشر في القراءات العشر ج١ ص١)

القراء السبعة والعشرة

كان أول من جمع القراءات في كتاب هو الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام، المتوفى سنة أربع وعشرين ومائتين، وعد خمسة وعشرين قارئا، مع السبعة. ثم جاء

بعده العديد من الأئمة الذين كتبوا في ذلك، فمنهم من زاد في العدد ومنهم من نقص، إلى أن جاء الإمام أبو بكر احمد بن موسى بن العباس المشهور بابن مجاهد، المتوفى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، واقتصر على قراءات سبعة فقط. (النشر في القراءات العشر ج١ ص٢). فقد رأى أن يجمع المشهور من قراءات الحرمين، والعراقين، والشام، فمن هذه الأقطار الخمسة خرج علم النبوة، من القران والتفسير، والحديث والفقه، وسائر العلوم الدينية، ورأى أن يجمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قراء هذه الأقطار، ولم يكن ذلك لاعتقاده أن تلك هي الحروف السبعة التي انزل عليها القران، والتي لا تجوز القراءة بغيرها، إلا أن بعض الجهلة قد اعتقد ذلك، ولذلك كره كثير من الأئمة المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء وخطئوه في ذلك. (قَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَمَّارٍ الْمَهْدَوِيُّ: وَلَقَدْ فَعَلَ مُسَبِّعُ هَؤُلَاءِ السَّبْعَةِ مَا لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَفْعَلَهُ، وَأَشْكَلَ عَلَى الْعَامَّةِ حَتَّى جَهِلُوا مَا لَمْ يَسَعْهُمْ جَهْلُهُ وَأَوْهَمَ كُلَّ مَنْ قَلَّ نَظَرُهُ أَنَّ هَذِهِ هِيَ الْمَذْكُورَةَ فِي الْخَبَرِ النَّبَوِيِّ لَا غَيْرَ وَأَكَّدَ وَهْمَ اللَّاحِقِ السَّابِقُ، وَلَيْتَهُ، إِذِ اقْتَصَرَ نَقَصَ عَنِ السَّبْعَةِ، أَوْ زَادَ لِيُزِيلَ هَذِهِ الشُّبْهَةَ. وَقَالَ أَيْضًا: الْقِرَاءَةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ الَّتِي لَا يَجُوزُ رَدُّهَا مَا اجْتَمَعَ فِيهَا الثَّلَاثَةُ الشُّرُوطُ فَمَا جَمَعَ ذَلِكَ وَجَبَ قَبُولُهُ وَلَمْ يَسَعْ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَدُّهُ، سَوَاءٌ كَانَتْ عَنْ أَحَدِ الْأَئِمَّةِ السَّبْعَةِ الْمُقْتَصَرِ عَلَيْهِمْ فِي الْأَغْلَبِ أَوْ غَيْرِهِمْ). (النشر في القراءات العشر ج١ ص٢).

وقد كتب كثيرون بعده أيضا في القراءات وطرق رواياتها وألفوا في ذلك الكثير من المصنفات والكتب. ومن الأئمة من اعترض على بعض السبعة ورأى أن في غيرهم من هو أكثر اتقانا منهم وقال: لولا أن ابن مجاهد سبقني لجعلت يعقوب الحضرمي مكان حمزة ابن حبيب. وقد بنى ابن مجاهد اختياره على شروط عالية، فلم يأخذ إلا عن إمام اشتهر بالضبط والأمانة، وطول العمر في ملازمة الإقراء، مع

الاتفاق على الأخذ منه، والتلقي عنه، فاختار سبعة من المشاهير هم:

١) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني، المتوفى بالمدينة سنة (١٦٩ هـ). تابعي جليل أخذ القراءة عن عبد الرحمن بن هرمز، وأبي جعفر يزيد بن القعقاع، وشيبة بن نصاح، ومسلم بن جندب، ويزيد بن رومان. وهؤلاء منهم من اخذ عن أبي هريرة وابن عباس، وعن ابن عياش عن أبي بن كعب، وعن الزبير وابن عمر، وعائشة وأم سلمة أمهات المؤمنين، رضي الله عنهم أجمعين. ويروى انه قال: قرأت على سبعين من التابعين، فنظرت إلى ما اجتمع عليه اثنان منهم فأخذته، وما شذ فيه واحد فتركته، حتى الفت هذه القراءة في هذه الحروف. وقد روي عن مالك بن انس قال: قراءة نافع سنة. وقد تتلمذ على يديه كثيرون، وكان ممن اشتهر بالرواية عنه قالون وورش.

٢) عبد الله بن كثير الداري المكي، المتوفى بمكة سنة (١٢٠ هـ)، تابعي جليل قيل لقي من الصحابة عبد الله بن الزبير، وأبا أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك رضي الله عنهم، وأخذ القراءة عن عبد الله بن السائب المخزومي، وقرا على مجاهد تلميذ ابن عباس وعلى درباس مولاه، وابن عباس قرأ على أبي بن كعب. وأشهر رواته بالواسطة بينه وبين تلاميذه محمد بن عبد الرحمن المعروف بقنبل واحمد بن محمد بن أبي بزة المعروف بالبزي.

٣) عاصم بن أبي النجود الاسدي الكوفي، المتوفى بالكوفة سنة (١٢٧ هـ). قال تلميذة أبو بكر بن عياش: قال لي عاصم: ما اقرأني احد حرفا إلا أبو عبد الرحمن السلمي، وكان ابو عبد الرحمن قرأ على علي رضي الله عنه، وكنت ارجع من عند أبي عبد الرحمن فاعرض على زر بن حبيش، وكان زر قرأ على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وكان عاصم في زمانه، مقدما، مشهورا

بالفصاحة، معروفا بالإتقان. ورواته – دون واسطة – حفص بن المغيرة وشعبة بن عياش.

٤) حمزة بن حبيب الزيات الكوفي، المتوفى سنة (١٥٦ هـ). صارت إليه القراءة بعد وفاة عاصم. اخذ القراءة عن **أبي محمد سليمان بن مهران** الأعمش وكان الأعمش يقرا بقراءة ابن مسعود، وعن ابن أبي ليلى وكان هذا يقرا بقراءة علي، وعن السبيعي الذي كان يأخذ من هذا وذاك. اخذ عنه الكثيرون واهم رواته خلف بن هشام البزار وعدد غيره.

٥) أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي الكوفي، توفي برنبوبة من قرى الري بإيران سنة (١٨٩ هـ) وهو بصحبة الرشيد. تلميذ حمزة الزيات، اخذ منه ومن غيره واختار قراءة متوسطة غير خارجة عن آثار من تقدم من الأئمة. وكانت العربية علمه وصناعته، وكان الناس في عصره يأخذون قراءتهم عنه وينقطون بها مصاحفهم، ومن أهم رواته حفص بن عمر الدوري، وأبو الحارث الليث بن خالد.

٦) أبو عمرو بن العلاء واسم أبي عمرو زبان، عربي ولد بمكة ونشا بالبصرة وتوفي بالكوفة سنة (١٥٤ هـ). كان إمام القراء بالبصرة، والى قراءته صار أهل البصرة أو أكثرهم. قرأ على مجاهد وسعيد بن جبير ويحيى بن يعمر وابن كثير وحميد بن قيس وغيرهم، ولم يكن في القراء أكثر شيوخا منه، وكان يلتزم قراءة أهل الحجاز. روى عنه كثيرون منهم يونس بن حبيب، وحماد بن يزيد. وجم غفير من القراء لا مجال لذكرهم لكثرتهم.

٧) عبد الله بن عامر اليحصبي، إمام القراء بالشام وهو عربي تابعي لقي عددا من الصحابة توفي بدمشق سنة (١١٨ هـ). اخذ القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب

المخزومي، والمغيرة أخذها عن عثمان رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ. واهم رواته – بواسطة أصحابه – هشام بن عمار، وابن ذكوان. (كتاب السبعة من ص ٥٣ إلى ص٨٧)

وليست هذه كل القراءات المعروفة، بل هي التي وافقت شروط ابن مجاهد فاختارها. وقد عاب المتأخرون من الأئمة على ابن مجاهد أيضا اقتصاره على ذكر اثنين فقط من الرواة لكل واحد من السبعة، مع أن الرواة عنهم كثيرون وليس لمن ذكر فضل عليهم، بل إن في غيرهم من هو أفضل منهم. وقد تابع العلماء البحث لتحديد القراءات المتواترة، حتى استقر البحث العلمي على زيادة ثلاث أخرى، أضافها الإمام محمد بن محمد الجزري المعروف بابن الجزري، وهي قراءة الأئمة:

١) أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، المتوفى سنة (١٣٠ هـ).

٢) يعقوب بن اسحق الحضرمي الكوفي، المتوفى سنة (٢٠٥ هـ).

٣) خلف بن هشام البغدادي، المتوفى سنة (٢٢٩ هـ).

مع العلم ان هناك غير هؤلاء كثيرون (النشر في القراءات العشر ج١ ص٢).

وهناك قراءات أخرى شاذة لا يصح التعبد بها، لكن يستدل بها أحيانا من الناحية اللغوية، اشتهر منها أربعة أشرت إليها في البند الأول.

الأحرف السبعة والقراءات السبع والعشر

تكلمت في البنود السابقة عن القراءات العشرة، بإيجاز يكفي لخدمة هذه الدراسة، مع العلم أن هذا العلم واسع، متشعب، اشتغل به العديد من العلماء والأئمة، على رأسهم الإمام ابن الجزري، وألف فيه كتبا منها: كتاب التمهيد في علم التجويد، وكتاب طيبة النشر في القراءات العشر، والإمام القاسم بن فيرة الشاطبي الاندلسي، ألف كتاب متن حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات

العشر، ومن العلماء المحدثين، الشيخ محمود خليل الحصري، ألف كتاب أحكام قراءة القران الكريم، وغيره كثير من المهتمين بهذا العلم السامي. وقد نوهت إلى أن القراءات السبع، وفيما بعد العشر، ليست هي الأحرف السبعة التي انزل عليها القران. إي ليست كل قراءة من السبعة أو العشرة هي حرف، وإنما يعني ذلك أن كل قراءة إنما هي طريق راو معين اخذ برواية معينة، ولا يمنع ذلك أن يجتمع في الرواية الواحدة أكثر من حرف، مما اثبت من الحروف عند كتابة المصحف الإمام، المعروف بمصحف عثمان. قال القرطبي: (قال كثير من علمائنا كالداودي وابن أبي صفرة وغيرهما: هذه القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة، ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها، وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة، وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف، وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء، وذلك أن كل واحد منهم اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى، فالتزمه طريقة ورواه واقرأ به واشتهر عنه، وعرف به ونسب إليه، فقيل: حرف نافع، وحرف ابن كثير، ولم يمنع واحد منهم اختيار الأخر ولا أنكره بل سوغه وجوزه، وكل واحد من هؤلاء السبعة روي عنه اختياران أو أكثر، وكل صحيح).(تفسير القرطبي ص٤)

الأحرف السبعة

يعتبر موضوع نزول القران على سبعة أحرف من الموضوعات الشائكة، فقد تعددت فيه أقوال العلماء والمفسرين، واختلفت نظرتهم إليها، كما اختلف فهمهم لها، وذلك تبعا لما اخذ به كل منهم مما وصل إليه أو اعتمده من أقوال الصحابة، ومما اجمع عليه اغلب العلماء صحة وتواتر الأحاديث التي ذكرته، أورد السيوطي في كتاب (الأزهار المتناثرة ص١٦٣) حديث (انزل القران على سبعة أحرف)، مرويا عن أربع وعشرين صحابيا، وبين طرقه وتخريجاته وتصحيحه، وقال ما منهم إلا رواه

وحكاه، سأذكر بعض الروايات عن بعضهم: قال البخاري في الصحيح: حدثنا سعيد بن عفير قال: حدثني الليث قال: حدثني عقيل عن ابن شهاب قال: حدثني عبيد الله بن عبد الله أن ابن عباس، رضي الله عنهما، حدثه أن رسول الله ﷺ قال: (أقرأني جبريل على حرف فراجعته فزادني، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف). زاد مسلم في صحيحه عن ابن شهاب: بلغني أن تلك السبعة، في الأمر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام. (رواه البخاري برقم ٣٠٤٧) و(رواه مسلم برقم ٨١٩).

وفي صحيح البخاري أيضا عن سعيد بن عفير قال: حدثني الليث قال: حدثني عقيل عن ابن شهاب قال: حدثني عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القاري حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة "الفرقان" في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أُساوره – أي أثب عليه – في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه – أي أمسك بردائه من موضع عنقه – فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت، أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقتُ به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال: أرسله يا عمر، – أي اتركه – اقرأ يا هشام، فقرأ القراءة التي سمعته يقرؤها، قال رسول الله ﷺ: كذالك أنزلت، ثم قال: أقرأ يا عمر، فقرأت التي أقرأني، فقال: كذلك أنزلت، (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه). وقد رواه مسلم أيضا في صحيحه. (واللفظ للبخاري برقم ٢٢٨٧ ومسلم برقم ٨١٨).

وروى مسلم (باب نزل القران على سبعة أحرف برقم ١٩٤١) بسنده عن أبى بن كعب رضي الله عنه قال: " كنت في المسجد، فدخل رجل يصلى، فقرأ قراءة أنكرتها عليه،

ثم دخل آخر، فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله، فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبة. فأمرهما رسول الله فقرأ، فحسن النبي شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب وَلاَ إِذْ كنتُ في الجاهلية فلما رأى رسول الله ما قد غشيني ضرب في صدري، ففضت عرقاً، وكأنما انظر إلى الله فرقاً فقال لي (يا أُبي أُرسلَ إِليَ: أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه: أن هون على أمتي، فرد إلي الثانية: اقرأه على حرفين فرددت إليه: أن هون على أمتي، فرد إلي الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردةٍ رددتها مسألة تسألينها، فقلت: "اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم") ﷺ.

مما سبق يتضح جليا أن القران بالحروف السبعة التي انزل عليها، هو من عند الله، وليس لرسول الله ﷺ، ولا لصحابته من بعده رضوان الله عليهم، لا قبل كتابة مصحف عثمان ولا بعد كتابته، أي تدخل أو اثر في ما انزل الله سبحانه، فقد نقله عليه الصلاة والسلام إلى صحابته عن ربه كما نقله إليه جبريل عليه السلام، والصحابة نقلوه إلى من تبعهم كما سمعوه من في رسول الله، حتى وصل إلينا متواترا، لم يدخله زيادة ولا نقصان ولا تحريف، ومن المعلوم والثابت أن جبريل عليه السلام كان يعارض رسول الله ﷺ بالقران في كل رمضان مرة، وبما أن القران نزل على سبعة أحرف، فمن البدهي أن المعارضة كانت في كل مرة بحرف، أو بحروف. وعليه فقد قال رسول الله لعمر بن الخطاب في سورة الفرقان لما قراها عليه (كذلك أنزلت)، وكذلك لما قرأ هشام بن حكيم نفس السورة، ولكن بحرف آخر غير الذي قرأ به عمر، قال له عليه الصلاة والسلام (كذلك أنزلت)، فذلك يوضح أن عمر قرأ على إحدى قراءات جبريل التي اقرأه إياها رسول الله، وهشام قرأ على قراءة أخرى من معارضة أخرى اقرأه إياها رسول الله، وكلا القراءتين

صحيح، وان لم يكن أي منهما قد عرف بقراءة صاحبه.

ونزول القران على الحروف السبعة كان معروفا للصحابة - رضي الله عنهم- على عهد رسول الله ﷺ، ولم يكن بدعة ظهرت لما كتب عثمان رضي الله عنه المصاحف وأرسل بها إلى الأمصار، ومنها مصحفه الذي خص به نفسه، غير منقوط ولا مشكول - لأنه لم يكن في العربية نقط ولا شكل على عهد عثمان – ولم يكن ذلك كما يدعي المدعون ممن أزاغ الله أبصارهم وقلوبهم، كالروافض الذين قال قائلهم المدعو أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني في كتابه المسمى الكافي، فقد قال (الكافي ج/٢ ص/٦٣٠برقم ١٢ و١٣): ما نصه: (عن الإمام الباقر قال: (إن القران واحد نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة) وعن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الناس يقولون أن القران نزل على سبعة أحرف، فقال: كذبوا أعداء الله، ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد!). انتهى كلام الكليني. وأقول إن أبا عبد الله والباقر رضي الله عنهما، منه ومن الروافض براء. وما كانا ليسبا أصحاب رسول الله، وما أظن انه خفي عنهما حديثه عليه السلام الذي رواه عدد كبير من العلماء، وروي عن البخاري ومسلم في (اللؤلؤ والمرجان في ما اتفق عليه الشيخان برقم ١٦٤٩) من حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي. فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْل أُحُدٍ ذَهَباً، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَه".

ويظهر من الروايات السابقة: أن اختلاف القراء إنما حدث في حياة الرسول ﷺ فيما تلاه عليهم وسمعوه منه مشافهة، ولم يأت هذا الخلاف نتيجة النظر في المصحف المكتوب المقروء الخالي من النقط والشكل، وذلك دليل صحة القراءة على أكثر من وجه. فلو كان خلو المصاحف من الشكل سبباً في تنوع القراءات،

لكان القارئ الذي يقرأ الكلمة وفق رسم معين، يلتزمه في أمثاله ونظائره حيث وقع في القرآن الكريم، وذلك ما لم يحدث. ومثال ذلك قوله تعالى في فاتحة الكتاب ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[الفاتحة: ٤]وقوله سبحانه ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ [آل عمران: ٢٦] وقوله تعالى في سورة الناس ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾[الناس: ٢]فلو تأملت المواضع الثلاثة في المصحف لوجدت الكلمة فيها كلها هكذا "ملك" بالميم واللام والكاف فقط، ولكن حفصاً يقرأ عن عاصم، في الفاتحة "مالك" بالألف بعد الميم، وكذلك يقرأ آية آل عمران، أما في سورة الناس فيقرأ "ملك" من دون الألف ولو كان حفص يقرأ وفق رسم المصحف لقرأ في المواضع الثلاثة "ملك"، ولكنه يقرأ بالرواية المتواترة عن رسول الله.

وكذلك قد تختلف القراءات أحياناً لغة ونحواً، وذلك راجع إلى التلقي والرواية، لا إلى القاعدة اللغوية أو النحوية ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ جاءت هذه الآية في موضعين [النساء: ٩٥ والحديد: ١٠] ويقرأ القراء جميعاً "كلاً" بالنصب في الآيتين، لكن ابن عامر يقرأ آية النساء بالنصب؛ كسائر القراء، أما آية الحديد فيقرأها وحده "وكل" بالرفع، فلو كان ابن عامر يقرأ وفق القاعدة النحوية لقرأ الآيتين بالرفع، ولكنه قرأ بالرواية التي تلقاها هو بالتواتر عن سيدنا رسول الله:مرة بالنصب، ومرة بالرفع، مع أن تركيب الآية واحد في الموضعين. ومثال آخر ظاهرة الإمالة الصوتية، وهى "التنحي بالألف نحو الياء، فيلزم أن تنحى بالفتحة قبلها نحو الكسرة"، وهى لغة بعض القبائل العربية، وقد قرأ بها بعض القراء في أكثر من موضع، والتزموها حيث وجدت دواعيها في القرآن الكريم، لكن حفصاً الذي يقرأ بقراءته، كثير من المسلمين الآن بروايته عن عاصم، لم يقرأ بالإمالة إلا في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾ [هود: ٤١]،

فكل منهم قرا بما اخذ عن شيخه متواترا، وكلهم على صواب.

وهكذا يختلف القراء ويتفقون بحسب الرواية والتلقي، وليس بحسب آراءهم أو بحسب رسم المصحف أو الوجه النحوي أو اللغوي، صحيح أن هذين في الاعتبار، ولكن بعد ثبوت الرواية بالتواتر، والسند الصحيح إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام، مع موافقة الرسم العثماني، وأن يكون للقراءة وجه صحيح من العربية.فإذا قرأ واحد من القراء السبعة أو العشرة؛ قراءة كنافع أو عاصم أو الكسائي، فليس ذلك أنها من اختراعه أو ابتداعه، ولكنها اختياره الذي ارتضاه من طريق الرواية المسندة الصحيحة.. ولذلك أثر عن أبي عمرو بن العلاء وهو أحد القراء السبعة قوله "لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قرئ به لقرأت كذا وكذا وذكر حروفاً"ويريد بذلك أن القراءة سنة واتباع وأثر، لا دخل فيها للسليقة أو الاستحسان اللغوي أو الترجيح النحوي أو رسم المصحف، ومن ثم يرى كثير من العلماء أن ترجيح قراءة متواترة على قراءة متواترة لا يجوز. يقول أبو العباس ثعلب "إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة، لم أفضل إعراباً على إعراب في القرآن، فإذا خرجت إلى الكلام، كلام الناس فضلت الأقوى". ولكل بلد من بلاد المسلمين قراءة معروفة، فيقرأ أهل المغرب على سبيل المثال برواية ورش عن نافع، بينما يقرأ المشارقة برواية حفص عن عاصم.

وأعود إلى حديث أبي بن كعب فقد علق عليه القرطبي فقال: "فكان هذا الخاطر الذي سقط في نفس أبي من قبيل ما قال فيه النبي ﷺ حين سألوه:(إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال: أوقد وجدتموه ؟ قالوا: نعم، قال ذلك صريح الإيمان") رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة (باب الوسوسة في الإيمان ٣٥٧)، وعليه فان ما خطر لسيدنا أبى بن كعب، لا يمس مقامه، ولا يثلم إيمانه، فقد دفعه بإرشاد رسول الله عليه الصلاة والسلام سريعاً حتى قال: "ففضت عرقاً، وكأني



انظر إلى الله فرقاً. ولقد كان اختلاف الصحابة في أمر القراءة كما في حديث أبي وعمر، إنما كان قبل أن يعلموا أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فلما علموا ذلك، اطمأنت إليه نفوسهم، وعمل كل منهم بما علم، وصاروا مراجع مهمة للقرآن الكريم على اختلاف رواياته.

معنى الحرف

تشابه القول في معني الحرف في قواميس اللغة، اخترت منها ما جاء في لسان العرب (وهو في اللغة: الحرف من كل شيء طرفه وشفيره وحده، ومن الجبل أعلاه وهو واحد حروف التهجي. وفي النحو هو: الأداة التي تسمى الرابطة لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل كعن وعلى ونحوهما)، وهو ليس باسم ولا فعل. واصطلاحا هو: الوجه في القراءة كقولك قرأت على حرف ابن مسعود أي على نحو ما قرأ أو على الوجه الذي قرأ به. وهذا انسب المعاني للأحرف السبعة (كما قال بعض العلماء وأنا أؤيد هذا القول). وفي القران قال تعالى:﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[الحج: ١١]وفي الآية انه يعبد الله على وجه السراء فان أصابه ضر كفر وانقلب إلى وثنيته وضلاله. وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة وتعددت أقوالهم قال القرطبي في مقدمة كتاب التفسير: (حتى زادت عن خمسة وثلاثين قولا كما ذكرها أبو حاتم محمد بن حبان البستي)، وذكر السيوطي في (الإتقان ج١ ص ٣) ستة عشر قولا. وذكر بعدها أقوال ابن حبان كاملة. وقد اختار القرطبي خمسة أقوال، واخترت منها ثلاثة أقوال رجحتها ولا ينفي ذلك صحة غيرها والله اعلم وهي:

القول الأول

وهو الذي عليه أكثر أهل العلم كسفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب والطبري والطحاوي وغيرهم: أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة، نحو اقبل وتعال وهلم. وروي عن ابن عباس عن أبي بن كعب إن كان يقرأ ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا﴾: للذين آمنوا أمهلونا، للذين آمنوا أخرونا، للذين آمنوا ارقبونا.وبهذا الإسناد عن أبي أنه كان يقرأ ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ﴾: مروا فيه، سعوا فيه. وفي البخاري ومسلم قال الزهري:إنما هذه الأحرف في الأمر الواحد ليس يختلف في حلال ولا حرام. وعلل الطحاوي ذلك بقوله: إنما كانت السعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم، لأنهم كانوا أميين لا يكتب إلا القليل منهم، وكان يشق على كل ذي لغة أن يتحول إلى غيرها من اللغات، ولو أراد ذلك لشق عليه، فوسع لهم في اختلاف الألفاظ إذ كان المعنى متفقا،. والاختلاف هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد أو تعارض.

القول الثاني

هي سبع لغات في القرآن على لغات العرب، يمنها ونزارها، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، ولكن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن. قال الخطابي: على أن في القرآن ما قد قرئ بسبعة أوجه، كقوله تعالى: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[المائدة: ٦٠] وقوله: ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ﴾ [يوسف: ١٢]، وغيرها. وممن اخذ بهذا القول أبو عبيد القاسم بن سلام وابن عطية. وقال أبو عبيد: وبعض الأحياء أسعد وأكثر حظا فيها من بعض، (أي جاء بلسانهم أكثر مما جاء

بلسان غيرهم). وذكر عن انس قوله أن عثمان قال لهم حين أمرهم أن يكتبوا المصاحف: ما اختلفتم وزيد فيه فاكتبوه بلغة قريش، فانه نزل بلغتهم. (يريد معظمه وأكثره). ذكره البخاري. ومما يؤيد من ذهب إلى هذا القول قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢] فدل ذلك على أنه منزل بجميع لسان العرب، ومما يؤيد هذا القول انكار عمر بن الخطاب على هشام بن حكيم – رضي الله عنهما – كما في الحديث السابق. مع انهما قرشيان لغتهما واحدة، ولكن اختلفت قراءة كل منهما حسبما سمع من رسول الله ﷺ.

القول الثالث

تغير القراءة على سبعة أوجه كما في الدلائل عن بعض العلماء، وكما قال القاضي ابن الطيب: تدبرت وجوه الاختلاف في القراءة فوجدتها سبعا: منها ما تتغير حركته، ولا يزول معناه ولا صورته، مثل ﴿هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾[هود: ٧٨] واطهر، ومثل ﴿وَيَضِيقُ صَدۡرِي﴾ [الشعراء: ١٣] ويضيق. (بفتح الراء، والقاف). ومنها مالا تتغير صورته ويتغير معناه بالإعراب، مثل ﴿رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩]، قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بعد بالتشديد من التبعيد، وقرأ الآخرون: باعد، بالألف، وكل على وجه الدعاء والسؤال، وقرأ يعقوب: رَبُّنَا برفع الباء، بَاعد بفتح العين والدال على الخبر، كأنهم استبعدوا أسفارهم القريبة. ومنها ما تبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف، مثل ﴿نُنشِزُهَا﴾ وننشرها. ومنها ما تتغير صورته ويبقى معناه: ﴿كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾ وكالصوف المنفوش. ومنها ما تتغير صورته ومعناه، مثل ﴿وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ﴾ وطلع منضود. ومنها بالتقديم والتأخير

كقوله: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ﴾(وجاءت سكرة الحق بالموت). ومنها بالزيادة والنقصان، مثل قوله: ﴿تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ﴾ [ص: ٢٣] (تسع وتسعون نعجة أنثى)، وقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ﴾[الكهف: ٨٠](وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين). (تفسير القرطبي ص٣) باختصار وتصرف.

الحكمة من نزول القران على سبعة أحرف

أولاً

تيسير القراءة والحفظ على الأمة، فلكل قبيلة منهم لسان ولا عهد لهم بشرائع ولا بكتب.

ثانيا

إظهار فضيلة الأمة الإسلامية وقرآنها: وذلك أن كل كتاب تقدم نزوله على القران، فإنما نزل بلسان واحد، وأنزل القران بألسن سبعة بأيها قرأ القارئ كان تالياً لما نزل فيه.

ثالثا

إعجاز القرآن في معانيه وأحكامه؛ فإن تقلب الصور اللفظية في بعض الأحرف والكلمات وتعدد القراءات يتهيأ معه استنباطُ الأحكام ومن أمثلة ذلك آية الوضوء: ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾[المائدة: ٦]، قرئ: ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ بالنصب عطفاً على المغسولات السابقة، فأفاد وجوب غسل القدمين في الوضوء، وقرئ بالجر، فقيل: هو جر على المجاورة، وقيل: هو بالجر لإفادة المسح على الخفين، وهو قول جيد.

رابعا

بيان إعجاز القرآن للفطرة اللغوية، فبالرغم من نزوله على لغات متعددة من لغات العرب، لم يستطع احد منهم - مع بلاغتهم وفصاحتهم - أن يعارضه أو أن يأتي بسورة من مثله.

خامسا

إن تعدد الحروف يدل بشكل قطعي على أن القرآن الكريم ليس من قول البشر، بل هو كلام رب العالمين؛ فعلى الرغم من نزوله على سبعة أحرف، إلا أن الأمر لم يؤدِ إلى تناقض أو تضاد في القرآن، بل بقي القرآن الكريم يصدق بعضه بعضًا، ويُبيِّن بعضه بعضًا، ويشهد بعضه لبعض، فهو يسير على نسق واحد في علو الأسلوب والتعبير، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء: ٨٢].

حفظ القران وتطور رسم المصحف وخطه

إن المقصود برسم المصحف، الخط أو الطريقة التي كتبت فيها حروفه وفقًا للمصاحف العثمانية. فالقرآن في عهد النبي عليه الصلاة والسلام، وفي عهد عثمان رضي الله عنه كذلك، لم يكن مكتوبًا بنفس الطريقة التي نراها اليوم، فقد كانت الكتابة خالية من التشكيل والنقط والأرقام، وتعتمد على السليقة التي لا تحتاج للتشكيل. وبقي الحال على ذلك حتى بدأت الفتوحات واختلط العرب بالعجم، وبدأت أخطاء القراءة تظهر عند غير الناطقين بالعربية. فكان من الضروري كتابة المصحف بالتشكيل والنقاط حفاظًا عليه من أن يُقرأ بطريقة غير صحيحة.

وفي عهد الخليفة الرابع، علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، أمر رضي الله

عنه التابعي الجليل أبو الأسود الدؤلي المتوفى سنة -٦٩ هـبوضع ضوابط اللسان العربي، فقام بتشكيل القرآن، وجعل آنئذ علامة الفتحة نقطة فوق الحرف، وعلامة الكسرة نقطة أسفله، وعلامة الضمة نقطة بين أجزاء الحرف، وجعل علامة السكون نقطتين. وبعد موت أبي الأسود، تابع العلماء السير على منواله، فنقطت الحروف المنقوطة اليوم، إلى أن جاء الخليل بن احمد الفراهيدي المتوفى سنة- ١٧٤ هـ الذي كان أول من صنف كتابًا في رسم نقط الحروف وعلاماتها، وهو أول من وضع الهمزة والتشديد وغيرها من علامات الضبط فقد استبدل نقاط أبي الأسود بالحركات، فجعل الفتحة والكسرة والضمة والتنوين، ثم دوّن علم النحو ليكون ضابطًا لقراءة القرآن ليقرأ بشكل سليم لا يخل بمعناه. وكان أول من قام بتنقيط حروف القران (ب، ج، ق .. إلى آخر الحروف المنقطة)، هم نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، وعبد الرحمن بن هرمز، بأمر من الحجاج، مما سهل القراءة بشكل صحيح خال من الأخطاء.وقول ابن كثير في مقدمة التفسير قريب من هذا قال: (فأما نقط المصحف وشكله، فيقال: إن أول من أمر به عبد الملك بن مروان، فتصدى لذلك الحجاج وهو بواسط، فأمر الحسن البصري ويحيى بن يعمر ففعلا ذلك، ويقال: إن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي، وذكروا انه كان لمحمد بن سيرين مصحف قد نقطه له يحيى بن يعمر. (تفسير القران العظيم ج١ ص٧).

ثم بعد ذلك مر رسم المصحف بأطوار من التجديد والتحسين على مر العصور، وفي نهاية القرن الهجري الثالث، كان الرسم القرآني قد بلغ ذروته من الجودة والحسن والضبط، حتى استقر المصحف على الشكل الذي نراه عليه اليوم، من الخطوط الجميلة وابتكار العلامات المميزة التي تعين على تلاوة القرآن وتجويده بصورته الواضحة الجيدة خالية الأخطاء. ولقد تضافرت جهود عدد من علماء

المسلمين في السنوات الأخيرة، لخدمة كتاب الله، بالاستفادة من التقدم العلمي في مجال الطباعة، فظهر المصحف المجود الذي يراعي قواعد التجويد والتلاوة باستخدام الألوان، مما سهل على القارئ، مختصا كان أو غير مختص، سهل قراءة القران بشكل صحيح على الصورة التي يجب أن يقرأ عليها، جزاهم الله خيرا.

حفظ القران في عهد النبي ﷺ

من أهم ما يميز المسلمين عن غيرهم من الأمم الكتابية السابقة، أن القران الكريم قد حظي بما لم تحظ به التوراة، كتاب اليهود، ولا الإنجيل، كتاب النصارى من العناية والاهتمام، فقد كان الصحابة على عهد رسول الله، لشدة حرصهم على كتاب الله، وشدة شغفهم بحفظه وتعلمه ومعرفة أحكامه، وكما اثر عن غير واحد منهم، لا يتجاوزون الآية أو الآيات بعد أخذها من في رسول الله، حتى يتقنوا حفظها عن ظهر قلب، وينتهوا من تعلم واستيعاب أحكامها وعلومها، وتطبيق ما تعلموه، وتعليمه أهلهم وذويهم. روى الطبري في التفسير من طريق الحسين بن واقد، عن الأعمش، عن شفيق، عن ابن مسعود، قال: (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن)(م١/ص٨٠/رقم٨١) وقد كان رسول الله يحث أصحابه على حفظ القران، وكان يتعاهد من يأتيه مهاجرا إلى الإسلام، فيدفعه إلى احد صحابته ليعلمه القران، وأمرهم أن يكتبوه ويدونوه ليحفظ من الضياع، فكتبوه على الجلود والعظام والألواح وما عرف في زمنهم من أدوات الكتابة.

وقد كتب الصحابة القران، ولشدة حبهم لرسول الله، وحتى يحفظوا سنته، كتبوا أيضا أحاديثه وأقواله، فلما خشي عليه السلام اختلاط أحاديثه بالقران،

أمرهم إلا يكتبوا من حديثه شيئا، وقال: (لا تكتبوا عني ومن كتب شيئا فليمحه)، رواه مسلم. علق النووي على الحديث: "وكان النهي حين خيف اختلاطه بالقرآن، فلما أمن ذلك أذن في كتابته". وقد كان عليه السلام يرشد الكتبة إلى مواضع الآيات وترتيبها في كل سورة، ولم يجمع القران في مصحف واحد، بل حفظ عنده وعند الصحابة، فأن القرآن نزل مفرقًا على فترات مختلفة، ولم ينزل بترتيب المصحف، ثم إن بعض الآيات نزلت ناسخة لما قبلها. ولو جمع القرآن على عهده ﷺ في مصحف واحد لكان وجب تغير المصاحف كلها كلما نزلت آية أو سورة. ولقد اشتهر العديد من الصحابة بحفظ القران منهم الخلفاء الأربعة، وابن مسعود وابن عباس، وطلحة، وسعد، وغيرهم جمع كثير من كبار الصحابة رضوان الله عليهم. اما كتبة الوحي في عهد رسول الله ﷺ، فقيل ثلاثة عشر، وقيل جاوزوا الأربعين كاتبا، رضوان الله عليهم، وجعلهم ابن كثير في (البداية والنهاية ج٥ ص٨٢)، فصل أما كُتَّاب الوحي وغيره، جعلهم ثلاثة وعشرين عدهم بأسمائهم وأنسابهم، إلا واحدا مبهم (سماه السجل، وفيه أقوال ذكرها).

فمنهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ابن أبي طالب رضي الله عنهم، وكان أول من كتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ، أُبي بن كعب، سيد القرَّاء، فإذا لم يحضر كتب زيد بن ثابت، وكتب له خالد بن سعيد، وأبان بن سعيد، وأرقم ابن أبي الأرقم وهو الذي كان رسول الله ﷺ مستخفياً في داره عند الصفا، ومنهم ثابت بن قيس بن شماس ويقال له: خطيب النَّبيّ ﷺ. ومنهم: حنظلة بن الربيع بن صيفي ومنهم: خالد بن الوليد ومنهم: الزبير بن العوام ومنهم: عبد الله بن سعد ابن أبي سرح ومنهم عامر بن فهيرة ومنهم عبد الله بن أرقم ابن أبي الأرقم والمغيرة بن شعبة، ومعاوية ابن أبي سفيان، ومنهم عبد الله بن زيد بن عبد ربه الذي رأى الأذان في منامه ومنهم العلاء بن الحضرمي ومنهم: العلاء بن عقبة،

ومنهم محمد بن مسلمة بن جريس وغيرهم، رضي الله عنهم أجمعين، فهؤلاء كتابه الذين كانوا يكتبون بأمره بين يديه صلوات الله وسلامه عليه.

جمع المصحف في عهد أبي بكر الصديق

لما قبض رسول الله ﷺ، وتمت بيعة أبي بكر الصدبق رضي الله عنه للخلافة من بعده، كان أول ما قام به إنفاذ جيش أسامة، فطمع كثير من الأعراب بالمدينة، حتى أن سجاح بنت الحارث (من النصارى) مدعية النبوة همت بغزوها، كذلك ادعى النبوة الأسود العنسي باليمن، وطليحة الاسدي من بنو أسد وطيىء، ومسيلمة الكذاب في بني حنيفة واليمامة، وتبعهم على ذلك خلق كثير، وارتدوا عن الإسلام، كذلك ارتد أهل البحرين، وادعى (الجلندى) النبوة بعمان، ومنعت أقوام الزكاة، فرأى أبو بكر محاربتهم، فعارضة جمع من الصحابة منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم إن الله شرح صدور المسلمين لقتال من ارتد، فجيش أبو بكر الجيوش وسيرها لقتال المرتدين، فقتل طواغيتهم وقضى عليهم. وكان من نتائج تلك الحروب استشهاد عدد كبير من حفظة القران، فأشار عمر على أبي بكر بجمع القران حتى لا يضيع بعد وفاة الحفاظ، (البداية والنهاية ج٦ص٩٧ – ٩٨).

ولما كان زيد بن ثابت من كتبة الوحي على عهد رسول الله ﷺ، وكان ممن شهد العرضة الأخيرة للقران، روى البخاري في الصحيح (كتاب فضائل القران) وَقَالَ مَسْرُوقٌ عَنْ عَائِشَةَ عَنْ فَاطِمَةَ ـ عَلَيْهَا السَّلاَمُ ـ أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ "أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلاَّ حَضَرَ أَجَلِي". وكان زيد من الحفظة، وممن عرف بذكائه وورعه وأمانته، كلفه أبو بكر بكتابة المصحف، روى البخاري في الصحيح (باب جمع القران ٥٠٣٧) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قوله: (فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح

له صدر أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم) حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر ـ رضي الله عنهم ـ).

ولقد كان لبعض الصحابة مصاحفهم الخاصة، كتبوا فيها القران أو بعضه، وذلك قبل جمع أبي بكر لها، منهم ابن مسعود وعلي وأبي وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، فلما عزم أبو بكر كتب زيد المصحف، وأشرف عليه وأعانه أبو بكر وعمر وكبار الصحابة، وكان ذلك من مصدرين:

- **الأول: ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ.**
- **الثاني: تتبعه من صدور الرجال والحفظة.**

واشترطوا أن يشهد شاهدان عدلان بذلك، مبالغة في الحيطة والحذر. فعن عروة بن الزبير قال: لما استحرّ القتل بالقراء يومئذ، فرِقَ أبو بكر على القرآن أن يضيع – أي خاف عليه – فقال لعمر بن الخطاب وزيد ابن ثابت: اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه. وبذلك أخذ المصحف الذي أمر أبو بكر بجمعه الصفة الجماعية واتفق الصحابة كلهم عليه ونال قبولهم فكان جمعهم له على أكمل وجه وأتمه. (تفسير القرطبي ص٤).

نسخ المصحف في عهد عثمان

حظي القران الكريم في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، بعناية عظيمة توجت بما عرف بالمصاحف العثمانية، والتي تعرف بين الناس بالمصحف على الرسم العثماني، وهي التي تطبع عليها المصاحف التي بين أيدينا

اليوم، وقد لاقى عمله تقبل الصحابة وتأيدهم رضي الله عنهم أجمعين. وذكر أبو بكر الأنباري في كتاب الرد عن سويد بن غفلة قال: سمعت علي بن أبي طالب كرم الله وجه يقول: يا معشر الناس، اتقوا الله! وإياكم والغلو في عثمان، وقولكم: إحراق المصاحف، فو الله ما حرقها إلا عن ملأ منا أصحاب محمد ﷺ. وعن عمير بن سعيد قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل الذي فعل عثمان. (تفسير القرطبي ص٤). ولنستعرض الآن نسخ المصحف الشريف في عهد عثمان رضي الله عنه.

أولا

بقي القران على ما هو عليه في عهد أبي بكر وعهد عمر رضي الله عنهما، واستمر ذلك إلى عهد عثمان، وفي عهده رضي الله عنه، كثرت الفتوحات ودخل كثير من عرب وغير عرب في الإسلام، من أهل الشام والعراق وغيرها من الأمصار، ولما كان الصحابة كل اخذ من رسول الله، ولان القران انزل على سبعة أحرف، كانت قراءات بعضهم تختلف، فكان الناس إذا سمعوا قراءة غير التي سمعوها، أنكر بعضهم على بعض، بل كفر بعضهم بعضا، فلما كانت سنة ٢٥ هـأشار الصحابة على عثمان رضي الله عنه بجمع القران، روى البخاري في الصحيح (كتاب فضائل القران ٥٠٣٨) حدثنا موسى، حدثنا إبراهيم، حدثنا ابن شهاب، أن أنس بن مالك حدثه، أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي مع أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث

بن هشام، فجعلوا تلك الصحف إماما، فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، كما في كلمة التابوت إذ قال زيد (التابوه) وقال القرشيون (التابوت) فكتبت (التابوت)، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق).انتهى كلام البخاري.

ثانيا

لما نسخ عثمان المصحف، كانت الكتابة العربية في طور النشوء والتطور، شانها في ذلك شان كل اللغات، فقد كانت الكتابة خالية من التشكيل والنقط والأرقام، فالحروف (ب ت ث ن) (ج ح خ) (د ذ) (رز) (س ش) (ص ض) (ط ظ) (ع غ) (ف ق)، كانت كلها بدون نقط كذلك لم يكن هناك علامات للتشكيل، لتمييز المرفوع عن المنصوب أو المجرور، وكان العربي كون العربية لغته ولسانه الذي نشأ عليه، يسهل عليه التفريق بين هذه الحروف من خلال السياق، اما غير العربي فلم يكن يحسن ذلك لاختلاف لسانه، فوقعت الاختلافات في القراءة، وكثر الغلط، وقد سمي الخط الذي كتبت به المصاحف بالرسم العثماني. وكان عثمان خص نفسه بمصحف منها.

ثالثا

بقي رسم المصحف على هذا الحال إلى أن ولي الخليفة الرابع علي بن ابي طالب رضي الله عنه أمر المسلمين، ولما رأى كثرة الغلط في قراءة القران، وحتى يسهل على القارئ والمتعلم القراءة من المصحف قراءة صحيحة، أمر أبا الأسود الدؤلي كما أسلفنا بوضع ضوابط اللسان العربي، فتم ذلك كما أسلفنا في فصل تطور رسم المصحف وخطه.

رابعا

سمي المصحف الذي نسخ في عهد عثمان بمصحف عثمان أو المصحف الإمام، وقد كان عثمان أمر بحرق كل مصحف سواه، حتى يجتمع المسلمون على مصحف إمام واحد، وقد أرسل إلى الأمصار بنسخ منه، ولا زالت المصاحف تطبع إلى عصرنا الحالي على ما نسخ عليه مصحف عثمان (الذي اختص به نفسه) وهي المعروفة عند العامة بالمصحف على الرسم العثماني. ومن الجدير بالذكر أن المصاحف التي أمر عثمان بنسخها، قد ألمت بالحروف السبعة، التي انزل عليها القران، فلقد كتب القران على لغة قريش، ومن المعروف أن لغة قريش فيها الكثير مما في لغات القبائل، فقد كانت القبائل تجتمع إلى قريش في مواسم الحج، وكذلك في أسواقها كعكاظ وغيره، فدخل لغة قريش من تلك اللغات أحسنها وأفصحها، ولذلك كانت قريش أفصح العرب، ودليل ذلك قول عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم في شيء انتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش، كما أسلفت، كذلك فان القراءة على الأحرف السبعة كانت من باب الرخصة ولم تكن من باب الوجوب، فلو كانت من باب الوجوب للزم القراءة بها كلها، على كل حال، ولكان من ترك، أو قصر، أو أهمل شيئا منها، قد ترك شيئا مما انزل الله، وذلك ما لم يكن، ولن يكون بإذن الله، وبذلك تم الحفظ بما اثر عن رسول الله ﷺ، فالمصحف الذي بأيدينا قد نقل إلينا بالتواتر، وبذلك تحقق وعد الله سبحانه لما قال جل ذكره: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، كذلك لم يكن سبحانه ليترك لهوى أو غلط أن يصل إلى كتابه وقد قال: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[فُصِّلَت: ٤٢] وذلك أدنى ما يرد به على المغرضين ومن جانبهم الصواب، كالروافض وغيرهم، ممن يقولون أن مصحف عثمان كتب على



حرف فأين بقية الحروف الستة. وما قولهم ذلك إلا لضعف إيمانهم، ولغاية في نفوسهم الله اعلم بها، والله الهادي إلى سواء السبيل.

خامسا

قال ابن كثير في مقدمة التفسير: (قال الطحاوي. وغيره: وإنما كان ذلك رخصة أن يقرأ الناس القرآن على سبع لغات، وذلك لما كان يتعسر على كثير من الناس التلاوة على لغة قريش، وقرأه رسول الله ﷺ لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ وقد ادعى الطحاوي والقاضي الباقلاني والشيخ أبو عمرو بن عبد البر أن ذلك كان رخصة في أول الأمر، ثم نسخ بزوال العذر وتيسير الحفظ وكثرة الضبط وتعلم الكتابة. قال: (والكلام لا زال لابن كثير) وقال بعضهم: إنما كان الذي جمعهم على قراءة واحدة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضي الله عنه، أحد الخلفاء الراشدين المهديين المأمور باتباعهم، وإنما جمعهم عليها لما رأى من اختلافهم في القراءة المفضية إلى تفرق الأمة وتكفير بعضهم بعضًا، فرتب لهم المصاحف الأئمة على العرضة الأخيرة التي عارض بها جبريل رسول الله ﷺ في آخر رمضان من عمره، عليه الصلاة والسلام، وعزم عليهم ألا يقرؤوا بغيرها، وألا يتعاطوا الرخصة التي كانت لهم فيها سعة، ولكنها أفضت إلى الفرقة والاختلاف)، انتهى كلام ابن كثير.



مصورات لتطور كتابة المصحف الشريف

نماذج لبعض الآيات القرآنية المكتوبة في عصور مختلفة

(١)

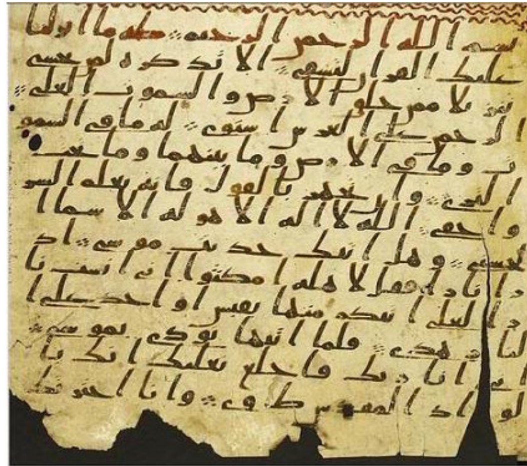
مخطوطة قرآنية من مجموعة ترجع للقرن السابع الميلادي = موقع مزامير جزء من سورة طه: قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذۡ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١ - ١٢] ويبدو أنها من عهد عثمان رضي الله عنه قبل التنقيط الذي وضعه أبو الأسود الدؤلي.

(٢)

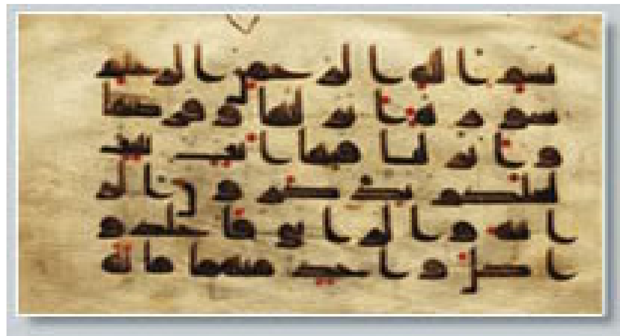
سورة النور بسم الله الرحمن الرحيم ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝١ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ ...﴾[النور: ١ - ٢] =موقع مزاميرويبدو أنها من عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث يظهر فيها التنقيط الذي وضعه أبو الأسود الدؤلي، ويظهر باللون الأحمر.

(٣)

جزء من الآية ٦٠وجزء من الآية ٦١ من سورة المائدة بالخط الكوفي الشرقي، إحدى مخطوطات صنعاء = ويكيبيديا/ القران الكريمقوله تعالى: ﴿عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٦٠ وَإِذَا جَآءُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ ۝٦١ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ﴾[المائدة: ٦٠ - ٦٢].



نموذج رقم (١)



نموذج رقم (٢)



نموذج رقم (٣)

ويبدو أنها كتبت في النصف الأول من القرن الثاني الهجري، حيث يظهر فيها التنقيط الذي وضعه نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر، يلاحظ ذلك على الباء والياء في كلمة (السبيل) وعلى الحروف الأخرى المنقوطة ومنها الذال (إذا) والخاء والجيم (خرجوا)، كما يظهر فيها التشكيل الذي وضعه الخليل بن احمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٣ هـ)، كالهمزة (أمنا) والشدة (الله) والفتحة (عَن)والضمة (وَأَتَمُّ) وغيرها من الحركات.

(٤)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ{١}
فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ{٢}
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ{٣}

سورة الإخلاص كما هي بأحدث طريقة كتب بها المصحف الشريف، وقد استعملت الألوان للدلالة على أحكام التجويد وهي: الأحمر بدرجاته للمد والأخضر بدرجاته للغنة، والأزرق بدرجاته كمخرج حلقي لحروف القلقلة والراء المفخمة. ومع كل نسخة منه شرح مفصل لدلالات الألوان لتسهيل التلاوة بشكل صحيح. موقع easyquran شرح الفكرة

ولقد قمت بدراسة الصور الثلاثة السابقة، ثم اثبت أسفل كل صورة الآيات الكريمة الواردة فيها، بعد مطابقتها على المصحف الشريف، وعلقت بما اعتقدته من زمن كتابتها، والله اعلم وعليه قصد السبيل.

سور القران الكريم

لماذا سميت سور القران بهذه التسمية

اختلف العلماء والمفسرون في معنى السورة، ومم هي مشتقة وقد لخصت مجمل ما قالوه، وهو ما اخذ به الحافظ ابن كثير في تفسيره بما يلي:

- **القول الأول:** هي مأخوذة من الإبانة والارتفاع. قال النابغة:

ألم تـر أن الله أعطـاك سـورة   ترى كل ملـك دونهـا يتذبـذب

فكأن القارئ ينتقل بها من منزلة إلى منزلة.

- **القول الثاني:** لشرفها وارتفاعها كالسور يحيط بالبلد.
- **القول الثالث:** لكونها جزءا من القران وقطعة منه، مأخوذ من أسآر الإناء وهو البقية فيه، وعلى هذا فيكون أصلها مهموزا (سؤرة)، وإنما خففت فأبدلت الهمزة واوا لانضمام ما قبلها.
- القول الرابع: لتمامها وكمالها لأن العرب يسمون الناقة التامة سورة.
- **القول الخامس:** قال ابن كثير في التفسير:ويحتمل أن يكون من الجمع والإحاطة لآياتها كما سمي سور البلد لإحاطته بالدور والمنازل.

التصنيف الى المكي والمدني

اختلف العلماء والمفسرون في تحديد المكي والمدني من سور القران الكريم، ولكن الراجح أنهم اتفقوا على ثلاثة أقوال سأوردهاوما قيل فيها باختصار وقد ذكرها الزركشي في (البرهان في علوم القران ج١ ص٥). قلت: ولان الاختلاف لا ينقص من الدين شيئا ولا يزيد فيه، فالقران الكريم كتاب الله سبحانه وكل من عنده، نزل

بالمدينة أو بمكة أو بغيرها من الأماكن لا فرق فالنزول كان بمقتضى أمر الله وحكمته سبحانه. مع الاخذ بعين الاعتبار ما لمعرفة مكان النزول من اهمية في التفسير ومعرفة سبب النزول.

- **القول الأول:** أن المكي ما نزل بمكة، والمدني ما نزل بالمدينة.
- **القول الثاني:** وهو المشهور، أن المكي ما نزل قبل الهجرة أو في طريقها وان كان بغير مكة كالمدينة أو غيرها، والمدني ما نزل بعد الهجرة وان كان بمكة أو غيرها.
- **القول الثالث:** أن المكي ما وقع خطابا لآهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة ويحمل على ذلك قول ابن مسعود أن الغالب على أهل مكة الكفر فخوطبوا: يا أيها الناس وان كان غيرهم داخلا فيها، والغالب على أهل المدينة الإيمان فخوطبوا: يا أيها الذين امنوا وان كان غيرهم داخلا فيهم. وقد روى ذلك عن ابن مسعود الحاكم والبيهقي وغيرهما وقاله احمد بن حنبل وغيره وارجع بعض المفسرين ذلك إلى قول منقول عن ابن عباس. والخلاصة أن هذا القول فيه نظر فان سورة البقرة مدنية وفيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ الآية [٢١]، وفيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ الآية[١٦٨]، وسورة النساء مدنية وفيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ الآية [١]، وفيها ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ الآية [١٣٣]، كذلك ورد في سورة الحج الآية [٧٧]قوله تعالى﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾ وهي مكية، وقد قال الزركشي في ذلك إن أرادوا؛ أي المفسرين ذلك على الأكثر فلا باس على أن لا يعني ذلك التعميم، ومما خلصت إليه من قول الزركشي أن كل سورة فيها يا أيها الناس وليس فيها يا أيها الذين امنوا فهي مكية مع اختلاف في سورة الحج وكل سورة فيها:

كلا،فهي مكية. وكل سورة أولها حروف المعجم مكية إلا البقرة وال عمران وفي الرعد خلاف. وكل سورة فيها قصة ادم وإبليس فمكية سوى البقرة، وكل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية سوى العنكبوت. وقد قال هشام بن محمد بن السائب الكلبي: - عن أبيه: كل سورة ذكرت فيها الحدود والفرائض فهي مدنية وكل سورة ذكر فيها القرون الماضية فهي مكية. انتهى ما أورده الزركشي. والله اعلم. قلت ومن فوائد معرفة المكي والمدني من السور، تحديد سبب النزول والاستعانة بذلك في التفسير.

اسماء سور القران الكريم

من الثابت ومما لا خلاف فيه بين علماء المسلمين ومفسريهم على اختلاف مذاهبهم وشيعهم، من سنة وشيعة وغير ذلك من قدامى ومحدثين أن تعداد سور القران الكريم هو أربع عشرة ومائة سورة، ثمان وعشرين مدنية وست وثمانين مكية باتفاق جمهور العلماء، وهي:

السور المكية وعددها ٨٦ سورة

السورة	الآيات	السورة	الآيات	السورة	الآيات	السورة	الآيات
الفاتحة	٧	السجدة	٣٠	الحاقة	٥٢	الليل	٢١
الأنعام	١٦٥	سبأ	٥٤	المعارج	٤٤	الضحى	١١
الأعراف	٢٠٦	فاطر	٤٥	نوح	٢٨	الشرح	٨
يونس	١٠٩	يس	٨٣	الجن	٢٨	التين	٨
هود	١٢٣	الصافات	١٨٢	المزمل	٢٠	العلق	١٩
يوسف	١١١	ص	٨٨	المدثر	٥٦	القدر	٥

السورة	الآيات	السورة	الآيات	السورة	الآيات	السورة	الآيات
إبراهيم	٥٢	الزمر	٧٥	القيامة	٤٠	العاديات	١١
الحجر	٩٩	غافر	٨٥	المرسلات	٥٠	القارعة	١١
النحل	١٢٨	فصلت	٥٤	النبأ	٤٠	التكاثر	٨
الإسراء	١١١	الشورى	٥٣	النازعات	٤٦	العصر	٣
الكهف	١١٠	الزخرف	٨٩	عبس	٤٢	الهمزة	٩
مريم	٩٨	الدخان	٥٩	التكوير	٢٩	الفيل	٥
طه	١٣٥	الجاثية	٣٧	الانفطار	١٩	قريش	٤
الأنبياء	١١٢	الأحقاف	٣٥	المطففين	٣٦	الماعون	٧
المؤمنون	١١٨	ق	٤٥	الانشقاق	٢٥	الكوثر	٣
الفرقان	٧٧	الذاريات	٦٠	البروج	٢٢	الكافرون	٦
الشعراء	٢٢٧	الطور	٤٩	الطارق	١٧	المسد	٥
النمل	٩٣	النجم	٦٢	الأعلى	١٩	الإخلاص	٤
القصص	٨٨	القمر	٥٥	الغاشية	٢٦	الفلق	٥
العنكبوت	٦٩	الواقعة	٩٦	الفجر	٣٠	الناس	٦
الروم	٦٠	الملك	٣٠	البلد	٢٠	*****	*****
لقمان	٣٤	القلم	٥٢	الشمس	١٥	*****	*****

السور المدنية وعددها ٢٨ سورة

السورة	الآيات	السورة	الآيات	السورة	الآيات	السورة	الآيات
البقرة	٢٨٦	الحج	٧٨	الحديد	٢٩	التغابن	١٨
آل عمران	٢٠٠	النور	٦٤	المجادلة	٢٢	الطلاق	١٢
النساء	١٧٦	الأحزاب	٧٣	الحشر	٢٤	التحريم	١٢
المائدة	١٢٠	محمد	٣٨	الممتحنة	١٣	الإنسان	٣١
الأنفال	٧٥	الفتح	٢٩	الصف	١٤	البينة	٨
التوبة	١٢٩	الحجرات	١٨	الجمعة	١١	الزلزلة	٨
الرعد	٤٣	الرحمن	٧٨	المنافقون	١١	النصر	٣

ما قيل في أسماء سور القران

- **الفاتحة:** سميت سورة الفاتحة بأسماء كثيرة بين أسماء وألقاب وصفات جرت على السنة القراء والمفسرين من عهد السلف، وقد أورد السيوطي في (الإتقان ج١ص٣) ما يزيد عن عشرين اسما، وقال ذلك يدل على شرفها فان كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى. ومما ذكره من أسمائها: أم الكتاب/ أم القران/ السبع المثاني/ الكنز/ الوافية/ الشافية/ الكافية/ سورة الحمد/ سورة الصلاة / سورة الشكر/ سورة الدعاء/ فاتحة الكتاب/ الصلاة / سورة السؤال/ سورة تعليم المسألة/ سورة المناجاة/ سورة التفويض / سورة الأساس/ . أما ابن كثير في تفسيره فقد ذكر بعض الأسماء وهي: الفاتحة أي فاتحة الكتاب وبها

تفتتح الصلاة أم الكتاب وذلك عند الجمهور مع كراهة انس ذلك، والحسن وابن سيرين كرها ذلك وقالا: إنما ذلك اللوح المحفوظ، وزاد الحسن: الآيات المحكمات هن أم الكتاب. /أم القران، وقد ثبت في الحديث الذي صححه الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (الحمد لله أم القران وأم الكتاب والسبع المثاني والقران العظيم). ويقال لها أيضا الحمد / الصلاة/ الشفاء/ الرقية / أساس القران/ الواقية / الكافية.

- **البقرة:** سميت أيضا/ سنام القران/ فسطاط القران/ الزهراوين (مع آل عمران)/ قال ابن كثير في التفسير أن الإمام احمد قال: حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا هشام عن يحي بن أبي كثير عن أبي سلام عن أبي إمامة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اقرؤوا القران فانه شافع لأهله يوم القيامة، اقرؤوا الزهراوين: البقرة وال عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أهلهما)، ثم قال: (اقرؤوا البقرة فان أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة). البطلة أي السحرة. (مسند احمد رقم ٢١١٢٦)

- **آل عمران:** وسميت/ سورة الاستغفار/ الزهراوين/ سورة الأمان: قال ذلك الألوسي في تفسيره لأنها أمان من الحيات وقال أيضا هي المعينة / المجادلة.

- **سورة النساء:** قال الفيروزبادي وتعرف بسورة النساء الكبرى وسورة الطلاق بالنساء القصرى ولم يقل ذلك غيره.

- **المائدة:** وسميت/ العقود / المنقذة / الأخبار. ولم أجد من دليل على تلك التسميات إلا قول الإمام احمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا أبو معاوية شيبان، عن ليث، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد قالت: إني لأخذة بزمام

العضباء ناقة رسول الله ﷺ، إذ نزلت عليه المائدة كلها، وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة. (مسند احمد برقم ٢٦٢٩٤).

- **الأنعام:** لم يعرف لها اسم غيره، وقد كان معظم الصحابة يسمونها به في كلامهم، وقد روى الطبراني بسنده إلى عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: (نزلت علي سورة الإنعام جملة واحدة وشيعها سبعون إلفا من الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد). وقيل سميت بذلك لورود لفظ الأنعام ست مرات فيها. وقد أطلق عليها بعض العلماء اسمين اجتهاديين هما (سورة العقيدة) و(سورة الحجة)

- **الأعراف:** ذكر الطاهر بن عاشور في تفسيره 'التحرير والتنوير' أنها تسمى الأعراف / والميقات / والميثاق. اخرج النسائي، من حديث أبي مليكة، عن عروة بن زيد بن ثابت: انه قال لمروان بن الحكم: (ما لي أراك تقرأ في المغرب بقصار السور وقد رأيت رسول الله ﷺ يقرا فيها بأطول الطوليين)، قال مروان قلت: (يا أبا عبد الله ما أطول الطوليين)، قال (الأعراف). والمعروف إن الطوليين هما الأعراف والأنعام باعتبار عدد الآيات.

- **الأنفال:** ذكر الطاهر بن عاشور في تفسيره 'التحرير والتنوير' أنها تسمى بسورة الأنفال/ وبسورة بدر. أخرج البخاري، عن سعيد بن جبير، قال: (قلت لابن عباس سورة الأنفال) قال: (نزلت ببدر).

- **التوبة:** هكذا سميت في كتب التفسير، وذكر الطاهر بن عاشور في تفسيره 'التحرير والتنوير' أن لها أربعة عشر اسما هي/ التوبة/ براءة/ المقشقشة/ الفاضحة/ العذاب/ المنقرة/ البحوث/ الحافرة/ المثيرة/ المبعثرة/ المخزية/ المنكلة/ المشددة/ المدمدمة. جاء في حديث زيد بن ثابت، في صحيح البخاري، في باب

جمع القران، قال زيد: (فتتبعت القران حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري (لقد جاءكم رسول من أنفسكم، حتى خاتمة سورة براءة).

وفي بقية الأسماء روايات كثيرة تركناها لعدم الإطالة.

- **يونس:** ولم يعرف لها في كتب التفسير غير هذا الاسم.
- **هود:** ولم يعرف لها في كتب التفسير غير هذا الاسم.
- **يوسف:** ولم يعرف لها في كتب التفسير غير هذا الاسم.
- **الرعد:** ولم يعرف لها في كتب التفسير غير هذا الاسم.
- **إبراهيم:** ولم يعرف لها في كتب التفسير غير هذا الاسم.
- **الحجر:** وفي كتاتيب تونس تعرف بسورة/ ربما / إذ لم تفتتح سورة في القران بهذه الكلمة غيرها.
- **النحل:** لذكر النحل فيها دون غيرها، وسميت النعم/ لما عدد الله فيها من النعم على عباده.
- **الإسراء:** بني إسرائيل/ سبحان/ . هكذا ذكرت في الكثير من كتب التفاسير. جاء في جامع الترمذي في أبواب الدعاء، عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل.).
- **الكهف:** وسميت أيضا سورة أصحاب الكهف. روى مسلم، وأبو داود، عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف "وفي رواية لمسلم": من آخر الكهف، عصم من فتنة الدجال.). قال الترمذي حديث حسن صحيح.

- **مريم:** وسماها ابن عباس سورة كهيعص/ وعرفت بالأول في كتب التفسير.
- **طه:** وسميت بسورة الكليم ذكره السخاوي في جمال القراء، وذكر الهذلي في كامله أنها تسمى سورة موسى.
- **الأنبياء:** جاء في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: (بنو إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، هن من العتاق الأول وهن من تلادي). يريد من قديم كسبه. ولا يعرف لها اسم غير هذا.
- **الحج:** لم تعرف بغيره، واخرج أبو داود، وابن ماجه، عن عمرو بن العاص إن رسول الله ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة في القران منها ثلاث في المفصل، وفي الحج سجدتان.
- **المؤمنون:** والبعض سماها قد أفلح/ وسميت سورة الفلاح أيضا.
- **النور:** لم تعرف بغيره.
- **الفرقان:** ولم يعرف لها في كتب التفسير غير هذا الاسم.
- **الشعراء:** طسم / الجامعة / سماها بذلك الأمام مالك في تفسيره.
- **النمل:** سليمان / الهدهد.
- **القصص:** ولم يعرف لها في كتب التفسير غير هذا الاسم.
- **العنكبوت:** ولم يعرف لها في كتب التفسير غير هذا الاسم.
- **الروم:** ولم يعرف لها في كتب التفسير غير هذا الاسم.
- **لقمان:** ولم يعرف لها في كتب التفسير غير هذا الاسم.

- **السجدة:** سورة الم تنزيل، سورة الم تنزيل السجدة، سورة المضاجع، سورة المنجية/ سورة سجدة لقمان لوقوعها بعد سورة لقمان/ . وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة كان النبي ﷺ يقرأ يوم الجمعة في صلاة الفجر (الم تنزيل السجدة) و(هل أتى على الإنسان). وقد عنونها البخاري في صحيحه (سورة تنزيل السجدة).
- **الأحزاب:** ولم يعرف لها في كتب التفسير غير هذا الاسم.
- **سبأ:** ولم يعرف لها في كتب التفسير غير هذا الاسم.
- **فاطر:**/ سورة الملائكة. سميت بذلك في صحيح البخاري وفي سنن الترمذي.
- **يس:**/ قلب القران/ المدافعة/ القاضية. روى أبو داود عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ (اقرؤوا يس على موتاكم). وروى الترمذي عن أنس قال: قال النبي ﷺ (إن لكل شيء قلبا وقلب القران يس).
- **الصافات:** ولم يعرف لها في كتب التفسير غير هذا الاسم.
- **ص:** وفي الإتقان عن كتاب جمال القراء للسخاوي: إن سورة ص تسمى أيضا سورة داود ولكنه لم يذكر سنده في ذلك.
- **الزمر:**/ الغرف/ . غافر: روى الترمذي عن عائشة قالت (كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل).
- **غافر:** المؤمن، الطول، روى الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (من قرأ حم المؤمن إلى إليه المصير، وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما). الحديث.

- **فصلت:**/ حم السجدة؛ لأنها افتتحت ب حم وفيها سجدة / المصابيح/ الأقوات/ سجدة المؤمن؛ لوقوعها بعدها.
- **الشورى:**/ حم عسق/ وسميت اختصارا سورة عسق.
- **الزخرف:** وعرفت أيضا بسورة حم الزخرف، وهو غير مشهور.
- **الدخان:** ولم اقع لها على اسم غيره.
- **الجاثية:** سورة شريعة/ سورة الدهر.
- **الأحقاف:** ولم اقع لها على اسم غيره.
- **محمد:** سورة القتال/ سورة الذين كفروا، وقع ذلك في أكثر روايات صحيح البخاري
- **الفتح:** ولم يعرف لها في كتب التفسير غير هذا الاسم.
- **الحجرات:** ولم يعرف لها في كتب التفسير غير هذا الاسم.
- **ق:** وسميت أيضا الباسقات وهو غير مشهور.
- **الذاريات:** ولم يعرف لها في كتب التفسير غير هذا الاسم.
- **الطور:** ولم يعرف لها في كتب التفسير غير هذا الاسم.
- **النجم:** ولم يعرف لها في كتب التفسير غير هذا الاسم.
- **القمر:**/ سميت أيضا سورة اقتربت / وسورة اقتربت الساعة.
- **الرحمن:**/ سورة عروس القران؛ وهذه صفة لها ولم تعرف بأنها تسمية. ذكر في الإتقان: أنها تسمى عروس القران لما رواه البيهقي في شعب الإيمان عن علي

(أن النبي ﷺ قال لكل شيء عروس وعروس القران سورة الرحمن)

- **الواقعة:** روى الترمذي عن ابن عباس قال: قال أبو بكر (يا رسول الله قد شبت، قال شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت). وقال الترمذي حديث حسن غريب.
- **الحديد:** ولم يعرف لها في كتب التفسير غير هذا الاسم.
- **المجادلة:**/ سورة قد سمع / سورة الظهار.
- **الحشر:** وسميت سورة بني النضير؛ لورود قصتهم فيها.
- **الممتحنة:**/ سورة الامتحان / سورة المودة.
- **الصف:** هكذا عرفت في المصاحف و التفاسير/ وذكر السيوطي في الإتقان: أنها تسمى (سورة الحواريين) ولم يسنده لأحد.
- **الجمعة:** ولم يعرف لها في التفاسير اسم غيره.
- **المنافقون:** ولم يعرف لها في التفاسير اسم غيره.
- **التغابن:** ولم يعرف لها في التفاسير اسم غيره.
- **الطلاق:** وذكر في الإتقان أن عبد الله بن مسعود سماها النساء القصرى أخذا مما أخرجه البخاري وغيره عن مالك بن عامر.
- **التحريم:** وعرفت أيضا بسورة النبي وجاء في رواية أبي ذر الهروي لصحيح البخاري تسميتها ب (سورة اللم تحرم) بتشديد اللام، وجاء في الإتقان وتسمى (سورة اللم تحرم).

- **الملك:** / سورة تبارك الذي بيده الملك؛ روى الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ (إن سورة من القران ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفرت له وهي (سورة تبارك الذي بيده الملك)) وقال الترمذي هذا حديث حسن. /سورة تبارك الملك /سورة المانعة /سورة المنجية /الواقية /سورة المناعة؛ بصيغة المبالغة / سورة المجادلة؛ قاله ابن عباس ولم يعرف من غيره.

- **القلم:**/ سورة ن – والقلم / سورة ن –

- **الحاقة:** وقال الفيروزأبادي في بصائر ذوي التمييز أنها تسمى سورة السلسلة/ وسماها الجعبري في منظومته في ترتيب نزول السور (سورة الواعية).

- **المعارج:**/ ذكر في الإتقان أنها تسمى سورة الواقع / وسميت في صحيح البخاري وفي جامع الترمذي وفي تفسيري، الطبري وابن كثير (سورة سأل سائل).

- **نوح:**/ وذكر البخاري في كتاب التفسير من صحيحه/ سورة إنا أرسلنا نوحا.

- **الجن:** / سورة قل أوحي إلي / سورة قل أوحي.

- **المزمل:** ولم يعرف لها في التفاسير اسم غيره.

- **المدثر:** ولم يعرف لها في التفاسير اسم غيره.

- **القيامة:**/ وقال الآلوسي يقال لها (سورة لا اقسم).

- **الإنسان:**/ روى البخاري في باب القراءة في الفجر من صحيحه عن أبي هريرة قال: (كان النبي ﷺ يقرا في الفجر ب "الم السجدة" و "هل أتى على الإنسان"). /وتسمى في بعض المصاحف سورة الدهر/وقال الخفاجي سورة الأمشاج/ وذكر الطبرسي أنها سورة الأبرار.

- **المرسلات:** / والمرسلات عرفا / سورة العرف.
- **النبأ:**/ عم يتساءلون / عم / التساؤل / المعصرات.
- **سورة النازعات:** هكذا سميت في معظم المصاحف والتفاسير بإضافة سورة إليها دون الواو/ وفي البعض منها سميت والنازعات/ سورة الساهرة/ سورة الطامة / سورة فالمدبرات؛ وهو غريب.
- **عبس:**/ وفي إحكام ابن العربي سورة ابن أم مكتوم/ وقال الخفاجي سورة الصاخة/ وقال العيني في شرح صحيح البخاري سورة السفرة/ وقيل سورة الأعمى.
- **التكوير:**/ سورة إذا الشمس كورت / سورة كورت.
- **الانفطار:**سورة إذا السماء انفطرت / سورة انفطرت / المنفطرة.
- **المطففين:** ترجمها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه، والترمذي في جامعه، سورة ويل للمطففين.
- **الانشقاق:**/ إذا السماء انشقت / كدح؛ وهو غريب ذكره الجعبري.
- **البروج:** روى الإمام احمد عن أبي هريرة "إن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة ب (السماء ذات البروج).
- **الطارق:**/ السماء والطارق / سورة والسماء والطارق.
- **الأعلى:**/ سورة سبح / سورة سبح اسم ربك الأعلى.
- **الغاشية:**/ سورة هل أتاك حديث الغاشية / سورة هل أتاك.

• **الفجر:** ولم يعرف لها في التفاسير اسم غيره.

• **البلد:**/ وفي ترجمتها عن صحيح البخاري سميت سورة لا اقسم.

• **الشمس:**/ وعنونها البخاري سورة (والشمس وضحاها).

• **الليل:** / سورة والليل / سورة والليل إذا يغشى.

• **الضحى:** / وفي بعض التفاسير سورة والضحى بإثبات الواو.

• **الشرح:**/ ألم نشرح / الانشراح.

• **التين:** / وسميت سورة والتين بإثبات الواو.

• **العلق:** / اقرأ / اقرأ باسم ربك.

• **القدر:** / وسماها أبو بكر الجصاص في إحكام القران (سورة ليلة القدر).

• **البينة:**/ الانفكاك / البرية/ ذكر في الإتقان أنها سميت في مصحف أبي (سورة أهل الكتاب) / القيمة / وورد في الصحيحان عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال لأبي بن كعب" إن الله أمرني أن أقرأ عليك (لم يكن الذين كفروا)، قال: وسماني لك ؟ قال: نعم، فبكى (يعني أبيا).

• **الزلزلة:**/ سورة زلزلت/ الزلزال/ روى الواحدي في أسباب النزول عن عبد الله بن عمر" نزلت (إذا زلزلت) وأبو بكر قاعد فبكى " الحديث.

• **العاديات:** / وسميت في بعض التفاسير والعاديات بإثبات الواو.

• **القارعة:** ولم يعرف لها في التفاسير اسم غيره.

• **التكاثر:** / وكان الصحابة يسمونها (المقبرة) قاله ابن أبي حاتم عن سعيد بن

أبي هلال/ وترجمها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه (سورة ألهاكم).

- **العصر:**/ وسميت والعصر بإثبات الواو.
- **الهمزة:**/ سورة الحطمة / سورة ويل لكل همزة.
- **الفيل:**/ قال القرطبي في تفسير سورة قريش قال عمرو بن ميمون صلى عمر بن الخطاب المغرب فقرأ في الركعة الثانية (الم تر كيف) و(لإيلاف قريش).
- **قريش:**/ لإيلاف قريش.
- **الماعون:**/ سورة أرأيت / سورة أرأيت الذي/ وجاء في الإتقان (الدين) وفي حاشيتي الخفاجي وسعدي (سورة التكذيب)/ وفي نظم الدرر للبقاعي (سورة اليتيم) قال ذلك ابن عاشور في التحرير والتنوير..
- **الكوثر:** / إنا أعطيناك الكوثر / سورة النحر.
- **الكافرون:**/ وفي تفسير ابن عطية سورة الكافرين / وعنونها البخاري سورة قل يا أيها الكافرون / وقال سعد الله المعروف بسعدي عن جمال القراء سورة العبادة / وقال الفيروزبادي في البصائر سورة الدين / وسميت هي وسورة قل هو الله احد الإخلاص؛ اسم مشترك بينهما / وفي الإتقان هي وقل هو الله احد "المقشقشتين"؛ لأنهما تقشقشان الشرك أي تبرئان منه.
- **النصر:**/ سورة إذا جاء نصر الله والفتح / سورة الفتح سورة التوديع.
- **المسد:**/ تبت / اللهب / أبي لهب.
- **الإخلاص:** ذكر لها الفخر الرازي في تفسيره الكبير المعروف (بمفاتيح الغيب) أكثر من عشرين اسما ولكنه لم يذكر أسانيدها وهي/ الأساس/ التوحيد

/ التفريد/ التجريد/ النجاة/ الولاية/ المعرفة/ الجمال/ الصمد/ المانعة/ النور/ النسبة/ المقشقشة/ المعوذة/ المحضر/ المنفرة/ البراءة/ المذكرة/ الأمان/ الشافية/ قل هو الله أحد.

- **الفلق:**/ سورة قل أعوذ برب الفلق/ وهي إحدى المعوذتين (الفلق والناس) / كذلك إحدى المقشقشتين (الفلق والناس).
- **الناس:**/ سورة قل أعوذ برب الناس/ وهي إحدى المعوذتين (الفلق والناس)/ كذلك إحدى المقشقشتين (الفلق والناس). وسميت أيضا المعوذة الثانية.

ما قيل في فواتح سور القران

ذكر الزركشي في كتابه (البرهان ج١ ص٤) والسيوطي في كتابه التبيان إن فواتح سور القران جاءت على عشرة أنواع كما سأبين باختصار والله الموفق.

الأول:- الاستفتاح بالثناء على الله سبحانه وهو على قسمين:

١) بإثبات صفات المدح، وذلك بقوله تعالى: (الحمد لله)، ورد ذلك في خمس سور هي: (الفاتحة والأنعام والكهف وسبأ وفاطر). وبقوله تعالى: (تبارك)، ورد ذلك في سورتين هما الفرقان والملك. فهذه سبع سور استفتح فيها سبحانه بالثناء عليه.

٢) بتنزيهه من صفات النقص وذلك بصيغة المصدر بقوله تعالى: (سبحان) في سورة الإسراء، وبصيغة الماضي بقوله (سبح) في سور الحديد والحشر والصف، وبصيغة المضارع بقوله (يسبح) في سورتي التغابن والجمعة، وبصيغة الأمر (سبح) في سورة الأعلى. فهذه سبع استفتح فيها سبحانه بتنزيهه.

الثاني: - الاستفتاح بحروف الهجاء:

وهي الحروف المقطعة في أوائل بعض السور، وعددها دون تكرار أربعة عشر حرفا يجمعها قولك (نص حكيم قاطع له سر). وردت في تسع وعشرين سورة وهي: البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، والسجدة، والروم، ولقمان، استفتحت ب ﴿الٓمٓ﴾، والأعراف، استفتحت ب ﴿الٓمٓصٓ﴾، ويونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، والحجر، استفتحت ب ﴿الٓر﴾، والرعد استفتحت ب ﴿الٓمٓر﴾، ومريم استفتحت ب ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، وطه، استفتحت ب ﴿طه﴾ ووفي الشعراء والقصص ﴿طسٓمٓ﴾، وفي النمل ﴿طسٓ﴾، وفي يس ﴿يسٓ﴾، وفي سورة ص ﴿صٓ﴾، وفي فاطر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، الأحقاف ﴿حمٓ﴾، و﴿قٓ﴾ في سورة ق، و﴿نٓ﴾ في سورة القلم. وقد أفردت لها بابا سميته (حروف أوائل السور)، لمن أراد الاستزادة.

الثالث: - الاستفتاح بالنداء:

١) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾. في سورة النساء، وسورة الحج.

٢) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ (يا أيها الذين آمنوا). في سورة المائدة والحجرات والممتحنة.

٣) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾، في سورة الأحزاب والطلاق والتحريم.

٤) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾، في سورة المزمل.

٥) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، في سورة المدثر.

الرابع: - الاستفتاح بالجمل الخبرية.

جاء ذلك في ثلاث وعشرين سورة هي: الأنفال والتوبة والنحل والأنبياء والمؤمنون والنور والزمر ومحمد والفتح والقمر والرحمن والمجادلة والحاقة والمعارج ونوح والقيامة والبلد وعبس والقدر والبينة والقارعة والتكاثر والكوثر. ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[التوبة: ١]وقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١] وقوله: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾[الأنبياء: ١].

الخامس: - الاستفتاح بالقسم:

وجاء ذلك في خمس عشرة سورة هي: الصافات، والذاريات، والطور، والنجم، والمرسلات، والنازعات، والبروج، والطارق، والفجر، والشمس، والليل، والضحى، والتين، والعاديات، والعصر. ولله سبحانه أن يقسم بما شاء قال تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور: ١ - ٢] وقال سبحانه: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾[الشمس: ١- ٥].

السادس: -الاستفتاح بالشرط:

وجاء ذلك في سبع سور استفتحت بقوله تعالى: ﴿إِذَا﴾ وهي: الواقعة، والمنافقون، والتكوير، والانفطار، والانشقاق، والزلزلة، والنصر. قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾[الانفطار: ١]وقال سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾[النصر: ١].

السابع: -الاستفتاح بالأمر:

١) قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ في سورة الجن، والكافرون، والإخلاص، والفلق، والناس.

٢) وقال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ في سورة العلق.

الثامن: -الاستفتاح بالاستفهام:

وجاء ذلك في ست سور هي: الإنسان، والنبأ، والغاشية، والشرح، والفيل، والماعون. قال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [الإنسان: ١] وقال سبحانه: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ: ١].

التاسع: - الاستفتاح بالدعاء:

جاء ذلك في ثلاث سور: قال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١] وقال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] وقال تعالى: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١].

العاشر: -الاستفتاح بالتعليل:

قال تعالى في سورة قريش ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾.

تقسيم القران إلى أجزاء وأحزاب

عرف تقسيم القران إلى أجزاء وأحزاب عند الصحابة على عهد رسول الله ﷺ، (روى أبو داود في السنن برقم ١٣٩٥)، في حديث طويل عن أوس بن حذيفة قال: كان رسول الله ﷺ يأتينا كل ليلة يحدثنا، فأبطأ عن الوقت ليلة، قلنا لقد أبطات عنا الليلة قال "انه طرأ علي جزئي من القران فكرهت أن أجيء حتى أتمه" قال أوس سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وحده). قلت والمفصل من سورة (ق)

إلى نهاية المصحف. وهذا هو التحزيب المشهور عنهم، والثلاث وهي بعد الفاتحة: البقرة، وآل عمران، والنساء ثم الخمس، وهي: المائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، والتوبة. ثم السبع، وهي: يونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، والنحل. ثم التسع، وهي: الإسراء، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، والحج، والمؤمنون، والنور، والفرقان. ثم الإحدى عشرة، وهي: الشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة، والأحزاب، وسبأ، وفاطر، ويس. ثم الثلاث عشرة، وهي: الصافات، وص، والزمر، وحَواميم السَّبع، ومحمد، والفتح، والحجرات. ثم الباقي المفصل، وهو: من سورة ق إلى الناس.

إما تقسيم المصاحف إلى أجزاء وأحزاب وأرباع، كما هو معروف اليوم في المصاحف التي بين أيدينا، فهو تقسيم اصطلاحي اجتهادي، ولذلك اختلف الناس في تقسيماتهم، كل بحسب ما يراه الأنفع والأصوب من وجهة نظره، وأختصر هنا ما جاء في (مجموع الفتاوى لابن تيميه – تحزيب القران مجلد ١٣) وهو (أن أول ما جزئ القرآن بالحروف تجزئة ثمانية وعشرين، وثلاثين، وستين. هذه التي تكون رؤوس الأجزاء والأحزاب في أثناء السورة، وأثناء القصة ونحو ذلك، كان في زمن الحجاج وما بعده، وروي أن الحجاج أمر بذلك. واعتمد التقسيم عدد الحروف، ومن العراق فشا ذلك، اما الصحابة فكان لهم تحزيب آخر؛ فإنهم كانوا يقدرون تارة بالآيات فيقولون: خمسون آية، ستون آية. وتارة بالسور، فتعين التحزيب بالسور. وهذا الذي كان عليه الصحابة هو الأحسن؛ لوجوه، هذا ملخص بعضها:

- أن التحزيب بالحروف يتضمن دائمًا الوقوف على بعض الكلام المتصل بما بعده، كما في الوقف على المعطوف دون المعطوف عليه، فيحصل القارئ في اليوم الثاني مبتدئًا بمعطوف، كقوله تعالى: ﴿۞وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا

مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ ﴾ [النساء: ٢٤] وأمثال ذلك. ويتضمن الوقف على بعض القصة دون بعض ـ حتى كلام المتخاطبين ـ حتى يحصل الابتداء في اليوم الثاني بكلام المجيب، كقوله تعالى:﴿ ۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴾ [الكهف: ٧٥] وذلك ما يولد بلبلة في الفهم لدى القارئ والسامع.وعليه فان الوقف على نهاية السورة التامة أفضل.

- كذلك فأن التجزئة بالحروف لا يمكن بها التسوية بين الأجزاء لأن الحروف في النطق تخالف الحروف في الخط في الزيادة والنقصان، مثال ذلك أن ألفات الوصل ثابتة في الخط، وهي في اللفظ تثبت في القطع وتحذف في الوصل، فينتج عن ذلك اختلاف بين عد الحروف في الخط أي الكتابة عنه في اللفظ، كذلك فالحرف المشدد حرفان في اللفظ، أولهما ساكن، وهما متماثلان في اللفظ، وأما في الخط فقد يكونان حرفًا واحدًا مثل قوله تعالى في سورة الفاتحة (إياك) فهي في الكتابة أربعة وفي اللفظ خمسة، كذلك في التنوين كقوله تعالى في سورة الواقعة٨٤ (حينئذ) فهي خمسة في الكتابة وفي اللفظ ستة حروف. ولمن أراد الاستزادة الرجوع إلى المصدر.

فوائد عامة

- تجمع السورة على، سور بفتح الواو، وقد تجمع على سورات بفتح الواو، وسورات بتسكينها.
- سورة التوبة لا تبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم.
- سورة النحل تحتوي على بسملتين.
- أطول سورة في القران هي سورة البقرة.

- اقصر سورة هي سورة الكوثر.
- آخر سورة جمعت في القرآن سورة التوبة.
- أول سورة في ترتيب سور القران سورة الفاتحة.
- آخر سورة في ترتيب سور القران سورة الناس.
- أول سورة نزلت في القران كاملة هي سورة (المدثر) وهذا ما رجحه السيوطي في كتابه الإتقان. مع اختلاف العلماء في ذلك.
- آخر سورة نزلت كاملة سورة (النصر)، وان كان نزل بعدها آيات متفرقات من سور أخرى.
- من أقسام السور:

١- السبع الطوال وهي: البقرة وال عمران والنساء والمائدة والأعراف والأنعام ويونس.

٢- المئون وهي: ما بعد الطوال من السور التي تزيد على مائة آية أو تقاربها.

٣- والمثاني وهي ما بعد المئين من السور إلى ما دون المفصل.

٤- المفصل وهو ما بعد المثاني من (ق) إلى آخر القرآن الكريم. وللعلماء اختلافات في ذلك ولكن هذا أفضل ما اتفق عليه فيما وقع تحت يدي.

آيات القران وكلماته

معنى الآية

توسعت قواميس اللغة في معنى الآية وفي اشتقاقها واصلها اللغوي، اخترت ما يناسب الموضوع ومن ذلك:

قيل هي الجماعة، كما قال برج بن مسهر الطائي:

خرجنا من النقبين لا حي مثلنا ... بآيتنا نزجي اللقاح المطافلا

وبهذا المعنى اخذ عامة أهل التفسير، عند الحديث عن مفهوم الآية، فهي جماعة من الحروف للدلالة على انقطاع الكلام الذي قبلها عن الذي بعدها، في جملة أو مجموعة جمل تستقل أو تتفرد بمعنى مستقل خاص بها لو أخذت بمفردها، بمعزل عما قبلها أو بعدها، وقيل: لأنها جماعةُ حروفٍ من القرآن وطائفة منه

وقيل هي العلامة كما في قول النابغة:

توهمت آيات لها فعرفتها ... لستة أعوام وذا العام سابع

يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، إي علامة ملكه، وقيل؛ معناها العبرة قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢].

عدد آيات القران

قال ابن كثير في مقدمة التفسير(فأما عدد آيات القرآن فستة آلاف آية، ثم اختلف فيما زاد على ذلك على أقوال، فمنهم من لم يزد على ذلك، ومنهم من

قال: ومائتا آية وأربع آيات، وقيل: وأربع عشرة آية، وقيل: ومائتان وتسع عشرة، وقيل: ومائتان وخمس وعشرون آية، وست وعشرون آية، وقيل: ومائتا آية، وست وثلاثون آية. حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتاب البيان). انتهى كلام ابن كثير.

ومن الجدير بالذكر انه لم يثبت عن رسول الله ﷺ ما يدل على عدد الآيات، إلا سورة الملك في حديثه عن سورة ثلاثون آية تنجي من عذاب القبر وسورة الفاتحة ذكر الله في كتابه أنها سبع من المثاني، ولكن ثبت عنه انه أمر بترتيب الآيات في مواضعها من السور، فكان يرشد الصحابة إلى موضع كل آية من كل سورة، قال الطبري في التفسير (ج١ /ص١٠٢ رقم ١٣١) قال: (وذلك ما حدثنا به محمد بن بَشَّار، قال: حدثنا ابن أبي عَديّ، ويحيى بن سعيد، ومحمد بن جعفر، وسهل بن يوسف، قالوا: حدثنا عَوْف، قال: حدثني يزيد الفارسيّ، قال: حدثني ابن عباس: قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عَمَدْتُم إلى الأنفال، وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطرًا: "بسم الله الرحمن الرحيم"، ووضعتموهما في السبع الطُّوَل؟ ما حملكم على ذلك؟ قال عثمان: "كان رسول الله ﷺ ممَّا يأتي عليه الزمانُ وهو تنـزل عليه السُّورُ ذواتُ العَدد، فكان إذا نـزل عليه الشيء دعا ببعض من كان يكتبُ فيقول: ضَعُوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. وكانت الأنفال من أوائل ما نـزل بالمدينة، وكانت براءةُ من آخر القرآن نـزولا، وكانت قِصَّتُها شبيهةً بقصتها، فظننت أنها منها. فقُبض رسول الله ﷺ ولم يُبيِّن لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنتُ بينهما، ولم أكتب بينهما سطر: "بسم الله الرحمن الرحيم"، ووضعتهما في السبَّع الطُّوَل".

ففهم من هذا الحديث أن ترتيب الآيات في السور أمر توقيفي متلقى عن الرسول ﷺ، وأما ترتيب السور فمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضي الله عنه؛ ولهذا ليس لأحد أن يقرأ القرآن إلا مرتبا؛ فإن نكسه أخطأ خطأ كبيرا. وأما ترتيب

السور فمستحب اقتداء بعثمان، رضي الله عنه، والأولى إذا قرأ أن يقرأ متواليا كما قرأ، عليه الصلاة والسلام، في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين وتارة بسبح وهل أتاك حديث الغاشية، فإن فرق جاز، كما صح عن رسول الله ﷺ، روى البخاري (كتاب الجمعة رقم ٨٩٩) قال: حدثنا أبو نعيم قال حدثنا سفيان عن سعد بن إبراهيم عن عبد الرحمن ـ هو ابن هرمز ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾.

وإن قدم بعض السور على بعض جاز أيضا، (روى مسلم ٢٧باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل رقم ١٨٥٠) قال: وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير وأبو معاوية ح وحدثنا زهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم جميعا عن جرير كلهم عن الأعمش ح وحدثنا ابن نمير - واللفظ له - حدثنا أبي حدثنا الأعمش عن سعد بن عبيدة عن المستورد بن الأحنف عن صلة بن زفر عن حذيفة قال صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة. ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة فمضى فقلت يركع بها. ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلا إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول" سبحان ربي العظيم". فكان ركوعه نحوا من قيامه ثم قال "سمع الله لمن حمده" . ثم قام طويلا قريبا مما ركع ثم سجد فقال "سبحان ربي الأعلى". فكان سجوده قريبا من قيامه. قال وفي حديث جرير من الزيادة فقال "سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد" .

والخلاصة أن ترتيب الآيات والبسملة في الأوائل توقيفي فهو من النبي ﷺ، قال ابن كثير في مقدمة التفسير: (ذكره مكي في تفسير سورة براءة)، إما ترتيب السور

فهو من الصحابة، باجتهادهم عند كتابة مصحف عثمان، وإما الاختلاف في عدد آيات القران فلا يعنى وجود نصوص مختلفة، ولكنه يرجع على الأرجح إلى الاختلاف في مواضع رؤوس الآيات، وكلها مواضع أثر عن النبي ﷺ أنه وقف عليها، فالنص القرآني محفوظ عند الصحابة والتابعين بالتواتر، لا شك في ذلك ولا اختلاف.

والآيات في كتاب الله على نوعين

- **المحكم:** وهو الآيات المترابطة ترابطا وثيقا بين اللفظ والمعنى، وليس فيها غموض أو شبهة فهي واضحة، لا يمكن حملها على معنى آخر.
- **المتشابه:** وهو الآيات التي تحتمل جوانب متعددة في اللفظ أو المعنى، ويلزم لتفسيرها الاستعانة بالمحكم من الآيات.

سجود التلاوة

فضل سجود التلاوة

عن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: "قال رسول الله ﷺ: إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله (وفي رواية أبي كريب يا ويلي) أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار". (حدثني زهير بن حرب حدثنا وكيع حدثنا الأعمش بهذا الإسناد مثله غير أنه قال: فعصيت فلي النار). حديث صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه في باب الإيمان.

أنواع السجود

السجود نوعان، فإما متكرر (أي سجدتان تتلو إحداهما الأخرى) كما في الصلوات المكتوبة والمسنونة، وكما في صلوات النفل مطلقا، ويشمل ذلك

الصلوات الخمس المكتوبة، والسنن القبلية والبعدية، والتراويح، والتهجد، والعيدين، والتطوع، وما إلى ذلك. وهو ركن في كل ركعة فيها. وإما أن يكون السجود مفردا (أي سجدة واحدة منفردة)، كما في سجود القران، أي سجود التلاوة، وسجود الشكر. ويوجد نوع ثالث خاص بالصلاة في حال السهو لجبر النقص أو الزيادة وهو سجود السهو وهو سجدتان.

مشروعية السجود

السجود من أنواع العبادات، ولا ينبغي أن يكون لغير الله سبحانه، فلا يسجد لأحد مهما كانت مكانته أو ارتفعت منزلته. ولقد درست أحاديث كثيرة حول هذا الموضوع؛ في كتب الحديث والتفسير منها سنن ابن ماجة، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، وسنن الترمذي، واخترت منها حديث معاذ رضي الله عنه، فقد جاء في سنن ابن ماجه، حدثنا أزهر بن مروان قال حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن القاسم الشيباني عن عبد الله بن أبي أوفى قال: لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ "قال ما هذا يا معاذ، قال أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك فقال رسول الله ﷺ: فلا تفعلوا، فاني لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ... إلى آخر الحديث". أخرجه ابن ماجة في سننه، والحاكم في مستدركه وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

أما ما قيل في وجوب السجود أو عدمه، فقد تعددت الآراء في ذلك، وخلاصتها الآتي:

١. قال بعض أهل العلم إنما السجدة على من أراد أن يسجد فيها، والتمس فضلها، ورخصوا في تركها، قالوا إن أراد ذلك، واحتجوا بحديث زيد بن ثابت قال: قرأت على النبي ﷺ النجم فلم يسجد. فقالوا لو كانت السجدة واجبة لم

يترك النبي ﷺ زيدا حتى يسجد ويسجد النبي معه. وممن أخذ بهذا القول الشافعي وأحمد.

٢. ذهب الجمهور إلى أن سجود التلاوة سنة للقارئ والمستمع، لما رواه البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قرأ يوم الجمعة على المنبر بسورة النحل حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد وسجد الناس، حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها حتى إذا جاء السجدة قال: يا أيها الناس إنا نمر بالسجود فمن سجد فقد أصاب ومن لم يسجد فلا إثم عليه، وزاد نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما إن الله لم يفرض السجود إلا أن نشاء. أخرجه البخاري.

٣. أما الأحناف فقد رأوا أنه واجب وقالوا بأن نفي الفرض لا يستلزم نفي الواجب.

وأما عن إلزامية السجود فمذهب الجمهور انه يلزم القارئ والمستمع، فالقارئ كالإمام فإذا سجد، سجد المستمع، وإلا فلا. والأحناف قالوا هو ملزم للقارئ والمستمع، والسامع أي من مر عرضا فسمعه ولم يكن قاعدا للاستماع. وقال أبو حنيفة يسجد سجود التلاوة القارئ والسامع من رجل أو امرأة. وقال الثوري في الرجل يسمع السجدة من المرأة؛ قال يقراها هو ويسجد؛ يعني لا يسجد لتلاوتها. وقال الليث: من سمع السجدة من غلام سجدها. وذكر البويطي عن الشافعي قال: إن سمع رجلا يقرأ في الصلاة سجدة، فان كان جالسا إليه يسمع قراءته فسجد، أي المصلي، فليسجد معه، وان لم يسجد وأحب المستمع أن يسجد فليسجد.

شروط سجود التلاوة

١. النية، فهي شرط لصحة جميع العبادات.

٢. استقبال القبلة ولمن كان راكبا. ويومئ برأسه.

٣. الطهارة عند الجمهور؛ وقد روي عن ابن عمر انه سجد بغير وضوء.

٤. لا يشترط لسجود التلاوة قيام ولا تكبيرة إحرام ولا تشهد ولا سلام.

٥. يشترط التكبير لمن كان في صلاة، أو خارجها ومعه جماعة، فيكبر للسجود وللرفع منه حتى يعلم من كان معه. فقد روي عن ابن عمر: "كان عليه الصلاة والسلام يقرأ عليه القران فإذا مر بسجدة كبر وسجد وسجدنا معه". هذا ما عليه الجمهور، ولكن اختلف قول مالك إذا كان في غير صلاة.

٦. فرق المالكية بين السجود للقران في الصلاة المكتوبة، فمنعوه. وبين السجود في النافلة فأجازوه. وقالوا بكراهيته في الصلاة السرية دون الجهرية. وقال بعض الأحناف بذلك أيضا.

عزائم سجود التلاوة

وجمل ما اتفق العلماء عليه أن الجميع مشروع، ولكن العزائم وهي التي يجب على القارئ والسامع السجود عندها، كان ذلك في صلاة أو بغيرها، فقد تعددت الأقوال فيها ألخصها بالاتي:

١- عن ابن مسعود رضي الله عنه العزائم: الأعراف، وسبحان، وثلاثة المفصل.

٢- روي عن ابن عباس رضي الله عنهما العزائم: ألم تنزيل وحم تنزيل والنجم واقرأ.

٣- وقال سعيد بن جبير مثل قول ابن عباس، إلا انه أسقط اقرأ.

٤- وقال علي كرم الله وجهه: ما ورد الأمر فيه بالسجود عزيمة.

وعلى ذلك فان ما عدوه وأخذوا به فهو من العزائم التي يجب عندها السجود، وما لم يعدوه فالمسلم فيه على الخيار إن شاء سجد وان لم يسجد فلا إثم عليه. وعليه فان عزائم السجود عند الجمهور هي في سورة السجدة، وفصلت، والنجم، واقرأ.

ما يقال في سجود التلاوة

لمن سجد سجود التلاوة أن يسجد سجدة واحدة ويدعو بما شاء، ومما روي عن ابن عباس قال: "جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني رأيتني الليلة وأنا نائم، كأني أصلي خلف شجرة، فسجدت، فسجدت الشجرة لسجودي، فسمعتها تقول: اللهم اكتب لي بها عندك أجرا، وضع عني بها وزرا، واجعلها لي عندك ذخرا، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود". ولم يصح عن رسول الله ﷺ في ذلك إلا حديث عائشة وعلي بن أبي طالب وهو حديث طويل إلى أن قال: "وإذا سجد قال: اللهم لك سجدت، وبك آمنت ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين". أخرجه الإمام مسلم في صحيحه وقال حديث حسن. وقد روي بطريق آخر. عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في سجود القرآن بالليل "سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته". وفيما ارى والله اعلم ان من لم يعلم ذلك لجهل او قصور، فسبح وحمد الله واثنى عليه بما هو اهله، وبما يسره الله على لسانه، فله الاجر ان شاء الله.

عدد السجدات ومواضعها

لا خلاف بين العلماء على أن عدد السجدات في القران الكريم خمس عشرة سجدة، فقد روي عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة، منها: ثلاث في المفصل، وفي الحج سجدتان، رواه أبو داود، والحاكم، وابن ماجة، والدار قطني، منها عشر سجدات متفق عليها بالإجماع التام دون خلاف بين العلماء أو الأئمة الأربعة عليها وهي:

- سجدة سورة (الأعراف) وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

• سجدة سورة (الرعد) وهي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩﴾ [الرعد: ١٥].

• سجدة سورة (النحل) وهي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾ [النحل: ٤٨ - ٥٠].

• سجدة سورة (الإسراء) وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

• سجدة سورة (مريم) وهي قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾ [مريم: ٥٨].

• السجدة الأولى في سورة (الحج) وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ [الحج: ١٨].

• سجدة سورة (الفرقان) وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩﴾ [الفرقان: ٦٠].

• سجدة سورة (النمل) وهي قوله تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩﴾ [النمل: ٢٤ - ٢٦].

• سجدة سورة (السجدة) وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩﴾ [السجدة: ١٥].

• سجدة سورة (فصلت) وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩﴾ [فُصِّلت: ٣٧ - ٣٨].

مع اختلاف في خمس منها وهي:

١. السجدة الثانية في (سورة الحج) وهي قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج: ٧٧].

٢. سجدة سورة (ص) وهي قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ

وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ۩ ﴾ [ص: ٢٤].

٣. سجدة سورة (النجم) وهي قوله تعالى: ﴿فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ وَٱعۡبُدُواْ ۩﴾ [النجم: ٦٢].

٤. سجدة سورة (الانشقاق)، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَۤ ۩﴾ [الانشقاق: ٢١].

٥. سجدة سورة (العلق) وهي قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡۤ وَٱقۡتَرِب ۩﴾ [العلق: ١٩].

ومما خلصت إليه من دراستي لعدد من كتب التفسير والحديث، أن الخلاف في السجدات الخمس يمكن أن يلخص في أقوال الأئمة الأربعة، أبو حنيفة، واحمد بن حنبل، والشافعي، ومالك بن أنس، على النحو الآتي:

- عدها الإمام أبو حنيفة أربع عشرة سجدة، ولم يأخذ بالسجدة الثانية من سورة الحج.
- عدها الإمام احمد بن حنبل أربع عشرة سجدة، ولم يأخذ بسجدة سورة ص.
- عدها الإمام الشافعي أربع عشرة سجدة، ولم يأخذ بسجدة سورة ص.
- عدها الإمام مالك بن أنس إحدى عشرة سجدة، ولم يأخذ بثانية الحج ولا بسجدات، النجم، والانشقاق، والقلم.

السجود في أوقات الكراهة

والمقصود بأوقات الكراهة: الأوقات التي تكره فيها الصلاة وهي ما بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس، وما بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس. وللعلماء في ذلك مذهبان، فقد رأى الشافعي وأحمد جواز ذلك لأن السجود له سبب. أما

مالك ومن وافقه، فقد رأى عدم السجود. وأما أبو حنيفة فقال لا يسجد عند الطلوع ولا عند الزوال ولا عند الغروب، ويسجد بعد العصر وبعد الفجر.

كلمات وحروف القران

هناك اختلاف في عدد كلمات القران، وذلك لاختلاف طرق العد، فعدد الكلمات برواية حفص عن عاصم في المصحف الذي بين أيدينا، (مصحف المدينة المنورة) هو (٧٧٤٣٩ كلمة)، وذلك يوافق ما ذكره ابن كثير في مقدمة التفسير قال: (وأما كلماته، فقال الفضل بن شاذان، عن عطاءِ بن يسار: سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة).

فوائد

- أطول آية في القران هي آية (الدين) في سورة البقرة ورقمها (٢٨٢) وعدد كلماتها (١٢٨) كلمة.
- اقصر آية في القران ككلمة ذات معنى دون زيادات هي آية (مدهامتان) في سورة الرحمن ورقمها (٦٤) وبالزيادات هناك (والضحى)، (والعصر)، (والفجر)، كذلك هناك (يس)، و(طه)، ولكن العلماء عدوها من حروف فواتح السور، إلا أن كلمة (طه) ذات معنى مفهوم مستقل، كما قيل عنها كأحد وجوه تفسيرها، عند تفسير سورة (طه) كما في تفسير ابن كثير: (والذي أولى عندي بالصواب قول من قال: معناه يا رجل، لأنها كلمة معروفة في عك فيما بلغني، وان معناها فيهم، يا رجل قال متمم بن نويرة:

هتفت بطـه في القتـال فلـم يجـب فخفـت عليـه أن يكـون مـوائلا

وقال آخر:

إن الـسفاهة طـه مـن خلائقكـم لا بـارك الله في القـوم الملاعـين

- اقصر كلمة (طه). سورة طه-١.
- أطول كلمة (فأسقيناكموه). سورة الحجر- ٢٢.
- أعظم آيات القرآن الكريم آية الكرسي، ورقمها (٢٥٥) من سورة "البقرة".
- أرجى آية في القران هي قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَر: ٥٣].
- آيات السجود إذا سمعها الشيطان بكى: (روى مسلم برقم ٢٥٤): حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالا حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ "إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله - وفي رواية أبي كريب يا ويلي - أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار".

حروف القران الكريم

اختلف العلماء في عدد حروف القران، وتعددت في ذلك الروايات عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم. وسأستعرض ما قيل في ذلك، ثم أعلق عليه مستعينا بما قال العلماء في توضيح ذلك، ان شاء الله.

قال عبد الله بن كثير، عن مجاهد: هذا ما أحصيناه من القرآن وهو ثلاثماية ألف حرف وواحد وعشرون ألف حرف ومائة وثمانون حرفا (٣٢١١٨٠).ذكره ابن كثير في تفسيره، وذكر أيضا: قال الفضل، عن عطاء بن ياسر: ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألفا وخمسة عشر حرفا. (٣٢٣٠١٥). وذكر ابن كثير أيضا، قال سلام أبو محمد الحماني: أن الحجاج جمع القراء والحفاظ والكتاب فقال: أخبروني عن القرآن كله كم من حرف هو؟ قال: فحسبناه فأجمعوا أنه ثلاثمائة ألف

حرف وأربعون ألفا وسبعمائة وأربعون حرفا. (٣٤٠٧٤٠). وقيل عدد حروفه (٣٢٢٦٠٤) وهذا العد لا يتضمن البسملات إلا بسملة الفاتحة لأنها مرقمة في المصحف، فإذا أضفنا حروف البسملات التي في أوائل السور صار العدد (٧٢٤٧٣٢). وقيل غير ذلك، والله أعلم. وسأعرض لتوضيح ذلك، أي الاختلافات في العد ثلاثة أمثلة، قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [طه: ١١] فعدد الحروف كتابة هو ١٧ حرفا وعددها لفظا هو ٢٠ حرفا بزيادة ثلاثة حروف، وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فعدد الحروف لفظا ١٧ حرفا وعددها كتابة هو ١٩ حرفا بزيادة حرفين، ولنأخذ كلمة مثل (حينئذ) فعدد حروفها كتابة هو خمسة حروف، وعند لفظها يصبح العدد ستة حروف بإضافة نون التنوين لفظا، وعليه فقد اختلف العادون بحسب الطريقة المتبعة في العد، أضف إلى ذلك ما تحدثه أحكام التلاوة والتجويد من فروقات، عند مراعاة أحكام المد بأنواعه، كذلك أحكام الغنة، والإدغام، وغير ذلك من الأحكام.

مما سبق نرى اختلافا واضحا في عد حروف المصحف، ويرجع ذلك إلى طرق العد، وليس لوجود نقص أو زيادة، فحاشا لكتاب الله أن يدخله نقص أو زيادة وقد قال سبحانه وتعالى في سورة الحجر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحِجر: ٩].

وسبب هذا التغير في العد أن القرآن كتب أول ما كتب بالرسم العثماني وإذ ذاك لم تكن الكتابة العربية قد اكتملت واستقرت، فقد كانت وليدة وفي طور الإنشاء والتحسين والتطوير، شأنها في ذلك شأن كل الكتابات باللغات المختلفة. فلم تكن الحروف منقطة، ولم يكن هناك مد ولا شكل. وقيل: إن أول من أمر بنقط المصحف وشكله عبد الملك بن مروان، فتصدى لذلك الحجاج وهو بواسط، فأمر

الحسن البصري ويحيى بن يعمر ففعلا ذلك. ويقال أيضا: إن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي. وذكر انه كان لمحمد بن سيرين مصحف قد نقطه له يحيى بن يعمر. والله أعلم. قال قتادة: بدؤوا فنقطوا، ثم خمسوا، ثم عشروا. وقال يحيى بن أبي كثير: أول ما أحدثوا النقط على الباء والتاء والثاء، وقالوا: لا بأس به، هو نور له، وأحدثوا نقطا عند آخر الآي، ثم أحدثوا الفواتح والخواتم.

ومن جميل ما قيل في عد حروف القران قول السيوطي رحمه الله: ورد في عد حروف القرآن أقوال كثيرة عن السلف، منها قول ابن عباس أن عددها (٣٢٣٦٧١)، وروي عن عمر أن عددها (١٠٠٠٠٠٠)، وروي عن عمر أيضا أن عددها (١٠٢٧٠٠٠)، وكلا القولين المرويين عن عمر رواهما الطبراني، وذكر القرطبي وابن كثير أقوالا أخرى منها: عن عطاء أن عددها (٣٢٣٠١٥)، وعن مجاهد أن عددها (٣٢١١٨٠)، وهذه الأقوال لا تخلو أسانيدها من كلام، وقد عد السيوطي الاشتغال بهذا الأمر من البطالات، وقال لا يترتب عليه كبير فائدة. والله اعلم.

حروف أوائل السور

هي الحروف التي وردت في أوائل بعض سور القران الكريم مقطعة أو موصولة أو مفردة. وعددها أربعة عشر حرفا، يجمعها قولك: نص حكيم قاطع له سر، وردت في تسع وعشرين سورة، ومجموع ورودها بالتكرار ثمان وسبعون مرة، قال ابن عاشور: والحروف منها ما يعد آيات ومنها: آلم. آلمص. كهيعص. عسق. طسم. يس. حم. طه. ومنها ما لم تعد آيات وهي: ألر. ألمر. طس~. ص~. ق~. ن~. (التحرير والتنوير ص٧٧)

الحروف حسب ترتيبها الهجائي

- الألف: وردت ثلاث عشرة مرة.

- الحاء: وردت سبع مرات.
- الراء: وردت ست مرات.
- السين: وردت خمس مرات.
- الصاد: وردت ثلاث مرا ت.
- الطاء: وردت أربع مرات.
- العين: وردت مرتان.
- القاف: وردت مرتان.
- الكاف: وردت مرة واحدة.
- اللام: وردت ثلاث عشرة مرة.
- الميم: وردت سبع عشرة مرة.
- النون: وردت مرة واحدة.
- الهاء: وردت مرتان.
- الياء: وردت مرتان.

الحروف حسب مجموعاتها والسور التي وردت فيها

السورة	الحرف	السورة	الحرف	السورة	الحرف	السورة	الحرف
البقرة	الم	إبراهيم	الر	العنكبوت	الم	فصلت	حم
آل عمران	الم	الحجر	الر	الروم	الم	الشورى	حم١عسق (٢)
الأعراف	المص	مريم	كهيعص	لقمان	الم	الزخرف	حم
يونس	الر	طه	طه	السجدة	الم	الدخان	حم
هود	الر	الشعراء	طسم	يس	يس	الجاثية	حم

السورة	الحرف	السورة	الحرف	السورة	الحرف	السورة	الحرف
يوسف	الر	النمل	طس	ص	ص	الأحقاف	حم
الرعد	المر	القصص	طسم	غافر	حم	ق	ق
*******	****	******	****	*******	****	القلم	ن

ما قيل في تفسيرها

اختلف المفسرون في الحروف التي في أوائل السور، فمنهم من قال: هي مما استأثر الله بعلمه، فردوا علمها إلى الله، ولم يفسروها {قال ذلك القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم}. ومنهم من فسرها مع الاختلاف في معناها، فقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: إنما هي أسماء السور. يؤيد ذلك ما ورد في الصحيحين، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة: ألم السجدة، وهل أتى على الإنسان، وقال سفيان الثوري، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: أنه قال: (ألم) و(حم) و (المص) و(ص)، فواتح افتتح الله بها القران.

وقال مجاهد في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعود، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عنه، انه قال: الم، اسم من أسماء القران.ولعل ذلك يرجع إلى قول عبد الرحمن بن زيد: انه اسم من أسماء السور، فان كل سورة يطلق عليها اسم قران، فان قال قائل قرأت "المص" فالمتبادر إلى فهم السامع انه قرأ سورة الأعراف وليس القران كله.

وقيل أنها من أسماء الله تعالى، قاله الشعبي وسالم بن عبد الله والسدي الكبير، وقال شعبة عن السدي: بلغني أن ابن عباس قال: الم اسم من أسماء الله الأعظم. رواه الحاكم من حديث شعبة. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هو قسم

اقسم الله به، وهو من أسماء الله. وروي من حديث شريك بن عبد الله، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى، عن ابن عباس: الم، قال: إن الله اعلم. وقيل في الم: إن كل حرف منها مفتاح اسم من أسماء الله، وليس منها حرف إلا وهو من آلائه وبلائه، وإلا وهو في مدة أقوام وآجالهم. قاله أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن انس، عن أبي العالية، ثم وفق بين هذه الأقوال وقال لا منافاة بينها، فهي من أسماء السور ومن أسماء الله يفتتح بها السور، فالله سبحانه افتتح سورا كثيرة بتحميده وتسبيحه وتعظيمه. ولا مانع من دلالة الحرف على اسم أو صفة أو مدة، فالكلمة الواحدة تطلق على معان كثيرة، فلفظة الأمة على سبيل المثال وردت في القران الكريم بمعان عدة، قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزُّخرُف: ٢٢]. فهي هنا بمعنى الدين، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]. فهي هنا بمعنى الرجل المطيع لله. وقال تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: ٢٣]، وقال أيضا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل: ٣٦]. فهي هنا بمعنى الجماعة من الناس. وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥]. فهي هنا بمعنى الحين من الدهر. (التفاسير).

وقال بعض أهل العربية: هي حروف من حروف المعجم، استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تتمة الثمانية والعشرين حرفا، كما يقول القائل: ابني يكتب في ا ب ت ث يقصد حروف اللغة العربية المعروفة فاستغنى بذكر بعضها عن كلها. قال ذلك ابن جرير. وقال ابن كثير في ج ١ من التفسير عندما تعرض لهذه الحروف في تفسير سورة البقرة: مجموع الحروف المذكورة

في أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفا وهي: ا ل م ص ر ك ي ع ط س ح ق ن، يجمعها قولك: نص حكيم قاطع له سر. وهي نصف الحروف عددا، والمذكور منها اشرف من المتروك، وبيان ذلك في صناعة التصريف. وقال الزمخشري: وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملة على إنصاف أجناس الحروف يعني من المهموسة والمجهورة، ومن الرخوة والشديدة، ومن المطبقة والمفتوحة، ومن المستعلية والمنخفضة ومن حروف القلقلة. وقد سردها مفصلة ثم قال: فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته. وهذه الأجناس المعدودة ثلاثون بالمذكور منها وقد علم أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله. انتهى كلام ابن كثير.

وقال آخرون: إنما ذكرت لبيان إعجاز القران وان الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع انه (تركب) من حروف اللغة التي يتخاطبون بها. كذلك لوحظ بالاستقراء أن كل سورة افتتحت بالحروف فلابد أن يذكر فيها الانتصار للقران وبيان عظمته وإعجازه، وذلك في تسع وعشرين سورة، وسأكتفي بذكر مثالين للتبيان لا للحصر. قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة: ١ - ٢] وقال أيضا ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف: ١ - ٢].

ومن جميل ما قيل في هذه الحروف، أن الله سبحانه لم ينزلها عبثا ولا سدى فان صح لنا فيها شيء عن المعصوم قلنا به وإلا وقفنا حيث وقفنا، وقلنا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران: ٧] والله الموفق لما فيه سواء السبيل.

قراءة السين صادا والصاد سينا

الموضع الأول

قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وتجوز القراءة بالسين والصاد وبالسين أولى. (وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ) قرأ أهل البصرة وحمزة يبسط، هاهنا وفي الأعراف، بسطة، بالسين كنظائرهما، وقرأهما الآخرون بالصاد قيل يقبض بإمساك الرزق والنفس والتقتير ويبسط بالتوسيع وقيل يقبض بقبول التوبة والصدقة ويبسط بالخلف والثواب، وقيل هو الإحياء والإماتة فمن أماته فقد قبضه ومن مد له في عمره فقد بسط له، وقيل هذا في القلوب، لما أمرهم الله تعالى بالصدقة أخبر أنهم لا يمكنهم ذلك إلا بتوفيقه، قال: يقبض بعض القلوب فلا ينشط بخير ويبسط بعضها فيقدم لنفسه خيرا كما جاء في الحديث "القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها الله كيف يشاء". الحديث. قاله البغوي في تفسيره، وسكت عن ذلك ابن كثير والطبري وغيرهما.

الموضع الثاني

قال تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ [الأعراف: ٦٩]. قيل في معنى بسطة: طولا وقوة وكبر أجسام. وتجوز القراءة بالسين والصاد وبالسين أولى.

الموضع الثالث

قال تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٧].

قيل معنى المسيطرون: الجبارون والمتسلطون. وتجوز القراءة بالوجهين وبالسين

أولى. قاله البغوي في تفسيره. وعلل بكتابة سين تحت الصاد: قال عكرمة: يعني النبوة. قال مقاتل: أبأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاءوا؟ قال الكلبي: خزائن المطر والرزق، ﴿أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ﴾ المسلطون الجبارون، قال عطاء: أرباب قاهرون فلا يكونوا تحت أمر ونهي، يفعلون ما شاءوا.ويجوز بالسين والصاد جميعًا، قرأ ابن عامر بالسين هاهنا وقوله: "بمسيطر"، وقرأ ابن كثير هاهنا بالسين و "بمصيطر" بالصاد، وقرأ الآخرون بالصاد فيهما.

الموضع الرابع

قال تعالى: ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢] (بسين تحت الصاد).

والمقدم في الوجهين الثالث والرابع القراءة بالصاد لأن السين كتبت تحتها.

وقد توسع بعض المفسرين واللغويين بالحديث عن ذلك كثيرا، وبما أن ذلك لا يؤثر في معنى الآيات، أو في تفسيرها، أو فهمها فقد رأيت اجتناب الخوض فيه والله الموفق.

فائدة عامة

١) أول حرف في القرآن(الباء) في بسم الله الرحمن الرحيم – الفاتحة – ١.

٢) أوسط حرف (التاء) وقيل (الفاء) في كلمة (وليتلطف) – الكهف – ١٩.

٣) آخر حرف (السين) في (من الجنة والناس) – الناس – ٦.

٤) ورد لفظ الجلالة (الله) في جميع آيات سورة المجادلة وعددها ٢٢ آية.

٥) وردت حروف الهجاء كاملة بما فيها الهمزة، والالف الممدودة، والالف المقصورة، في الآية (٢٩) من سورة الفتح

الكتب السماوية الأخرى

تمهيد

قال تعالى: ﴿... لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧] قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: وقال الثوري: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧] الآية، قال: هذه أنواع البر كلها. وصدق رحمه الله؛ فإن من اتصف بهذه الآية، فقد دخل في عرى الإسلام كلها، وأخذ بمجامع الخير كله، وهو الإيمان بالله، وهو أنه لا إله إلا هو، وصدق بوجود الملائكة الذين هم سفرة بين الله ورسله ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ وهو اسم جنس يشمل الكتب المنـزلة من السماء على الأنبياء، حتى ختمت بأشرفها، وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب، الذي انتهى إليه كل خير، واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة، ونسخ [الله] به كل ما سواه من الكتب قبله، وآمن بأنبياء الله كلهم من أولهم إلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

(وروى مسلم بسنده برقم ١٠٢باب الإيمان) من حديث طويل عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال صدقت. قال فعجبنا له يسأله

ويصدقه. قال فأخبرني عن الإيمان. قال "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره". قال صدقت. قال فأخبرني عن الإحسان. قال "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". قال فأخبرني عن الساعة. قال "ما المسئول عنها بأعلم من السائل" . قال فأخبرني عن أمارتها. قال "أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رِعَاءَ الشَّاءِ يتطاولون في البنيان". قال ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي "يا عمر أتدري من السائل" . قلت الله ورسوله أعلم. قال "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم" .

شاهدنا من الآية الكريمة والحديث الشريف، هوان احد أركان الإيمان في ديننا الحنيف الإيمان بالكتب السماوية المنزلة من الله سبحانه، والتي سبقت نزول القران، ونزلت على أنبياء سابقين، قبل بعثة محمد بن عبد الله رسولنا وحبيبنا، عليه وعلى رسل الله جميعا أفضل صلاة وأتم تسليم. وقد ورد في القران الكريم ذكر تلك الكتب، سأتكلم عنها إن شاء الله حسب تسلسلها الزمني، وحسب نظرة الإسلام إليها، وبما يوافق ما جاء في القران والسنة.

صحف إبراهيم

إبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء بعد الطوفان العظيم، الذي حدث في زمن سيدنا نوح عليه السلام، وعليه فان صحف إبراهيم هي أول ما انزل الله على الرسل، فيما نعلم، لان القران الكريم لم يذكر لنا انه انزل كتابا على احد من الأنبياء قبله. وكل الذي نعلمه عن هذه الصحف هو ما ورد في القران الكريم في بعض المواضع، ومجمل ما جاء في تلك الصحف هو الأساسيات العامة للديانة الحنيفية، وهي الإسلام، على اختلاف الرسل، ومسميات الكتب السماوية قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾[آل عمران: ١٩] وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ

﴿وَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، والله اعلم. وقد وردت الاشارة الى الصحف التي انزلت على النبيين ابراهيم وموسى عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨ - ١٩].

صحف موسى والتوراة

يأتي نبي الله موسى عليه السلام بعد إبراهيم عليه السلام في التسلسل الزمني، فهو من بني إسرائيل الذين عاشوا في مصر بعدما أدخلهم إليها نبي الله يوسف عليه السلام. ولما نبئ موسى عليه السلام انزل الله عليه التوراة التي ذكرت في القران الكريم بثلاثة صيغ، فهي صحف قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ [النجم: ٣٦] وهي ألواح، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ﴾ [الأعراف: ١٥٠] وهي التوراة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[آل عمران: ٦٥] وفي الآية دلالة على التسلسل الزمني كما ذكرنا، فان صحف إبراهيم كانت قبل التوراة وقبل الإنجيل، لان زمان إبراهيم كان قبل زمان موسى، وقبل زمان عيسى وهما، إي موسى وعيسى من نسل إبراهيم، عليهم جميعا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وقد ذكر أن الألواح كانت من (زمرد اخضر، وقيل من ياقوت) من الجنة، وقيل من برد، وقيل كانت سبعين وقر بعير (أي مقدارها) وقيل كان عددها سبعة أسباع، فلما ألقاها عليه السلام تكسرت فرفع منها ستة أسباعها، قيل الذي بقي هو الذي فيه الهدى والرحمة، وقال آخرون الذي بقي هو الذي فيه التفصيل، كما قيل أن الله

سبحانه كتبها بيده، وقد ادني موسى حتى انه كان يسمع صرير القلم. كما قيل إنما كانت لوحين اثنين. (كل ذلك أورده الطبري في تفسيره للآيات ١٥٠ - ١٥٤ من سورة الأعراف).

وقال بذلك عامة أهل التفاسير، قلت معلقا على ذلك ان كل ما ذكر قد روي عن بعض الصحابة منهم ابن عباس وعلي رضي الله عنهما، كذلك عن بعض التابعين منهم أبو العالية وسعيد بن جبير، ولم يرو عن رسول الله ﷺ شيء في ذلك، والظاهر أن كل التفصيلات هي من الإسرائيليات التي لا تنفع ولا تضر. ومما يبدو من التسلسل الزمني لقصة بني إسرائيل أن الألواح قد أنزلت قبل التوراة، إذ أن موسى عليه السلام قد جاء بها (إي الألواح) بعد أن ذهب للقاء ربه سبحانه أول مرة، بعد أن أنجاه الله وقومه من فرعون، حين فلق البحر ليمروا فيه، ثم أطبقه على فرعون وجنده فأغرقهم، فلما عاد موسى عليه السلام من ميعاد ربه، وجد قومه قد ضلوا بعده وعبدوا العجل، فغضب والقي الألواح واخذ بلحية أخيه هرون يلومه، فلما سكن غضبه اخذ الألواح وحرق العجل ونسفه في اليم، وإنما أخذها كلها والله اعلم، فهو مؤتمن على ما جاءه من الله، ولم يكن ليترك منها شيئا، كذلك فالقران الكريم لم يشر إلى شيء من ذلك، ونحن نعتمد القران، كأوثق مصدر نعتمد عليه. اما التوراة فقد أنزلت في اللقاء الثاني حين ذهب موسى ونخبة من قومه إلى ميعاد ربهم ليعلنوا التوبة، بعد أن كان السامري قد أغواهم وصنع لهم العجل فعبدوه، والله اعلم.

والتوراة من وجهة نظرنا نحن المسلمين، كتاب انزله الله سبحانه على موسى عليه السلام، فيه هدى ونور، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا

قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]ويظهر من سياق الآية انه سبحانه قد انزل الشرائع والأحكام تامة لبني إسرائيل ليحكموا بها، فلما حرفوا حكموا بما شاءوا فقال سبحانه: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ . وكذلك هي تفصيل لكل شيء وهدى ورحمة قال تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٤].

والتوراة التي بين يدي اليهود اليوم - من وجهة نظرنا نحن المسلمين - ليست التي انزل الله على موسى، فلقد دخلها التحريف والزيادة والنقصان، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِۚ ﴾ [النساء: ٤٦] قال الطبري في التفسير: ٩٦٩١ - حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: "يحرفون الكلم عن مواضعه"، تبديل اليهود التوراة. وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩] واختصر هنا ما قال الطبري عند تفسير الآية قال: يعني بذلك الذين حرفوا كتاب الله من يهود بني إسرائيل، وقد عرفوا انه من عند الله، وكتبوا كتابا على ما تأولوه من تأويلاتهم، مخالفا لما أنـزل الله على نبيه موسى ﷺ، ثم باعوه من قوم لا علم لهم بما في التوراة،– هم على الأرجح مشركوا العرب - وقالوا: هذا من عند الله، وما هو من عند الله. وعمدوا إلى ما أنـزل الله في كتابهم من نعت محمد ﷺ فمحوه من مواضعه، وزادوا ما يحبون، ومحوا منه ما يكرهون.

الزبور

قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء: ١٦٣] قال الطبري في التفسير: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ بفتح "الزاي"، على أنه اسم الكتاب الذي أوتيه داود، كما سمى الكتاب الذي أوتيه موسى "التوراة"، والذي أوتيه عيسى "الإنجيل"، والذي أوتيه محمد "الفرقان"، وقال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٥]قال البغوي في التفسير: والزبور: كتاب علمه الله داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وتمجيد وثناء على الله عز وجل وليس فيها حرام ولا حلال ولا فرائض ولا حدود. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]قال البغوي: (قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ قال سعيد بن جبير ومجاهد: الزبور جميع الكتب المنـزلة، والذكر أم الكتاب الذي عنده (إي الذي في السماء)، والمعنى من بعد ما كتب ذكره في اللوح المحفوظ. وقال ابن عباس والضحاك: الزبور التوراة والذكر الكتب المنـزلة من بعد التوراة. وقال الشعبي: الزبور كتاب داود، والذكر التوراة. وقيل: الزبور زبور داود، والذكر القرآن)، انتهى.

وليس لنا أن نزيد على ذلك، إذ لم يرد في القران أو السنة ما يمكن زيادته.

الإنجيل

هو كتاب الله الذي انزله سبحانه على نبيه وعبده عيسى بن مريم عليه السلام قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ

ﱡﭐ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﱠ [المائدة: ٤٦] قال الطبري في التفسير: يعني تعالى ذكره بقوله: "وقفينا على آثارهم"، أتبعنا عيسى ابن مريم على آثار النبيين الذين أسلموا من قبلك، يا محمد، فبعثناه نبيًّا مصدّقا لكتابنا الذي أنـزلناه إلى موسى من قبله أنّه حق، وأن العمل بما لم ينسخه الإنجيل منه فرضٌ واجب = وأنـزلنا إليه كتابنا الذي اسمه "الإنجيل" فيه هدى ونور "يقول: في الإنجيل "هدًى"، وهو بيان ما جهله الناس من حكم الله في زمانه = "ونور"، يقول: وضياء من عَمَى الجهالة = "ومصدقًا لما بين يديه"، يقول: أوحينا إليه ذلك وأنـزلناه إليه بتصديق ما كان قبله من كتب الله التي كان أنـزلها على كل أمة أُنـزل إلى نبيِّها كتاب للعمل بما أنـزل إلى نبيهم في ذلك الكتاب، من تحليل ما حلّل، وتحريم ما حرّم= و"المتقون"، هم الذين خافوا الله وحَذِروا عقابه، فاتقوه بطاعته فيما أمرهم، وحذروه بترك ما نهاهم عن فعله.

وقال تعالى: ﱡﭐ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﱠ [الصف: ٦] قال ابن كثير: يعني: التوراة قد بَشَّرَت بي، وأنا مصداقُ ما أخبرت عنه، وأنا مُبَشّر بمن بعدي، وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد. فعيسى عليه السلام، وهو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام في ملأ بني إسرائيل مبشرًا بمحمد، وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي لا رسالة بعده ولا نبوة.

والإنجيل كالتوراة قد لحقه التحريف، فآية البشارة هذه وغيرها من الآيات التي فيها ذكر للنبي محمد عليه الصلاة والسلام قد محيت، كذلك كثير من الآيات كتبت على أهواء من كتبوها، ودليل ذلك كثير من الآيات التي تخالف شرع الله، فنجد النصارى على سبيل المثال، يشربون الخمر ويأكلون لحم الخنزير، ولا

يتحرجون من ذلك. اما الطامة الكبرى في التحريف فهي القول بالتثليث والعياذ بالله. وذلك هو الكفر البواح الصريح قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[المائدة: ٧٣] وكذلك من تحريفات النصارى القول بان عيسى ابن الله، وهذا ما قالته اليهود قبلهم فجعلوا عزيرا ابن الله، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠] قاتلهم الله جميعا. بما افتروا وبما كذبوا، وبما نسبوا لعباد الله مالا ينبغي لهم، وحاشا لعزير وعيسى عليهما السلام أن يرضيا بما نسب إليهما، فإنما هما عبدان من عباد الله. أما أنت فقل – أيها المسلم –كما قال الله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤] تنزه الله رب العالمين. والصلاة والسلام على خاتم المرسلين والحمد لله رب العالمين.

وقبل أن اختم أود العودة إلى حديث أبي ذر رضي الله عنه، وهو حديث طويل ومما جاء فيه بخصوص الكتب السماوية قوله: (قلت: يا رسول الله، كم كتابًا أنـزله الله؟ قال: "مائة كتاب وأربعة كتب، وأنـزل الله على شيث خمسين صحيفة، وعلى خَنُوخ ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وأنـزل على موسى من قبل التوراة عشر صحائف والإنجيل والزبور والفرقان"). وقد ذكر في الحديث أن صحف إبراهيم وصحف موسى كانت حكما ومواعظ ولم يكن فيها أحكام ولا

حلال ولا حرام. قلت: ومعلوم أن شيتا عليه السلام نبي الله لم يذكر في القران الكريم ولم تذكر صحفه. أما اخنوخ وهو إدريس عليه السلام فقد ذكر في القران الكريم ولكن صحفه لم تذكر.

وإما عن الأنبياء والرسل فقال: (قلت: يا رسول الله، كم الأنبياء ؟ قال: "مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا" قال: قلت: يا رسول الله، كم الرسل من ذلك؟ قال: "ثلاثمائة وثلاثة عشر جمٌّ غَفيرٌ كثير طيب". قلت: فمن كان أولهم ؟ قال: "آدم". قلت: أنبي مرسل؟ قال: "نعم، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وسَوَّاه قَبيلا ثم قال: "يا أبا ذر، أربعة سريانيون: آدم، وشيث، وخَنُوخ -وهو إدريس، وهو أول من خط بقلم -ونوح. وأربعة من العرب: هود، وشعيب، وصالح، ونبيك يا أبا ذر. وأول أنبياء بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى. وأول الرسل آدم، وآخرهم محمد"). صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قلت: وقد أورد ابن كثير الحديث بطوله في تفسير الآية رقم (١٦٤) من سورة النساء وعلق عليه وعلى تخريجه، وبين راي المفسرين في ما في رجاله من ضعف. ولمن أراد الاستزادة فليرجع إلى التفسير.



القسم الثالث

الأنبياء والرسل

لما خلق الله سبحانه ادم عليه السلام، وخلق له زوجه من نفسه، اسكنه الجنة وأمره أن لا يأكل من شجرة عينها له، ولكن إبليس أغواه حتى أكل منها، فاهبطه سبحانه إلى الأرض ليعيش فيها هو وذريته، ما شاء الله لهم أن يعيشوا، وجعلها دار ابتلاء وعمل، وكان سبحانه اهبط إبليس أيضا، وقد توعد لعنه الله بني ادم بالغواية، ولرحمة الله خلقه، أرسل إليهم الرسل والأنبياء، ليبينوا لهم طريق النجاة والهداية. ويحذروهم الشيطان ومكائده، وقد أرسل سبحانه عددا كبيرا منهم لا يعلم عدتهم إلا هو سبحانه، فما من امة إلا وأرسل الله لها نبيا أو رسولا قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾[فاطر: ٢٤]. والرسل والأنبياء الذين أرسلهم الله جم غفير، وقد وقع اختلاف كبير في عددهم، إلا انه لم يثبت عن رسول الله ﷺ حديث صحيح يثبت ذلك العدد، إلا ما جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه، وقد ضعفه كثير من المفسرين والرواة لما في إسناده من الضعاف. (كما وضح ذلك ابن كثير في تفسير سورة النساء:١٦٤)، وما يهمنا هنا هو العدد المذكور في القران الكريم، والذي اتفق العلماء عليه، وهو الذي سنعتمده في هذه الدراسة. قال تعالى: ﴿ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ١٦٤] فهم كثير لم يحدد الله عددهم، إلا انه ذكر قصص بعضهم وسكت عن بعضهم لحكمة لا يعلمها إلا هو سبحانه.

الفرق بين النبي والرسول

كلاهما مرسل من الله سبحانه، ولكن ثمة فرق بينهما، وقد تعددت أقوال العلماء في ذلك جمعت أشهرها وهي:

١- الرسول من كان صاحب معجزة وكتاب ونسخ شرع من قبله، ويرد على هذا القول بان كثيرا من الرسل لم ينسخوا شرع من قبلهم، كأنبياء بني إسرائيل، ومنهم اسحق ويعقوب وداود وغيرهم. فاسحق ويعقوب رسل على ملة إبراهيم ولم ينسخوا شرعه، وداود على شرع موسى ولم ينسخ شرعه كذلك.

٢- الرسول من يأتي بشرع على الابتداء، أو ينسخ بعض أحكام من قبله، ويرد علية بان يوسف رسول على ملة إبراهيم، وداود وسليمان رسل وعلى شرع موسى. ولم يأتوا بشرع جديد ولم ينسخوا شرع من قبلهم.

٣- الرسول أمر بالتبليغ إلى قوم كفار، والنبي أمر بالتبليغ لقوم مؤمنين. (وهذا رأي ابن تيمية رحمه الله كما في النبوات) ويرد عليه بأنه لا يمنع أن يبلغ النبي غير المؤمنين، فموسى أرسل إلى فرعون يبلغه بشريعة يعرفها ولا يؤمن بها، كذلك بلغ بني إسرائيل وهم مؤمنون، وهارون أرسل مع موسى، وكان معه في تبليغ الجهتين، علما بان الشريعة نزلت على موسى ولم تنزل على هارون.وكلاهما نبي ورسول.

٤- الرسول بعث إلى قوم بشرع جديد بالنسبة لهم، وليس شرطا أن يكون جديد بالنسبة إليه، فهو في نفسه نبي، واليهم رسول، كإسماعيل عليه السلام حين بعث إلى جرهم. والنبي أرسل بشرع ليس بجديد لا إليه ولا إلى المرسل إليهم، وعليه فالرسول أعم من النبي، وخلاصة هذا الرأي أن النبي: من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، ويسمى رسولا باعتباره مبلغا عن الله. ومرسلا منه لا على

الإطلاق، وهذا إذا كان الشرع الذي يدعو إليه تقريرا لشريعة من قبله، وقد يكون جديدا بالنسبة إلى المرسل إليهم، أما إذا كان الشرع الذي يدعو إليه، شرعا جديدا مطلقا أوحي إليه فهو رسول على الإطلاق. (وهذا رأي الالوسي).

(http://uqu.edu.sa/page/ar/٣٩٨٨٤ ٢٠١٢/١/٢٧) جامعة أم القرى، بتصرف قليل.

ومن الجدير بالذكر أن تعدد وجهات النظر يرجع إلى انه لم يرد في الكتاب ولا في السنة ما يدل على الفرق بشكل قاطع، فالأمر راجع إلى اجتهاد العلماء، ولكن الثابت أن هناك فرق لقول الله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢] فقوله سبحانه: ﴿مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ يدل على المغايرة أي أن الرسول غير النبي.قلت والله اعلم: وملخص تلك الأقوال أن الرسول بعث عاما للكفار والمؤمنين على السواء وان كان بعثه في الأصل إلى الكفار، فقد قال سبحانه لموسى عليه السلام حين بعثه: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤] ومعلوم أن فرعون كان كافرا، أما دعوة بني إسرائيل فكانت بدهية وهي من مستلزمات عموم الدعوة وان لم يرد فيها أمر مباشر. أما من بعث بعد موسى إلى بني إسرائيل (وكذلك عامة من بعث إلى المؤمنين مجددا)، وخاصة الذين لم يذكر القران أسماءهم، فهم أنبياء وليسوا رسلا، بعثوا لما انحرف اليهود عن الطريق السوي، ليجددوا لهم الدين ويردوهم إلى شرع الله، وبقيت التوراة شرعهم وكتابهم. كيوشع وحزقيل وشمويل وغيرهم. اما من ذكر اسمه في القران منهم، فهم رسل كداود وسليمان وزكريا وغيرهم.

الرسل

وقد صرح القران الكريم بخمسة وعشرين منهم عدهم بأسمائهم، سنتحدث عنهم بحسب تتابع أزمانهم، وليس معنى ذلك أن التالي منهم قد جاء بعد الذي سبقه مباشرة، إنما معنى ذلك انه جاء بعد زمانه. وقد كان بينهم أنبياء ورسل لم يصرح القران الكريم بأسمائهم. أما هؤلاء المصرح بهم فهم صلوات الله وسلامه عليهم.

آدم عليه السلام

هو أبو البشر خلقه الله سبحانه بيده واسجد له ملائكته، واسماه آدم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤]قيل لأنه خلق من أديم الأرض أي مما ظهر منها، وهو التراب الذي على وجهها، قال الطبري في تفسير الآية ٣١ من سورة البقرة: (حدثنا محمد بن جرير، قال: حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا يعقوب القُمّي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، قال: بعث ربُّ العزة مَلكَ الموت فأخذ من أديم الأرض، من عذْبها ومالحها، فخلق منه آدم. ومن ثَمَّ سُمي آدم. لأنه خُلق من أديم الأرض). وقال ابن كثير في (البداية والنهاية ج١ ص٦) في حديثه عن خلق آدم (قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، ومحمد بن جعفر، حدثنا عوف، حدثني قسامة بن زهير، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال:«إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض، والأحمر، والأسود، وبين ذلك، والخبيث، والطيب، والسهل، والحزن، وبين ذلك». وهو أول أنبياء الله ورسله، قيل كان طوله ستون ذراعا، قال البخاري:(حدثني عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي

هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال" خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا ثم قال اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة فاستمع ما يحيونك تحيتك وتحية ذريتك. فقال السلام عليكم. فقالوا السلام عليك ورحمة الله. فزادوه ورحمة الله. فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن ".صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء رقم٣٣٦١). وقيل انه عاش ألف سنة، جاء في البداية والنهاية (فسكن الجنة ما شاء الله، ثم أهبط منها، وكان آدم يعد لنفسه فأتاه ملك الموت فقال له آدم: قد عجلت قد كتب لي ألف سنة قال: بلى، ولكنك جعلت لابنك داود منها ستين سنة، فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته، فيومئذ أمر بالكتاب والشهود)). قال ابن كثير في البداية والنهاية أيضا: (وقد رواه أبو حاتم، وابن حبان في (صحيحه) وهذا لفظه. قيل دفن في الهند، وقيل في مكة، وقيل في بيت المقدس. أما عن رسالته فقيل كان معه صحف فيها الشريعة والله اعلم. وقد فصلت قصته مع إبليس في باب القصص.

إدريس عليه السلام

إدريس عليه السلام هو أول الأنبياء من ولد ادم ممن صرح القران الكريم بذكره، وهو ثاني الخمسة والعشرين من الرسل، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾[مريم: ٥٦] وقد ذكر سبحانه من صفاته كما في الآية السابقة النبوة والصدق، فهو عليه السلام نبي مرسل، وأكرم بها صفة يصف بها الله عبدا من عباده، مع ما أضاف لها سبحانه من صفة الصديقية، وهي صفة يطمع كل مخلوق أن ينالها، والوصف من الله سبحانه، فذلك شرف عظيم، زاد عليه سبحانه صفة الصبر، وهي لا تقل عن سابقتها شرفا وعزا. قال تعالى: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ



﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥] وفوق كل ذلك زاده الله إكراما، فجعل له المنزلة الرفيعة، قال تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] وهو كما ثبت في (الصحيحين)، في حديث الإسراء، أن رسول الله ﷺ مر به، وهو في السماء الرابعة. روى البخاري (صحيح البخاري، باب المعراج رقم ٣٩٣٥) عن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ قوله: (ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل . قيل ومن معك قال محمد. قيل أوقد أرسل إليه قال نعم. قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء. ففتح فلما خلصت إلى إدريس قال هذا إدريس فسلم عليه. فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح). واستدل بعض العلماء من هذا الحديث انه قبض في السماء الرابعة.

وقد ذكر من خبره كما في (البداية والنهاية ج١ ص ٧) وذكر ابن اسحق انه أول من خط بالقلم، وقد أدرك من حياة أبيه ادم، ثلاثمائة سنة وثماني سنين. وقال (البغوي في التفسير): قوله عز وجل ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ﴾ وهو جد أبي نوح واسمه "أخنوخ" سمي إدريس لكثرة درسه الكتب. وكان خياطا وهو أول من خط بالقلم، وأول من خاط الثياب، ولبس المخيط، وكانوا من قبله يلبسون الجلود، وأول من اتخذ السلاح، وقاتل الكفار وأول من نظر في علم النجوم والحساب، قيل ولما وصل الأمر إليه حكم بشريعة ادم وشيت، حتى أرسل الله سبحانه إليه بالصحف، قال ابن حبان: ((صحيح ابن حبان ج٢ باب ما جاء في الطاعات رقم٣٦١) (قال عليه الصلاة والسلام: (يا أبا ذر أربعة سريانيون: آدم وشيت وأخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بالقلم ونوح وأربعة من العرب: هود وشعيب وصالح ونبيك محمد ﷺ قلت: يا رسول الله كم كتابا أنزله الله؟ قال: مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيت خمسون صحيفة وأنزل على أخنوخ (إدريس) ثلاثون صحيفة).

نوح عليه السلام.

قيل أول ما بدأ الناس عبادة الأصنام إنما كان ذلك لما مات الصالحون من بعد آدم، وسوس إبليس للناس أن اجعلوا لهؤلاء الصالحين في منازلهم أو مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها تماثيل حتى لا تنسوهم، ولما تقادم بهم العهد (أي بأبنائهم)، نسوا أن تلك التماثيل هي لرجال صالحين من آبائهم، فبدؤوا يتوسلون بهم إلى الله، ثم تحولوا إلى عبادتهم ونسوا الله ووقعوا في الشرك والكفر. وقد سميت تلك التماثيل أي الأوثان بأسماء هؤلاء الصالحين، ثم نقلها الناس إلى بقاع الأرض، وزادوا عليها غيرها. (البداية والنهاية ج١ ص٧ بتصرف) فلما كان زمان نوح عليه السلام، كان من تلك الأوثان خمسة عبدت من دون الله قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نوح: ٢٣] كانوا لشدة كفرهم وضلالهم، يوصي الاباء منهم الابناء اذا حضرتهم الوفاة، كانوا يوصونهم التمسك بعبادة تلك الاصنام والاوثان، وياخذون منهم العهود والمواثيق على ذلك. فأرسل الله نوحا إلى قومه يدعوهم إلى ترك عبادة الأوثان، ويحذرهم غضب الله وسخطه، ويحثهم على العودة إلى الله، والى عبادته دون سواه، ولم يأل جهدا في ذلك، ودعاهم بالليل والنهار، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا﴾ [نوح: ٥] كذلك أسر بالدعوة وجهر بها، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا﴾ [نوح: ٨ - ٩].

وقد استمر عليه السلام في دعوته، منذ بعثته إلى إن بلغ عمره تسعمائة سنة وخمسين سنة، لا يكل ولا يمل عليه السلام، فكان بذلك أول أولي العزم من الرسل. إلا أنهم كذبوه ووصفوه بالجنون قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ﴾ [القمر: ٩]،



واستمر في دعوته إلا أنهم صموا آذانهم بأصابعهم، وغطوها بثيابهم، حتى لا يسمعوا ما يقول، وأصروا على كفرهم واستكبروا، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾[نوح: ٧] وتابع عليه السلام الدعوة، وبين لهم طريق النجاة وهي الاستغفار والتوبة، وذكرهم بنعم الله عليهم، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٢] ولكنهم ازدادوا كفرا وعنادا، فلما يأس من صلاحهم، وخاف على من تبعه من المؤمنين، خاف أن يفتنوهم أو يردوهم عن دينهم، دعا الله عليهم قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[نوح: ٢٦ - ٢٧].

لما دعا نوح الله أن يهلك الكفرة، أمره سبحانه ببناء السفينة ليحمل عليها المؤمنين، فلما أتمها وجاء أمر الله، أهلك سبحانه كل كافر، ولم يبق على الأرض من البشر إلا المؤمنين الذين حملوا على الفلك. قيل هم من آمن من أهل بيته، ومن آمن من قومه. وقيل عاش بعد الطوفان خمسين سنة إلى أن توفاه الله، وأما قبره عليه السلام: فروى ابن جرير، والأزرقي، عن عبد الرحمن بن سابط، أو غيره من التابعين مرسلاً أن قبره بالمسجد الحرام، وهذا أقوى وأثبت من الذي يذكره كثير من المتأخرين من أنه ببلدة بالبقاع، تعرف اليوم بكرك نوح، وهناك جامع قد بني بسبب ذلك فيما ذكره، والله أعلم. (البداية والنهاية ج ١ ص٧).

هود عليه السلام

هو رابع أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، أرسله الله إلى قومه عاد، فكانوا خلفاء قوم نوح قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٥] وكانت عاد قومه (عربا يسكنون الأحقاف، وهي جبال الرمل وكانت باليمن من عمان وحضرموت بأرض مطلة على البحر يقال لها الشحر، وكانوا كثيرا ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴾ [الفجر: ٨] أي: عاد إرم وهم عاد الأولى. ويقال للعرب الذين كانوا قبل إسماعيل عليه السلام: العرب العاربة وهم قبائل كثيرة منهم: عاد وثمود وجرهم وطسم وجديس وغيرهم. وأما العرب المستعربة: فهم من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل. والمقصود أن عادا وهم عاد الأولى كانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان، وكان لهم ثلاثة أصنام يعبدونها هي صدا وصمودا وهرا. (البداية والنهاية ج١ ص٨).

ولما تفشت عبادة الأصنام في عاد وكانوا من اشد أهل زمانهم بطشا وتجبرا، ومن أعظمهم أجساما وقوة، ومن أكثرهم عتوا وتمردا، قال تعالى: ﴿... وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ﴾ [الأعراف: ٦٩]، أرسل الله فيهم رجلا منهم يدعوهم إلى الله وإلى إفراده بالعبادة والإخلاص له، وينهاهم عن عبادة الأصنام، وعن ما هم فيه من الضلال والكفر، ويبين لهم سوء عملهم، قال تعالى: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ [الشعراء:

١٢٨ - ١٣٠]فقد كانوا يبنون قصورا لا حاجة لهم بها، فهم أهل حل وترحال، وكانوا يقتلون بالسيوف والسياط، لشدة تمردهم وتجبرهم.

وقد أمرهم عليه السلام بتقوى الله وبين لهم نعمه عليهم، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الشعراء: ١٣٢- ١٣٤] كما حذرهم عاقبة كفرهم قال تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٣٥] وبين لهم انه رسول الله، وانه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجرا، فأجره على الله، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٢٤ -١٢٧]، فما كان منهم إلا أنهم كذبوه وخالفوه واتهموه بالجنون، قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [هود: ٥٣ - ٥٤]عند ذلك تبرا منهم وتركهم إلى الله ليقضي فيهم بما هو قاض سبحانه.

ومن رحمة الله بعباده، وتصديقا لقوله تعالى بان رحمته تسبق غضبه، امتحنهم سبحانه، قيل بالقحط ثلاث سنين لعلهم يتوبوا ويستغفروا، ولكنهم أصروا على الكفر والضلال، فحق عليهم العذاب، فلما استسقوا – أي سألوا الله السقيا أي المطر – أرسل سبحانه سحابة سوداء استبشروا بها وقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ﴾ [الأحقاف: ٢٤] (فنودوا منها خذوها رمادا رمددا لا تبقى من عاد أحدا.- البداية والنهاية ج ١ ص٨)، قال تعالى: ﴿...بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: ٢٤]



فسلط الله عليهم الريح العقيم الشديدة العاتية المهلكة، سبعة ليال وثمانية ايام متواليات قال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[الحاقة: ٧] فدمرت خيامهم ومساكنهم، وكانت تحملهم وتصرعهم، قال تعالى: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤٢]ولم تبق منهم أحدا قال تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٨].

قيل عاش هود(٤٦٤) سنة ودفن في حضرموت، وجاء في (البداية والنهاية ج ١ ص٨ قصة هود عليه السلام) ويقال: إن هودا عليه السلام أول من تكلم بالعربية. وقيل: نوح. وقيل: آدم. والله اعلم. وقد اختلف في نسبه، ولما لم أجد في الكتاب ولا في السنة ما يبين ذلك، رأيت عدم التعرض له.

صالح عليه السلام

بعد أن باد قوم عاد كما أسلفنا، نشأ قوم آخرون هم قوم صالح، (وهم قبيلة مشهورة يقال ثمود باسم جدهم ثمود، وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر الذي بين الحجاز وتبوك،)(البداية والنهاية ج ١ ص٨ قصة صالح عليه السلام)، وكانوا يعبدون الأصنام، فبعث الله فيهم رجلا منهم وهو: صالح عليه السلام، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة الأصنام والأنداد، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾ [الأعراف: ٧٣]وقد جعلهم سبحانه بعد عاد ليتعظوا بما لحقهم من العذاب، وليعملوا بما يرضي الله، فسخر لهم الأرض بما فيها من الخصب يزرعونها، وبما فيها من الماء، يشربون هم وإنعامهم، ويسقون زروعهم، وقد وعظهم رسول الله بذلك، قال تعالى: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾



﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ١٤٧ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ﴾ [الشعراء: ١٤٦ - ١٤٨] كما يسر لهم سبحانه من القوة والحذق، ما مكنهم من بناء القصور في السهول، ونحت البيوت الفارهة في الجبال، قال تعالى: ﴿وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٩].

لما قال لهم عليه السلام ذلك، آمنت به طائفة منهم وكفر أكثرهم ولقي منهم ما لقي الأنبياء قبله من التكذيب والصدود، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ٧٥ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥ - ٧٦] ثم إن الذين كفروا قالوا: كنا نظنك يا صالح عاقلا مرجو العقل، قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ﴾ [هود: ٦٢] أي قبل دعوتنا لترك عبادة آبائنا، قال تعالى: ﴿أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ﴾ [هود: ٦٢] قالوا: أما وقد فعلت فإننا لا نشك إلا انك ساحر أو مسحور قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٥٣ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣ - ١٥٤] أي أنت بشر مثلنا ولكنك تكذب على الله، فان كنت صادقا في دعواك، فات بآية تدل على صدقك.

(وقد ذكر المفسرون أن ثمود اجتمعوا يوما في ناديهم فجاءهم رسول الله صالح فدعاهم إلى الله وذكرهم وحذرهم ووعظهم وأمرهم فقالوا له: إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة ناقة-وأشاروا إلى صخرة هناك- ووصفوا الناقة

قالوا: وأن تكون عشراء طويلة من صفتها كذا وكذا. فقال لهم ﷺ: أرأيتم إن أجبتكم إلى ما سألتم على الوجه الذي طلبتم أتؤمنون بما جئتكم به وتصدقوني فيما أرسلت به. قالوا: نعم فأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك ثم قام إلى مصلاه فصلى لله عز وجل ما قدر له ثم دعا ربه عز وجل أن يجيبهم إلى ما طلبوا. فأمر الله عز وجل تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة عشراء على الوجه المطلوب الذي طلبوا أو على الصفة التي نعتوا فلما عاينوها كذلك رأوا أمرا عظيما ومنظرا هائلا وقدرة باهرة ودليلا قاطعا وبرهانا ساطعا فآمن كثير منهم واستمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم. ولهذا قال تعالى:﴿فَظَلَمُواْ بِهَاۚ﴾ أي: جحدوا بها ولم يتبعوا الحق بسببها أي: أكثرهم (البداية والنهاية ج ١ قصة صالح ﷺ).

وقد بين لهم ﷺ أن شرط الله عليهم أن يكون الماء قسمة بينهم وبين الناقة، فلها يوم تشرب فيه الماء ولهم يوم، قال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ [القمر: ٢٨] قال الطبري: عن مجاهد، في قوله ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ قال: يحضرون فلهم الماء إذا غابت، وإذا جاءت حضروا اللبن. (قلت ومعنى ذلك أنهم يشربون الماء في اليوم الذي تغيب فيه، ويرفعون حاجتهم منه لليوم الذي يليه، فإذا حضرت لشرب الماء في يومها، احتلبوها فشربوا لبنها مع ما ادخروا من الماء في اليوم السابق). كذلك اشترط أن يتركوها ترعى حيث تشاء، ولا يمسوها بسوء، قال تعالى: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣] وبين لهم، أنهم إن مسوا الناقة بسوء، فجزاء ذلك غضب الله ونقمته وعذابه الأليم.

استمر قوم صالح على ذلك زمانا، إلا أنهم ضاقوا بعد ذلك ذرعا بالناقة،



واضمروا قتلها ليستريحوا منها ويتوفر عليهم ماؤهم وزين لهم الشيطان أعمالهم. فلما علم صالح بذلك ذكرهم، ووعظهم قال تعالى: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴾[الشمس: ١٢ - ١٣] أي دعوا الناقة واذكروا عهودكم ومواثيقكم، إلا أنهم أصروا على الكفر والعصيان، وملخص ما جاء في (البداية والنهاية ج١ص٨): وكان الذي تولى قتلها منهم رئيسهم: قدار بن سالف بن جندع وكان أحمر أزرق أصهب وكان فعله ذلك باتفاق جميعهم فلهذا نسب الفعل إلى جميعهم كلهم. وذكر ابن جرير وغيره من علماء المفسرين: أن امرأتين من ثمود اسم إحداهما: صدوق ابنة المحيا بن زهير وكانت تحت رجل ممن أسلم ففارقته فدعت ابن عم لها يقال له: مصرع بن مهرج وعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقة. واسم الأخرى: عنيزة بنت غنيم وكانت عجوزا كافرة لها بنات فعرضت بناتها الأربع على قدار بن سالف إن هو عقر الناقة فله أي بناتها شاء. فانتدب هذان الشابان لعقرها وسعوا في قومهم بذلك فاستجاب لهم سبعة آخرون فصاروا تسعة وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴾[النمل: ٤٨].

ثم قال ابن كثير: وسعوا في بقية القبيلة وحسنوا لهم عقرها فأجابوهم إلى ذلك وطاوعوهم في ذلك فانطلقوا يرصدون الناقة فلما صدرت من وردها كمن لها مصرع فرماها بسهم فانتظم عظم ساقها وجاء النساء يأمرن القبيلة في قتلها وحسرن عن وجوههن ترغيبا لهم. فابتدرهم قدار بن سالف فشد عليها بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرت ساقطة إلى الأرض ورغت رغاة واحدة عظيمة تحذر ولدها ثم طعن في لبتها فنحرها، قال الله تعالى: ﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾

[القمر: ٢٩]، قال: وانطلق سقبها وهو فصيلها فصعد جبلا منيعا ودعا ثلاثا. وروى عبد الرزاق عن معمر عمن سمع الحسن أنه قال: يا رب أين أمي؟ ثم دخل في صخرة فغاب فيها. ويقال: بل اتبعوه فعقروه أيضا) انتهى كلام ابن كثير.

فلما كان ذلك منهم انذرهم رسول الله ثلاثة أيام، يأتيهم بعدها عذاب الله قال تعالى: ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ٦٥] ولكنهم كذبوه واستعجلوا العذاب، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧] فاستحقوا العذاب من وجهين الأول، نقضهم شرط الله بعدم مس الناقة بسوء وتكذيب نبيه، والثاني استعجالهم العذاب. ولشدة كفرهم وطغيانهم اضمروا قتل نبي الله، وتعاهدوا واقسم بعضهم لبعض أن ينكروا قتله إذا هم فعلوا. قال تعالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [النمل: ٤٩].

وتمام القصة في (البداية والنهاية ج١): ولما اجمع أولئك النفر الذين قصدوا قتل صالح أمرهم، أرسل الله عليهم حجارة رضختهم سلفا وتعجيلا قبل قومهم وأصبحت ثمود يوم الخميس وهو اليوم الأول من أيام النظرة ووجوههم مصفرة كما أنذرهم صالح عليه السلام فلما أمسوا نادوا بأجمعهم: ألا قد مضى يوم من الأجل. ثم أصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة فلما أمسوا نادوا ألا قد مضى يومان من الأجل، ثم أصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع (المهلة) وهو يوم السبت ووجوههم مسودة فلما أمسوا نادوا ألا قد مضى الأجل. (ج/ص: ١/٨) فلما كان صبيحة يوم الأحد تحنطوا وتأهبوا وقعدوا ينظرون ماذا يحل بهم من العذاب والنكال والنقمة لا يدرون كيف يفعل بهم ولا من أي

جهة يأتيهم العذاب. فلما أشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم ورجفة شديدة من أسفل منهم ففاضت الأرواح وزهقت النفوس وسكنت الحركات وخشعت الأصوات وحقت الحقائق فأصبحوا في دارهم جاثمين جثثا لا أرواح فيها ولا حراك بها. قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥١ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٥٢ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [النمل: ٥٣]وهكذا تم أمر الله بعذاب من كفر ونجاة المؤمنين، فلله الحمد والمنة.

إبراهيم خليل الله عليه السلام

هو ثاني أولي العزم من الرسل، ولد عليه السلام وقومه يعبدون الأصنام، فنشأ بينهم يرى ويسمع ما يفعلون ولا يطيق ذلك ولا يستسيغه، وقد وقع اختلاف في اسم أبيه (فقيل تارح وأهل الكتاب يقولون تارخ فقيل لقب باسم صنم كان يعبده اسمه آزر، وقال ابن جرير (أي الطبري): والصواب أن اسمه آزر ولعل له اسمان علمان أو أحدهما لقب والآخر علم. وهذا الذي قاله محتمل والله أعلم. (البداية والنهاية ج١ قصة إبراهيم). قلت: إلا أن ظاهر الآية الكريمة يدل على أن اسم أبيه آزر والله اعلم، قال تعالى: ﴿۞ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[الأنعام: ٧٤]، كذلك قال سبحانه: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾[الأحزاب: ٥] وقد نسب سبحانه عيسى عليه السلام لامه في اثني عشر موضعا لانها ولدته قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ



﴿عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥] كذلك نسب مريم عليها السلام لأبيها قال تعالى: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢] فكل ذلك يؤيد ويرجح أن اسم أبي إبراهيم آزر، والله اعلم.

وقد ناظر أباه وقومه في أمر عبادة الأصنام وبين لهم أنها لا تضر ولا تنفع، بل لا تستطيع دفاعا عن نفسها، فهي لم تفعل حين حطمها وجعلها جذاذا، أي كسرا وقطعا صغيرة متناثرة. إلا أنهم أصروا على كفرهم وناصبوه العداء. وكان ذلك ببابل حيث ولد وحيث كانوا يعبدون الأصنام (البداية والنهاية ج١ ص٩)، فلما كان ذلك اجمعوا على حرقه انتقاما لآلهتهم، فجعلوا نارا عظيمة ألقوه فيها، إلا أن الله سبحانه نصره فأنجاه من النار. قال تعالى: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾[الأنبياء: ٦٨ - ٧٠]قيل ولما نجا من النار، وقد جعلها الله بردا وسلاما عليه التقى النمرود الملك، وقد ادعى لعنه الله انه يحي ويميت، فيأمر بقتل هذا فيميته، ويأمر بالعفو عن ذاك فيحييه، فقال له عليه السلام إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، فبهت اللعين، ولكنه استمر على كفره حتى أزهق الله روحه. قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

بعد ذلك خرج عليه السلام من بابل إلى دمشق ولم يكن معه من المؤمنين إلا زوجته

سارة وابن أخيه لوط عليه السلام. وخرج معه أبوه ولم يؤمن. وكان أهل دمشق يعبدون الكواكب، فجرت بينه وبينهم المناظرة الثانية التي بين فيها أن الكواكب تشرق وتغرب، أي تظهر وتختفي، وان منها الكبير والصغير، والنير والخافت، ولكن الله سبحانه المقيم على حال واحد لا يتغير، وهو سبحانه الكبير المتعال الذي لا يعبد سواه. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٦ – ٧٨].

بعد ذلك هاجر عليه السلام وزوجته وابن أخيه إلى مصر، فاستقر بها زمنا ثم عاد إلى بيت المقدس، وتزوج هاجر جارية سارة لما وهبته إياها، فلما ولدت إسماعيل عليه السلام، اسكنها مكة، واستقر بعد ذلك مع سارة في بيت المقدس حتى ولدت له اسحق، فلما ماتت تزوج بعدها قيل مرتان، واستمر يزور إسماعيل في مكة وفيها بنى الكعبة المشرفة، وإقامته في بيت المقدس يدعو الله ويعبده ويدعو إليه إلى أن توفاه الله، قيل عن مائتي سنة، وقيل دفن في حبرون التي تعرف الآن بالخليل، قيل سميت بذلك نسبة إليه عليه وعلى نبينا أفضل صلاة وأتم تسليم.

لوط عليه السلام

لما خرج إبراهيم ولوط عليهما السلام من مصر متوجهين إلى بلاد الشام، استقر إبراهيم في بئر سبع من فلسطين، فيما توجه لوط إلى المؤتفكات، وهي خمس قرى في وادي الأردن أكبرها سدوم، (الكامل ج١ ص٢) كان موقعها مكان ما يعرف اليوم بالبحر الميت، فأرسل الله سبحانه إليهم لوطا عليه السلام نبيا، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا

لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [الصافات: ١٣٣]، وكان أهلها من شرار الخلق، لم يتركوا منكرا إلا فعلوه، فقد كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء، قال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، (وكانوا إذا مرت بهم الركبان قطعوا عليهم الطريق، ورجموهم واخذوا أموالهم، ثم اخذوا الرجال ففعلوا بهم الفاحشة. كذلك في ناديهم كانوا لا يتورعون أن يأتي بعضهم بعضا، لا ينكرون ذلك بل يتفاخرون به لعنهم الله (الكامل ج١ ص٢).

وقد أقام فيهم عليه السلام زمانا يدعوهم إلى عبادة الله، وترك ما هم فيه من الكفر والفجور، قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٦١ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٦٢ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء: ١٦١ - ١٦٣] إلا أنهم أصروا على كفرهم وفجورهم فخوفهم عذاب الله وبطشه بمن كفر وانذرهم قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا﴾ [القمر: ٣٦] فما ازدادوا إلا تكذيبا له، ولم يصدقوا ما أنذرهم به من العذاب قال تعالى: ﴿فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ﴾ [القمر: ٣٦] ولشدة فجورهم واجترائهم على الله قالوا ﴿ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]وعابوا عليه صلاحه وطهره فقالوا ﴿أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾[الأعراف: ٨٢]، ومنعوه أن يضيف أحدا إلا بعلمهم، وكانت امرأته على دين قومها ولم تؤمن به، قيل فكانت عينا لهم عليه (أي تنقل لهم أخبار من يدخل عليه من الرجال). ورغم ذلك استمر يدعوهم ويعظهم وينذرهم حتى يئس منهم، فدعا الله قال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ﴾[الشعراء: ١٦٩]وطلب النصرة عليهم قال: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[العنكبوت: ٣٠].

ولما قضى الله سبحانه نصرة نبيه وهلاك أعدائه، أرسل ملائكته فمروا بإبراهيم فبشروه وزوجته سارة، بإسحق ومن بعده يعقوب عليهم جميعا أفضل الصلاة وأتم التسليم، كما بينا ذلك في (باب القصص- مولد اسحق)، ثم اعلموه أنهم مرسلون لإهلاك قوم لوط، فلما اطمأن عليه السلام بالبشرى وعرفهم وعرف مقصدهم، اخذ يكلم الله ويسأله في أمرهم (وذلك قول البصريين في معنى يجادلنا، فهو لا يجادل الله بل يسأله، وعامة المفسرين قالوا يجادل رسلنا)، لعل الله يمهلهم فيتوبوا، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾[هود: ٧٤ - ٧٥] «وذكر سعيد بن جبير والسدي وقتادة ومحمد بن إسحاق: أن إبراهيم عليه السلام جعل يقول: أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن؟ قالوا: لا. ثم نزل بالعدد، قال ابن إسحاق: إلى أن قال أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا. ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾ [العنكبوت: ٣٢] (البداية والنهاية ج١ ص١٠»). (وفي العهد القديم شبيه بهذه المحاورة، تكوين ١٨ من٢٣ الى٣٢). ثم قالوا: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٢] وقول الملائكة نحن أعلم بمن فيها، ذلك أن الله سبحانه أمرهم بإخراج لوط عليه السلام والمؤمنين من القرية قبل إهلاكها. ثم قالوا: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود: ٧٦] أي لا تجادل فيهم يا إبراهيم فان الله سبحانه قد قضى فيهم بأمره الذي لا يرد، وسوف يصيبهم ما كتب الله عليهم من العذاب.

قال المفسرون: انطلق الملائكة (قيل ثلاثة هم جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام) من عند إبراهيم إلى سدوم قرية لوط، في صورة شبان حسان ليقيم الله الحجة على قوم لوط، فلقوا لوطا عند الغروب فاستضافوه، فخشي إن لم

يضيفهم أن يأخذهم قومه فيساء بهم، فضيفهم وقد ضاق بهم ذرعا، لعلمه بما سيجد من مدافعة قومه عنهم، وكانوا منعوه أن يضيف رجالا قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ﴾ [هود: ٧٧] وذكر قتادة أنهم وردوا عليه وهو في أرض له يعمل فيها فتضيفوا فاستحيى منهم وانطلق أمامهم وجعل يعرض لهم في الكلام لعلهم ينصرفون عن هذه القرية وينزلون في غيرها. قال: والله يا هؤلاء ما أعلم على وجه الأرض أهل بلد أخبث من هؤلاء، ثم مشى قليلا ثم أعاد ذلك حتى كرره أربع مرات قال : وكانوا قد أمروا أن لا يهلكوهم حتى يشهد عليهم نبيهم بذلك. وقال السدي: لقوا ابنة لوط تستقى من الماء فقالوا لها: يا جارية هل من منزل؟ فقالت لهم: مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم فرقت (خافت) عليهم من قومها فأتت أباها فقالت: يا أبتاه أرادك فتيان على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم قط هي أحسن منهم لا يأخذهم قومك فيفضحوهم، فجاء بهم فلم يعلم أحدا إلا أهل البيت. فخرجت امرأته فأخبرت قومها، فجاءه قومه يهرعون إليه. (البداية والنهاية ج١ ص١٠) والقصة أيضا في (الكامل ج١ ص٢).

لما جاء الفجار لوطا وسألوه أن يخرج إليهم ضيفه، وجههم عليه السلام إلى زوجاتهم فهن اطهر لهم وأزكى (وهن بناته شرعا) قال: ﴿يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾ [هود: ٧٨] وحاشا لله أن يكون قد عرض بناته لصلبه والعياذ بالله (كما جاء في كتاب اليهود لعنهم الله (العهد القديم تكوين ١٩:٨)، وليس ادل على مراده ذاك من قوله: ﴿هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾ فقد اراد صرفهم عن الفجور والرذيلة الى العفاف والطهر، اما قول اليهود لعنهم الله انه عرض عليهم بناته لصلبه، فذاك يتنافى عقلا ومنطقا مع قوله: ﴿هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾، وما كان عليه السلام ليدرأ فاحشة بفاحشة اكبر. ثم

ذكرهم بالله لعلهم يرتدعوا قال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ﴾ [هود: ٧٨] ولكنهم أصروا فقال: ﴿أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾[هود: ٧٨]فكانت هذه شهادة منه على عموم كفرهم وفجورهم، فبعد خروجه من بينهم لن يكون فيهم حتى رجل واحد يشفع فيهم ليرد الله بأسه عنهم. ولما رأى تعنت قومه وإصرارهم قال: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ [هود: ٨٠] ذلك انه ﵇ كان غريبا في تلك الديار، ولم يكن معه من بني عمومته أو عشيرته من ينصره، فلما قال ذلك، عرف الملائكة بأنفسهم، وكان يحسبهم بشرا، قالوا: إنّ ركنك لشديد وقالوا: ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ﴾[هود: ٨١] وفتح الباب فدخل القوم فطمس الله على عيونهم فقال لوط: فأهلكوهم الآن قالوا: ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾[هود: ٨١] فخرج ﵇ بأهل بيته ولم يكن ثم مؤمن غيرهم قال تعالى: ﴿فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[الذاريات: ٣٦] قيل وخرجت امرأته معهم، فلما سمعت الصيحة التفتت فأصابها ما أصابهم، ذلك أنها لم تكن من المؤمنين قال تعالى: ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ﴾ [هود: ٨١] فلقد كانت كافرة ثم إنها خالفت أمر الله سبحانه فالتفتت.

خرج ﵇ ليلا كما أمره الله ومضى حيث أمره، فلما كان الصبح موعد أمر الله، قيل أخذهم جبريل ﵇ بطرف جناحه فرفعهم في السماء، ثم ضرب بهم الأرض، وصب عليهم سبحانه ما شاء من أصناف العذاب، جزاء لهم بكفرهم

وفجورهم وتكذيب نبيهم، مع ما سبق منهم من الكفر والعصيان قال تعالى: ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[هود: ٧٨] وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[هود: ٨٢ - ٨٣] يقول تعالى قلبناها ظهرا لبطن فصار الأسفل منها الأعلى زيادة في التنكيل، ثم اتبعناهم بمطر من حجارة مسومة أي معلمة، فكل حجر يعلم أين سيسقط ومن سيعذب، وقوله منضود أي متتابعة يتبع بعضها بعضا، ثم يحذر سبحانه من ظلم نفسه فعمل بعملهم إن عذابه قريب يصيب به الظالمين. وقال تعالى:﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾[الحجر: ٧٣] وقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَـٰهُم بِسَحَرٍ﴾[القمر: ٣٤]وقال: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣] فتلك أصناف العذاب الذي صب عليهم، عليهم لعائن الله. ثم إن الله تركهم آية ليتعظ بهم من يأتي بعدهم من الأمم، فجعل بلادهم بحرة سبخة مالحة ميتة، على طريق مسلوك معروف قال تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[العنكبوت: ٣٥] وقال جل ذكره: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ [الحِجر: ٧٦]. وأعجب العجب أن تتخذ أرضهم الآن ومساكنهم، مزارات وأماكن تنزه وسياحة وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك، روى البخاري عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال "لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما أصابهم". (البخاري رقم٤٣٤) وقد أجاز العلماء دخول أرضهم إن كان لسبب وجيه كالدراسة والبحث العلمي، على أن لا تطول الزيارة عن ما تقتضيه الحاجة. وينطبق ذلك على كل ارض المعذبين.

إسماعيل عليه السلام

هو اكبر أبناء إبراهيم عليه السلام، وأمه هاجر من أقباط مصر، وهبها ملك مصر لسارة امرأة إبراهيم، فوهبتها لإبراهيم فتزوجها، فأنجبت إسماعيل، فاسكنها عليه السلام وولدها مكة، وعاش إسماعيل في مكة، وفيها حدثت قصة الذبح، وقصة بناء الكعبة المشرفة، كما بينا في باب القصص، ولما شب إسماعيل تزوج من قبيلة جرهم، وهم جيران أمه في مكة، وفيها أرسله الله إليهم، وفيها عاش حتى قبض عليه السلام. وقد ذكر ابن كثير (في البداية والنهاية ج١ ص١١) بعض أخباره منها باختصار: (وقد تعلم عليه السلام هو وأولاده العربية من جرهم، وهم العرب المستعربة، فكان أول من تكلم العربية الفصيحة، وكان أول من استأنس الخيل وكانت من قبل وحشية، وكان رسولا إلى أهل تلك الناحية وما والاها من قبائل جرهم والعماليق وأهل اليمن صلوات الله وسلامه عليه. وقال تزوج ثلاث مرات وأنجب اثني عشر ولدا، ومن ولديه نابت وقيذار جاءت قبائل العرب المعروفة، ودفن بالحجر مع أمه هاجر وكان عمره يوم مات مائة وسبعا وثلاثين سنة). والله اعلم.

وقد أثنى الله تعالى عليه فوصفه بصدق الوعد والمحافظة على الصلاة والأمر بها لأهله ليقيهم العذاب مع ما كان يدعو إليه من عبادة الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾ [مريم: ٥٤ - ٥٥]. ووصفه بالحلم لما سأله إبراهيم الولد قال: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾ [الصافات: ١٠١] ووصفه بالصبر قال: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥].

اسحق عليه السلام

هو ثاني أبناء إبراهيم عليه السلام، أمه سارة، رزق به عليه السلام وهو شيخ كبير وقد بشره الله به، وبشره بولد له يسميه يعقوب قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾[هود: ٧١] أي البشرى لكليهما، كما بشره بنبوته قال تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الصافات: ١١٢]، فاسحق هو أبو يعقوب أبو بني إسرائيل، وقد ذكر اليهود في كتابهم انه هو الذبيح، كما فصلنا في باب القصص، والحاصل هو انه نبي كريم عليم كما وصفه الله سبحانه، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم. قيل بنى المسجد الأقصى ببيت المقدس بعد بناء البيت الحرام بأربعين عاما، وقيل لما مات دفن مع والديه في حبرون، والله اعلم.

يعقوب عليه السلام

هو يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليهم السلام، وهو الذي بشر الله به بعد اسحق قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] وهو الذي سمي إسرائيل (قيل لكثرة سيره بالليل، والله اعلم)، وقد ذكر اليهود في كتابهم قصصا عجيبة تروى عنه، لم أشأ ذكرها لما فيها من الغرائب، وهو أبو الأسباط ألاثني عشر الذين عرفوا فيما بعد ببني إسرائيل، وقد كان على ملة آبائه إبراهيم وإسماعيل واسحق، وحكم بشرعهم عليهم جميعا أفضل الصلاة وأتم التسليم. قال تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٣].

أيوب عليه السلام

وقع اختلاف في نسبه وزمان بعثته على أقوال متعددة، ولكن الثابت انه نبي ممن أوحي إليهم قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [النساء: ١٦٣] والحاصل أن الله ابتلاه في ماله وولده وجسده فمرض مرضا شديدا قيل هو الجذام وقيل الجدري، فكرهه الناس وابتعدوا عنه، ولم يبق معه إلا زوجته تقوم عليه وتخدمه وتعنى به، واستمر على ذلك زمانا وهو محتسب صابر على قضاء الله وقدره، (قال حميد: مكث في بلواه ثمانية عشرة سنة. وقال السدي: تساقط لحمه حتى لم يبق إلا العظم والعصب فكانت امرأته تأتيه بالرماد تفرشه تحته فلما طال عليها قالت: يا أيوب لو دعوت ربك لفرج عنك فقال: قد عشت سبعين سنة صحيحا فهو قليل لله أن أصبر له سبعين سنة فجزعت من هذا الكلام) قيل وكانت امرأته تخدم في البيوت بالأجر وتأتيه بالطعام، ثم كره الناس خدمتها كراهة أن يصيبهم من بلائه، فقصت ضفيرتيها وباعتهما لبعض بنات الأشراف، وجاءته بطعام أفضل مما كانت تأتيه به، فأنكر ذلك عليها فرفعت خمارها، فلما رأى ما صنعت توجه إلى الله بالدعاء قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] فاستجاب سبحانه دعاءه قال تعالى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢] قال أهل التفاسير؛ اضرب برجلك فضرب فنبعت عين فاغتسل فبرئ، ثم مشى فضرب ثانية فنبعت أخرى فشرب، ثم جاءت امرأته ولم تعرفه فقالت: يا عبد الله هل رأيت النبي المبتلى هاهنا، وخافت أن تكون السباع ذهبت به، فتبسم فعرفته، وهكذا أتم الله نعمته عليه فشفاه. ثم إن الله زاده إكراما على صبره قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ



وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٤] رد سبحانه عليه ما كان اخذ منه من مال وصحة، وأعطاه ضعف ما كان عنده، ليكون ذلك أي قصته مثلا يحتذى في الصبر والإنابة، فالله لا يضيع اجر عامل ويوفي كل نفس أجر ما قدمت سبحانه. (البداية والنهاية ج١ ص١٢) بتصرف.

فلما برئ عاد لما كان عليه من العبادة والدعوة إلى الله والإحسان لعباده، وقيل عاش بعد ذلك سبعين سنة والله اعلم. (البداية والنهاية ج١ص١٢) و(الكامل ج١ ص٢) بتصرف).

ذو الكفل عليه السلام

اختلف المفسرون في نبوته فمنهم من قال كان رجلا صالحا، ومنهم من قال كان نبيا، وقد ورد ذكره في القران الكريم مرتان مقرونا بعدد من الأنبياء عليهم السلام قال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٥]وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ [ص: ٤٨] ورد ذكره في هذه الآية بعد عدد من الأنبياء ذكروا في الآيات السابقة، عليهم جميعا أفضل الصلاة وأتم التسليم. وهذا ما يرجح كونه نبيا والله اعلم. وهو تمام الخمسة والعشرين المتفق عليهم.

يوسف عليه السلام

هو يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، نبئ صغيرا برؤيا رآها، يسجد له فيها الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ [يوسف: ٤]وقد منعه أبوه أن يخبر بها إخوته حتى لا يكيدوا له، وقد كان أحب ولده إليه لصغره ويتمه، فقد توفيت والدته بعد أن وضعت أخاه بنيامين، فنشأ في

رعاية خالته، وقد أكرمه الله سبحانه بجمال الصورة والفعال، وعلمه التأويل، وحفظه في غربته، وقد عاش في مصر يدعو إلى الله إلى أن توفاه الله، وكان بيع فيها إلى العزيز وهو نائب الملك، فتربى في بيته وبين أهله، حتى كانت محنته مع امرأة العزيز والنسوة، فادخل السجن إلى أن برأه الله، فخرج من السجن وقربه الملك وجعله خازنا على الغلال، وورث العزيز في منصبه، وفي زمنه انتقل بنو إسرائيل إليها، وعاشوا فيها وتكاثروا حتى أخرجهم منها موسى عليه السلام، وقد كاد له إخوته في قصة طويلة، فصلتها في باب القصص.

شعيب عليه السلام

قيل يرجع شعيب عليه السلام في نسبه إلى إبراهيم عليه السلام، أرسل إلى أهل مدين وهم أصحاب الأيكة على ما ذكر اغلب المفسرين. وكانوا عربا يسكنون مدينتهم التي تقع قريبا من معان، في أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز قريبا من بحيرة قوم لوط، ومدين قبيلة عرفت بهم المدينة، وهم من بني مدين بن مديان بن إبراهيم الخليل. (البداية والنهاية ج١ص١١)، وكانوا كفارا يعبدون شجرة يقال لها الأيكة، وكانوا من أسوء الناس، يقطعون السبيل ويأخذون العشر من المارين بهم، وكانوا يأخذون بالزائد ويدفعون بالناقص. نهاهم شعيب عن ذلك قال لهم: ﴿۞ أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨١ - ١٨٣] فكان ردهم أن قالوا: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧] أي هل يأمرك دينك أن تقول لنا أن نترك ما كان يعبد آباؤنا، وان لا نتصرف بأموالنا إلا بأمرك، ثم قالوا مستهزئين: كنا نحسبك حليما عاقلا، فإذا أنت سفيه تقول ما لا يعقل.

ولم يزل عليه السلام يدعوهم ويعظهم، إلا انه لم يؤمن به إلا القليل منهم. وزادوا في طغيانهم فقالوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨] أي إما أن ترجعوا عن دينكم وتعودوا إلى ديننا، أو نطردكم ونخرجكم من بلدنا. قال شعيب والمؤمنون، لا نعود إلا مكرهين، وان عدنا، نكون قد كذبنا على الله بعد إذ نجانا مما انتم فيه من الكفر. أي لا نعود وان أكرهتمونا. واستمر عليه السلام يدعوهم، مرة بالترغيب وأخرى بالترهيب، ولكنهم ازدادوا له تكذيبا وللمؤمنين إيذاء وقالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٧]، فدعا الله فقال: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩] فاستجاب سبحانه وأرسل عليهم من صنوف العذاب ما يستحقون قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: ١٨٩] قيل اشتد عليهم الحر فجاءت غمامة عظيمة فدخلوا تحتها يستظلون، فأرسل عليهم سبحانه منها أصوات الرعد العظيمة المرعبة، والصواعق المحرقة قال تعالى: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾[هود: ٩٤] ثم زلزل الأرض تحت أقدامهم فأهلكهم قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٩١].

موسى كليم الله عليه السلام

هو موسى بن عمران قيل من سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام والله اعلم، وكان فرعون مصر أمر بذبح كل مولود ذكر يولد لبني إسرائيل عاما، ويتركون عاما، فولد موسى في عام القتل، فخافت أمه عليه القتل فأخفته، فأوحى الله إليها أن تلقيه في النيل، فصنعت تابوتا من خشب وألقته فيه، فحمله التيار إلى قصر فرعون، فالتقطه جواري امرأة فرعون فأخذنه إليها، فلما فتحته وجدت موسى فيه، ولم يكن لها

ولد، فوقع حبه في قلبها، فلما علم فرعون أمر بقتله، فاستوهبته إياه فتركه، فطلبت له المرضعات فلم يقبل أثداءهن، حتى جيء بأمه فقبل ثديها، فكانت مرضعته بإكرام وحفاوة من امرأة فرعون، فعاش في حضن أمه، وبرعاية امرأة فرعون، فعاش عيش الملوك، ولبس ملابس فرعون وركب مراكبه، وعادت لبني إسرائيل هيبتهم لدى القبط بسبب رعاية موسى. والقبط لا يعلمون انه من بني إسرائيل، وإنما كانوا يدعونه ابن فرعون، لرعاية امرأته له وحبها له حيث اتخذته ولدا.

ولما كبر خرج يوما إلى السوق فوجد قبطيا وإسرائيليا يقتتلان، فضرب القبطي فقتله، فلما رأى ذلك ندم واستغفر وتاب فتاب الله عليه، فهرب فيسر الله له المسير إلى مدين، فلقي فيها شعيبا النبي فتزوج ابنته، وعاش معه عشرة سنين يرعى غنمه، ثم رجع إلى مصر وفي الطريق عند جبل الطور، كلمه الله سبحانه وأرسله نبيا إلى فرعون وبني إسرائيل، يبلغ الرسالة ويدعو إلى الله، وأعطاه تسع آيات منها: العصا، واليد، فاجتهد في الدعوة، ولكن فرعون كذبه، فأراه الآيات ولكنه لم يرتدع واتهمه بالسحر، فجمع السحرة ليحاجوه، فلما رأوا الآيات امنوا بالله فقتلهم فرعون لعنه الله، فامتحن الله فرعون وقومه بالآيات، فأرسل الله عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين وهي سنوات من القحط والمحل، وأخذهم كذلك بنقص الثمرات والأموال، إلا أنهم مع ذلك لم يؤمنوا واستمروا على كفرهم وعصيانهم. فأمر الله موسى عليه السلام أن يرحل بقومه من مصر، فحمل تابوت يوسف عليه السلام، وخرج بهم ليلا متوجهين إلى الشام على غفلة من الأقباط، فلما كشف فرعون هروبهم لحق بهم بجيش عظيم، فأدركهم عند البحر، فأمر الله موسى أن يضربه فانفلق، ووقف الماء كالجدار، فاجتازوه بسلام إلى الجانب الآخر من اليابسة، ودخل فرعون وجنوده خلفهم إلى البحر، فلما تكاملوا داخله أمره الله سبحانه أن يعود إلى حاله، فاغرقوا جميعا، وهناك لما عاين فرعون الهلاك، ورأى من المعجزات



ما ابهره، أعلن إيمانه قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠] ولكن ذلك جاء متأخرا وفي غير أوانه، وفي وقت لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل.

سار موسى بقومه إلى بيت المقدس، فلما وصلوا أريحا وكان فيها الجبارون، جبن بنو إسرائيل عن قتالهم وأبوا دخولها حتى يخرجوا منها، فعاقبهم الله بالتيه أربعين سنة، فلما انقضت عاد بهم موسى فدخلوها، ثم قبضه الله. وهو عليه السلام ثالث الخمسة أولوا العزم من الرسل، لما لقي من أذى في سبيل الله، من فرعون ومن بني إسرائيل، قيل من أذاهم أنهم اتهموه بالزنا حتى سألوا المرأة، فاستغفرت الله وأخبرتهم أن قارون أمرها أن تتهمه بنفسها فبرأته، وقيل اتهموه بالأدر (وهو كبر وتشوه في الخصيتين) وقيل بالبرص، حتى كانت حادثة الحجر (المنتظم ج١ص١٠- ١١) (البداية والنهاية ج١ص١٦) (الكامل ج١ص٤)، قيل ذهب يغتسل عند النهر فوضع ثوبه ووضع عليه حجرا، فلما اغتسل ذهب يأخذ ثوبه، فوجد الحجر قد تدحرج بثوبه بعيدا، فجرى خلفه عريانا يأخذ ثوبه، فراه رجال من بني إسرائيل، فإذا هو من أحسن الناس خلقا، فبراه الله مما قالوا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا﴾[الأحزاب: ٦٩]، وقد صبر واجتهد في الدعوة. فامتدحه الله واثني عليه في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم: ٥١]واختصه بكلامه دون خلقه قال سبحانه: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾[مريم: ٥٢]، وأعطاه الصحف التي كتبها بيده وانزل عليه التوراة فيها هدى ونور قال جل من قائل: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣] ووصفه على لسان ابنة شعيب قال:

﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾[القصص: ٢٦]، ورعاه صغيرا وكبيرا. عليه من الله أتم الصلاة وأفضل التسليم.

هارون عليه السلام

هو أخو موسى عليه السلام، قيل ولد في عام الإحياء قبله بعام، أرسله الله معه نبيا قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾ [المؤمنون: ٤٥] ووزيرا له ومصدقا ومعينا في الدعوة إلى الله قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا﴾ [الفرقان: ٣٥]، رافقه طيلة حياته، وشهد معه المواقف والأحداث كلها، وقد استخلفه موسى على قومه، لما ذهب لموعده مع الله عند الطور، فعبدوا العجل فنهاهم هارون عليه السلام وقال لهم: إنكم قد فتنتم وأمرهم بالتوبة والرجوع إلى الله، فلم يطعه إلا القليل منهم، وأرادوا الفتك به فحفظه الله حتى عاد موسى، فتبينوا خطأهم وضلالهم فتابوا ورجعوا إلى الله، فاستغفر لنفسه ولأخيه ولقومه، ثم اخذ العجل فقطعه بالمبارد واحرقه ثم ذراه في البحر. وقد ذكر غير واحد من أهل التفاسير أن هارون عليه السلام مات في التيه، قبل موسى بسنتين أو ثلاث ودفنه موسى عليه السلام.(البداية والنهاية ج١ص١٦).

إلياس عليه السلام

قيل هو الياس بن ياسين من نسل هارون عليه السلام، بعثه الله إلى بني إسرائيل في بعلبك غربي دمشق، بتجديد ما نسوا من التوراة قال تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الصافات: ١٢٤] وكان بنو إسرائيل قد اتخذوا صنمًا يعبدونه يقال له: بعل، قال تعالى: ﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[الصافات: ١٢٥]. فجعل إلياس يدعوهم إلى الله زمانا وهم على كفرهم،



وكان عليهم ملك وهم لا يسمعون إلا له، فقال لإلياس: والله ما أرى الذي تدعو إليه إلا باطلًا، لأن فلانا وفلانا يعد ملوك بني إسرائيل، قد عبدوا الأوثان فلم يضرهم ذلك شيئًا، يأكلون ويشربون ويتمتعون ما ينقص ذلك من ديارهم، وما نرى لنا عليهم من فضل، فلما رأى ذلك منهم دعا عليهم، فأمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين، فهلكت الماشية والطيور والهوامّ والشجر، وجهد الناس جهدًا شديدًا واستخفى إلياس خوفًا منهم، ثم إن الله أوحى إليه إنك قد أهلكت كثيرًا من الخلق، من البهائم والدواب والطير وغيرها، ولم يعص سوى بني إسرائيل فقال إلياس: أي رب: دعني أكن أنا الذي أدعو لهم وأبتهج بالفرج لعلهم يرجعون، فجاء إلياس إليهم وقال لهم: إنكم قد هلكتم وهلكت الدواب بخطاياكم، فإن أحببتم أن تعلموا أن الله ساخط عليكم بفعلكم، وأن الذي أدعوكم إليه هو الحق فاخرجوا بأصنامكم وادعوها، فان استجابت لكم فذلك الحق كما تقولون، وان هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل فنزعتم (أي تركتم عبادتها) ودعوت الله ففرّج عنكم قالوا: أنصفت فخرجوا بأصنامهم فدعوها فلم تستجب لهم ولم يفرج عنهم فقالوا: لإلياس إنا قد هلكنا فادع الله لنا، فدعا لهم بالفرج وان يسقوا، فخرجت سحابة مثل الترس وعظمت وهم ينظرون، ثم أرسل الله منها المطر فحييت بلادهم وفرج الله عنهم ما كانوا فيه من البلاء، فلم ينزعوا ولم يرجعوا للحق، فلما رأى ذلك إلياس، سأل الله أن يقبضه فيريحه منهم، وسلط الله على الملك وقومه عدوًا فظفر بهم وقتل الملك وخرب ديارهم وسباهم.((الكامل ج١ ص٤)(المنتظم ج١ ص١١)(البداية والنهاية ج١ص١٧) باختصار.

اليسع عليه السلام

قيل هو اليسع بن عدي من نسل يوسف عليه السلام، بعثه الله إلى بني إسرائيل قيل بانياس، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [ص: ٤٨]



فمكث فيهم زمانًا يدعوهم إلى التوحيد، وأن يتمسكوا بمنهاج إلياس وشريعته، فلم يزل كذلك حتى قبضه الله تعالى. وعندهم التابوت (تابوت يوسف ﷺ) يتوارثونه كابرًا عن كابر، وفيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون، وكانوا لا يلقاهم عدو فيقدمون التابوت ويزحفون به معهم إلا هزم الله ذلك العدو. ثم كثرت فيهم الجبابرة وقتلوا الأنبياء. فسلط الله عليهم بدل الأنبياء ملوكا جبارين يظلمونهم ويسفكون دماءهم، وسلط الله عليهم الأعداء من غيرهم، فلما كان في بعض حروبهم مع أهل غزة وعسقلان، غلبوهم وقهروهم وأخذوا التابوت منهم، وبقوا بلا راع حتى بعث الله فيهم نبيا من الأنبياء يقال له شمويل. (الكامل ج١ ص٤) (المنتظم ج١ ص١١) (البداية والنهاية ج١ص١٨) باختصار.

يونس ﷺ

هو يونس بن متى قيل: هي أمه نسب إليها كما نسب عيسى إلى مريم كان قبل النبوة من عباد بني إسرائيل: هرب بدينه فنزل شاطئ دجله: فبعثه الله نبيًا إلى أهل نينوى من أرض الموصل فدعاهم زمنا طويلا، فلم يؤمن به إلا رجلين منهم، ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات: ١٣٩]فدعا عليهم فعاتبه الله قال: ما أسرع ما دعوت على عبادي، وأمره أن ينذرهم أربعين يومًا: فرجع إليهم فدعاهم سبعة وثلاثين يومًا فلم يجيبوه فقال لهم: إن العذاب يأتيكم إلى ثلاثة أيام، وآية ذلك أن ألوانكم تتغير وتركهم وساح في الأرض: فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم فقالوا: قد نزل بكم ما قال يونس ولم نجرب عليه كذبًا: فانظروا فإن بات فيكم فأمنوا من العذاب وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب يصبحكم. فلما كان الغد تغشاهم العذاب فوق رؤوسهم: خرج عليهم غيم أسود هائل يدخن دخانًا شديدًا (وهو بركان ثار في بلادهم والله اعلم): ثم نزل إلى المدينة فاسودت منه سطوحهم: فلما رأوا ذلك

أيقنوا بالهلاك فطلبوا يونس فلم يجدوه: فألهمهم الله التوبة فأخلصوا النية في ذلك وقصدوا شيخًا من اكابرهم وقالوا له: قد نزل بنا ما ترى فما نفعل فقال: آمنوا بالله وتوبوا، فبرزوا من القرية بأهليهم وبهائمهم وفرقوا بين كل ذات ولد وولدها، ثم بكوا وتضرعوا إلى ربهم فرحمهم الله تعالى وقبل توبتهم، ورفع عنهم العذاب قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟﴾ [يونس: ٩٨] ولم تكن قرية رد الله عنهم العذاب بعدما غشيهم إلاهم.

ثم إن يونس لقي راعيًا في فلاة فسأله عنهم فقال: تابوا ولم يعذبوا، فغضب يونس عند ذلك فقال: والله لا أرجع إليهم كذابًا! ومضى مغاضبًا لربه. قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. فسار على شاطئ النهر فلقي سفينة فركب فيها، قال تعالى: ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾﴾ فلما وصلت السفينة إلى البحر وهي مثقلة بحملها من البضاعة والرجال، وصارت في عرضه ضربها الموج وأوشكت على الغرق (وقيل وقفت في مكانها لا تتحرك) قال الربابنة: نقترع على رجل نلقيه في البحر ليخف حمل السفينة ننقذها من الغرق، فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فقالوا: نبي الله لا نفرط فيه، فأعادوا القرعة فوقعت عليه، فهم بإلقاء نفسه فمنعوه، وأعادوا القرعة فوقعت عليه، قال تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾﴾ أي من وقعت عليه القرعة، فقفز إلى البحر ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ فوقع في فم حوت أرسله الله لذلك فالتقمه، بسبب ذنبه الملام عليه وهو مغاضبة الله سبحانه.

فلما صار يونس في بطن الحوت، حيا تتحرك جوارحه ولسانه نادى: ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر، وقال ابن عباس وابن مسعود:

وظلمة الليل، نادى يناجي ربه ويعتذر إليه مقرا بذنبه: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٧] أي رب سبحانك إني ظلمت نفسي بمغاضبتك، واتيت ما لا ينبغي لي أن آتيه، لا اله إلا أنت سبحانك ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] استجاب سبحانه لتضرع عبده، وإقراره بذنبه، وكذلك يفعل الله بمن تاب وأناب وأقر لله بالوحدانية سبحانه، قال تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣﴾ ولولا ما سبق له من العبادة والصلاح ومعرفة الله حال رخائه، ولولا إنابته وتضرعه وتسبيحه في حاله الراهن عند كربه وغمه، ﴿لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤﴾ أي لكان هذا آخر عهده بالحياة، ولبقي في بطنه أي صار طعاما ورزقا له، ولكن الحوت لم ينهش له لحما، ولم يكسر له عظما بأمر الله سبحانه، ولولا ذلك لبقي في جوفه إلى يوم البعث.

بقي عليه السلام في بطن الحوت ما شاء الله له أن يبقى، قيل يوما وقيل أياما والله اعلم، ثم أمر الله الحوت أن يلفظه قال تعالى: ﴿۞فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ﴾ [الصافات: ١٤٥] لفظه الحوت إلى الشاطئ في مكان مهجور لا ماء فيه ولا شجر ولا بناء، وهو في حال من الضعف والمرض، ولولا رحمة الله به وإنعامه عليه، فانه إن لم يكن مات في بطن الحوت، لكان مات في العراء قال تعالى: ﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ﴾[القلم: ٤٩] ولكنه سبحانه لما تداركه بالرحمة قال: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ﴾ [الصافات: ١٤٦] انبت الله له شجرة من يقطين، وقد اختلف المفسرون في ماهية الشجرة، قيل القرع، والدباء، والبطيخ، واليقطين،

وأيا ما كانت فهي من أنواع اليقطين، يستظل بورقها ويأكل من ثمرها، تقوى بها حتى استرد عافيته، وقدر على المشي فرجع إلى قريته، وذلك ما يوحي به سياق الآيات الكريمة، وهو الأقرب إلى الفهم، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ رجع إليهم فامنوا به جميعا، ولم تكن قرية آمنت بتمامها إلا هم. وبقي فيهم عليه السلام يقيم أمر الله، وهم معه مؤمنون حتى قضى الله فيهم أمره ﴿فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٨] متعهم الله بحياتهم حتى انقضت آجالهم، كما هي سنة الله في خلقه، فلا دوام إلا له سبحانه. (البداية والنهاية ج١ص١٢) (الكامل ج١ ص٦) (المنتظم ج١ ص١٢) باختصار وتصرف بما يناسب سياق الآيات الكريمة.

داود عليه السلام

ذكرت كتب السير أن داود عليه السلام من سبط يهوذا، وقد قلنا انه خلف طالوت على بني إسرائيل واتاه الله النبوة، فكان ملكا نبيا، قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٥١] ثم زاده الله فضلا قال تعالى: ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ: ١٠ - ١١] فكانت الجبال والطير تسبح معه، وانزل عليه الزبور متمما للتوراة ووهبه الله جمال الصوت، قيل كان إذا قرأ اجتمعت الوحوش والحيوانات حوله تسمع قراءته وتسبيحه. كما ألان له الله الحديد وعلمه صنعة الدروع المسلسلة، قيل كان يثنيه ويشكله دون نار ولا مطرقة والله اعلم. وكان شديد الاجتهاد كثير العبادة والبكاء وكان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر، يصوم يوما ويفطر يوما، وكان يأكل من كسب يده. وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ



قال: "أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه". رواه البخاري برقم (٣٤٥٧).

ولقد أعطاه الله ملكا عظيما نافذا قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠] هذا مع إكرامه بالحكمة وهي النبوة، وكذلك فصل الخطاب، قال أئمة السلف: هو الشهود والأيمان، يعنون بذلك البينة على المدعي، واليمين على من أنكر. وقال مجاهد والسدي: هو إصابة القضاء وفهمه.

ولقد ابتلاه الله بلاء لم يرد في القران ذكره (وقد ذكر المفسرون وأهل السير في ذلك قصة، يبعد أن تقع من نبي – حسب ظني والله اعلم – رأيت عدم ذكرها لغرابتها) ثم تاب سبحانه عليه لما علم داود انه فتن، لما تسور عليه الخصمان المحراب، فاستغفر الله وأناب فغفر الله له وامتدحه قال تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢٥] قيل بقي داود في ملكه ونبوته أربعين عاما، وقيل عاش مائة عام والله اعلم.

سليمان عليه السلام

لما توفي النبي الملك داود، تولى الحكم من بعده ولده سليمان عليهما السلام، فورثه في النبوة والملك، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ﴾ وقد أعطاه الله من العلم والمعرفة ما لم يعط غيره من خلقه قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ﴾ فقد وهبه القدرة على التخاطب مع سائر مخلوقات الله من انس وجن وحيوان، وحكم الريح فكانت تحمله شهرا في غدوها وشهرا في رواحها، قال



تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ وأسال له عين القطر وهو النحاس قال تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ﴾ كما سخر له الجن قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ﴾[سبأ: ١٢] فكانوا يعملون له وفي خدمته ﴿مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ﴾[سبأ: ١٣] ومنهم البنائين والغواصين قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾ فكانوا يأتمرون بأمره. والعاصين منهم كان يصفدهم بالأغلال ويسجنهم في قيعان البحار وفي القفار قال تعالى: ﴿ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾ . وأعطي من كل شيء؛ الملك والنبوة والمال والحكم والعلم، وأطلق الله يده فيما يملك فله الخيار فيما أعطى وانفق، وفيما منع وامسك لا حرج عليه، لا يخاف النفاد ولا الفقر أو الانقطاع قال تعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص: ٣٩]. وأعطي كل ما هو طيب من نعم الله سبحانه، مما لم يكن لأحد قبله ولا ينبغي أن يكون لأحد بعده. قال تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾[النمل: ١٧]وكان أبوه يستشيره في حياته ويرجع إلى قوله، قال تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾ [الأنبياء: ٧٨] وذلك أنّ غنمًا دخلت كرمًا فأكلت عناقيده وأفسدته فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان: أو غير ذلك، قال داود: وما ذاك؟ قال: أن تسلّم الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها إلى أن يعود كرمه إلى حاله، ثمّ يأخذ كرمه ويدفع الغنم إلى صاحبها، فأمضى داود قوله، قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾

[الأنبياء: ٧٩] وقد أثنى الله عليه في مواضع عدة، قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٣٠] وقال: ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [ص: ٤٠] وقد حكم عليه السلام في بني إسرائيل بشرع الله ما شاء الله، قيل وكان مدّة عمره ثلاثًا وخمسين سنة وملكه أربعين سنة والله اعلم.

زكريا عليه السلام

احد رسل بني إسرائيل، من نسل داود بن سليمان عليهما السلام، كان احد سدنة بيت الله في بيت المقدس، وهبه الله ابنه يحيى عليه السلام على الكبر، قال تعالى: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾ [مريم: ٧ - ٩] كفل مريم بنت عمران أم عيسى عليهما السلام في صغرها، قال تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ ﴾ [آل عمران: ٣٧] كان مجتهدا في العبادة والدعوة إلى الله، مقيما للتوراة، قتله اليهود عليهم لعنة الله، قيل نشروه بالمنشار والله اعلم.

يحيى عليه السلام

هو ابن نبي الله زكريا عليهما السلام، آخر أنبياء بني إسرائيل قبل عيسى عليهما السلام، نبئ صغيرا في عهد والده، قال تعالى: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ١٢ - ١٥] امتدحه الله سبحانه بانه كان تقيا لين الجانب برا بوالديه، واسبغ عليه السلام في

مواضع الحاجة، يوم ولادته ويوم موته ويوم بعثه. وهو ابن خالة عيسى بن مريم كما دل على ذلك ما رواه (مسلم برقم٤٢٩) من حديث انس بن مالك عن رسول الله ﷺ قوله "فإذا أنا بابنى الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكرياء صلوات الله عليهما فرحبا ودعوا لي بخير"، وكما روى (البخاري برقم٣٩٣٥) بمثله. وكان داعيا مجتهدا عابدا زاهدا، قتله اليهود لعنهم الله في حياة والده.

عيسى عليه السلام

هو ابن مريم بنت عمران، ولدته أمه من غير أب بقدرة الله سبحانه، تكلم في المهد فبرأ أمه وأعلن نبوته، قال تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٦] وقال سبحانه على لسانه: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٣٠] وهو آخر أنبياء بني إسرائيل، أقام التوراة وانزل الله عليه الإنجيل، فنسخ بعض أحكام التوراة وجددها، كان عابدا زاهدا مجتهدا في الدعوة إلى الله، لقي هو وأمه الكثير من أذى اليهود، ولكنه كان ثابتا صابرا فكان من أولي العزم من الرسل، تآمر اليهود على قتله ولكن الله أنجاه منهم ورفعه إليه، وألقى شبهه على رجل فقتلوه ظنا منهم انه عيسى عليه السلام، أَلهه النصارى بعد موته فعبدوه، ولكنه عليه السلام تبرأ مما قالوا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٧]. وسينزله

الله في آخر الزمان على دين نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويشهد الفتن ويقاتل الدجال فيقتله. بشرت به التوراة وانتظره اليهود فلما جاء أنكروه وكادوا له. وهو عليه السلام بشر بنبينا محمد، عليهما من الله أفضل صلاة وأتم تسليم.

محمد عليه الصلاة والسلام

هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، ينمو إلى قريش وهو فهر بن مالك إلى كنانة إلى مضر إلى عدنان إلى إسماعيل بن إبراهيم (أبو العرب) عليه وعليهما أفضل الصلاة وأتم التسليم. أمه آمنة بنت وهب من بني زهرة من قريش فهو هاشمي قرشي عربي، آخر رسل الله ﷺ، بعثه الله سبحانه للعرب خاصة وللخلق كافة، انسهم وجنهم بالقران الكريم ودين الإسلام الخالص، ولد بمكة في الثاني عشر من ربيع الأول عام الفيل، في السنة الثانية والخمسين قبل الهجرة، وهو ما يوافق العشرين من شهر نيسان سنة إحدى وسبعين وخمسمائة لميلاد عيسى بن مريم عليه السلام. نشأ يتيما فقد توفي والده قبل ولادته، ثم ماتت أمه صغيرا وعمره ست سنوات، فكفله جده عبد المطلب، فتربى في كنفه. ولما مات جده وهو في الثامنة من عمره، كفله عمه أبو طالب الأخ الشقيق لوالده عبد الله، فعاش في كنفه كأحد أولاده، وقد أرضعته ثويبة مولاة أبي لهب ثم حليمة السعدية، وحضنته أم أيمن واسمها بركة، كانت جارية لأبيه تركها لامه لما توفي. عمل في صباه بالرعي فلما شب عمل بالتجارة.

كره عليه الصلاة والسلام دين قومه منذ صغره، وكانوا يعبدون الأصنام، فلما بلغ الأربعين بعثه الله إليهم نبيا ورسولا، في رمضان في السنة الثالثة عشرة قبل الهجرة، وأرسل معه القران شرعا ودستورا ومنهاجا، فدعاهم إلى الإسلام والى

عبادة الله، وترك ما يعبدون من الأصنام والطواغيت، ولكنهم كذبوه فلقي منهم الكثير من الأذى والمعارضة، فصبر واجتهد في الدعوة فكان خامس أولي العزم من الرسل، وهو آخر رسل الله إلى خلقه، كما عذبوا من تبعه وامن به، ولكن ذلك لم يفت في عضده فاستمر في الدعوة إلى الله صابرا على الأذى، وكان عزاءه ﷺ في بداية دعوته ومما خفف عنه؛ مناصرة عمه أبو طالب له وكف أذى قريش عنه، مع انه لم يؤمن به ومات كافرا، فلما مات عمه وتبعته زوجه خديجة رضي الله عنها فماتت بعده بشهر وأيام، وكانت اكبر ناصر له ومعين لما لها في قريش من المكانة والشرف، وكانت أول من امن به وصدقه، فواسته بمالها وحسبها وشرفها في قومها، وكان الله سبحانه قد قيض عمه وزوجه لنصرته فلما توفيا، وكان مضى على دعوته قريشا والعرب في مكة ثلاث عشرة سنة، اشتد أذى قريش له ولأصحابه واجترأ عليه السفهاء من المشركين والمكذبين، قيض الله سبحانه له نصرا مؤزرا من عنده، فالتقى عليه الصلاة والسلام فيمن التقى وهو يدعو إلى ربه بكل عزيمته وجهده وثباته على كل حال وفي كل حين، التقى ﷺ بأهل يثرب في موسم من مواسم الحج، فدعاهم إلى الله فآمنوا به واتبعوه، فهاجر إلى المدينة المنورة وأسس فيها الدولة الإسلامية، فسمي المؤمنون من أهل المدينة رضي الله عنهم وأرضاهم الأنصار، وسميت بلدتهم يثرب، (بمدينة السلام)، و(بمدينة الرسول)، و(بالمدينة المنورة).

عاش عليه الصلاة والسلام بقية حياته بين الأنصار في المدينة المنورة، وقويت فيها شوكته وانتشرت دعوته، ومنها انطلقت بعوثه إلى القبائل والأمم يدعون إلى الله ويحملون رسالته، ومنها سير ﷺ جيوشه وسراياه إلى الأنحاء كافة، فمنها ما خرج به أمراءه ومنها ما خرج به بنفسه ﷺ، وكان اكبر نصر حققه الله له، هو الفتح العظيم فتح مكة، الذي كان فاتحة الفتوح بعده حتى دانت له الجزيرة بكل



قبائلها، فغلب الإسلام على كل نواحيها. وكان الفتح في السنة الثامنة للهجرة، فدخلها عليه الصلاة والسلام، فتوجه إلى الكعبة فطاف بها، ثم طهرها من الأصنام وصلى في جوفها، وفي السنة التاسعة للهجرة أقبلت وفود العرب إلى المدينة معلنة إسلامها، وبذلك دانت معظم جزيرة العرب بالإسلام، وقد كان عليه الصلاة والسلام اتخذ المدينة سكنا ومستقرا، ولما تمت الدعوة وبلغ عليه الصلاة والسلام الرسالة على الوجه الأكمل الذي أراده الله سبحانه، انذره الله بقرب الأجل قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فقد بكى الصحابة رضوان الله عليهم لما نزلت هذه الآية، وعرفوا انه النعي، حتى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (ما بعد الكمال إلا النقصان). ولما نزلت: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١] كانت هذه آخر آية في القران الكريم، توفي عليه الصلاة والسلام بعد نزولها بتسعة ليال على أرجح الأقوال. في السنة الحادية عشرة للهجرة، فدفن في بيته، جزاه الله عن أمته خير الجزاء.

وبذلك انقطع خبر السماء. ولم يبق للمسلمين ولا لأهل الأرض جميعا بعد ذلك إلا التمسك بكتاب الله الكريم وسنة نبيه الأمين، وفي (الموطأ برقم ١٦٢٨) عن مالك بن انس أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه". وفي (المستدرك برقم٤٦٣٣) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ فَأَجَبْتُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ، كِتَابَ اللَّهِ- تَعَالَى-، وَعِتْرَتِي، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا، فَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ". وفي (صحيح مسلم برقم ٣٠٠٩) من حديث



جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال "تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله، وانتم تسالون عني فما انتم قائلون". قالوا نشهد انك بلغت وأديت ونصحت. وأنا اشهد بما شهد به صحابة رسول الله. ولا شك أن ذلك ارث رسول الله ﷺ الذي تركه لامته من بعده، فمن تمسك به وعض عليه بالنواجذ، وعمل به والتزمه فقد فاز، ومن تركه وفرط فيه فقد خسر وهلك. جزى الله سيدنا محمدا خير ما جزى نبيا عن أمته، فقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك ولا يتنكبها إلا ضال. وسأذكر قصة حياته ﷺ مفصلة في باب القصص إن شاء الله.

أنبياء آخرون

ونعود ثانية إلى حديث أبي ذر رضي الله عنه فقد جاء فيه (قلت: يا رسول الله، كم الأنبياء؟ قال: "مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا" قال: قلت: يا رسول الله، كم الرسل من ذلك؟ قال: "ثلاثمائة وثلاثة عشر جمٌّ غَفيرٌ كثير طيب". قلت: فمن كان أولهم؟ قال: "آدم". قلت: أنبي مرسل؟ قال: "نعم، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وسَوَّاه قَبِيلا ثم قال: "يا أبا ذر، أربعةسريانيون: آدم، وشيث، وخَنُوخ، ونوح). فكما هو بين من الحديث أن عدد الأنبياء والرسل أكثر بكثير مما ورد مصرحا به في القران الكريم، وقد ذكرت في الصفحات السابقة خمسة وعشرين رسولا ممن اتفق العلماء عليهم وورد ذكرهم صريحا في القران الكريم. وهناك عدد آخر من الأنبياء ورد ذكرهم في القران الكريم وفي الأحاديث الشريفة، اما بالتصريح واما بالتلميح، اختلف العلماء في نبوتهم، فمنهم من اعتبرهم رجالا صالحين مؤمنين، ومنهم من اعتبرهم أنبياء استنادا إلى بعض الأحاديث النبوية الشريفة التي جاءت على ذكرهم،



سأتحدث عنهم بإيجاز في الصفحات الآتية، واخص بالذكر من لهم قصص اتى القران الكريم على ذكرها ومنهم.

شيت عليه السلام

ومعلوم أن شيتا عليه السلام نبي الله لم يذكر في القران الكريم ولم تذكر صحفه. وفي حديث أبي ذر الذي ذكرناه سابقا قال: قال رسول الله: "يا أبا ذر، أربعة سريانيون: آدم، وشيث، وخَنُوخ - وهو إدريس، وهو أول من خط بقلم – ونوح". وأنـزل الله على شيث خمسين صحيفة. وعليه فهو نبي حسب حديث رسول الله عليهما الصلاة والسلام.

الخضر عليه السلام

ورد ذكره في القران الكريم في قصته مع موسى عليه السلام، دون التصريح باسمه، قال تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥] قال بعض العلماء انه نبي وذلك انه أعطي من العلم اللدني والرحمة، كما هو في الآية الكريمة، وراى اخرون انه من اولياء الله الصالحين ولم يكن نبيا والله اعلم.

ذو القرنين

ورد ذكره في سورة الكهف قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾ [الكهف: ٨٣ - ٨٤] روى الحاكم في (المستدرك برقم١١١) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- ﷺ-: "مَا أَدْرِي تُبَّعٌ أَنَبِيًّا كَانَ أَمْ لَا؟ وَمَا أَدْرِي ذُو الْقَرْنَيْنِ أَنَبِيًّا كَانَ أَمْ لَا؟ وَمَا أَدْرِي الْحُدُودُ

كَفَّارَاتٌ لِأَهْلِهَا أَمْ لَا؟". وعليه فقد وقع اختلاف في نبوته، ولكنه عند جمهور العلماء ملك مؤمن صالح، والله اعلم.

يوشع بن نون عليه السلام

ورد ذكره أيضا في قصة موسى مع الذي أعطاه الله العلم وهو الخضر كما أسلفنا قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ [الكهف: ٦٠]وهو عليه السلام فتى موسى الذي رافقه في رحلته، وهو ممن اجمع العلماء على نبوته لحديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ الذي رواه الإمام احمد في مسنده (برقم ٧٩٦٤) قال: (إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس).

شمويل عليه السلام

لم يرد اسمه صريحا في القران وإنما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٤٦] وهو الذي اختار لبني إسرائيل طالوت ليكون ملكا عليهم، ليجتمع أمرهم عليه في حرب أعدائهم (الكامل ج١ص٤) و(البداية والنهايةج١ص١٨).

العزير عليه السلام

ورد ذكره في القران الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾[التوبة: ٣٠]كما وردت الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾[البقرة: ٢٥٩]، وقد روى السجستاني في سننه (سنن أبو داود برقم٤٦٧٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مَا



أَدْرِي أَتُبَّعٌ لَعِينٌ هُوَ أَمْ لاَ وَمَا أَدْرِي أَعُزَيْرٌ نَبِيٌّ هُوَ أَمْ لاَ ".

تبع

ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [الدخان: ٣٧]. وقد روى الحاكم في (المستدرك برقم١١١) **من حديث** أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ-: "مَا أَدْرِي تُبَّعٌ أَنَبِيًّا كَانَ أَمْ لَا؟ وَمَا أَدْرِي ذُو الْقَرْنَيْنِ أَنَبِيًّا كَانَ أَمْ لَا؟ وَمَا أَدْرِي الْحُدُودُ كَفَّارَاتٌ لِأَهْلِهَا أَمْ لَا؟".وهو تبع الحميري، قال البغوي في التفسير: (وذكر لنا أن كعبًا كان يقول: ذم الله قومه ولم يذمه. وكانت عائشة تقول: لا تسبوا تبعًا فإنه كان رجلا صالحًا. وقال سعيد بن جبير: هو الذي كسا البيت). وبمثل ذلك قالت معظم التفاسير، وجمهور المؤرخين على ان قومه كفار، اما هو فملك صالح دخل اليهودية على دين موسى عليه السلام، على يد حبران يهوديان ممن كانوا في المدينة، وذلك عندما قدم اليها وحارب اهلها لما قتلوا ابنا له كان يقيم بينهم، وقد كان اهل المدينة يحاربونه في النهار ويقرونه في الليل، فاستحسن امرهم، ولما التقى الحبران اخبراه انه يهاجر الى هذه المدينة نبي آخر الزمان ويتخذها مقاما له، فكف عن قتالهم، والله اعلم.

أنبياء أصحاب القرية

وهم ثلاثة رسل بعثهم الله لأصحاب القرية التي قيل إنها إنطاكية، إلا أنهم كذبوا واستمروا على عبادة الأصنام حتى جاءهم العذاب قال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٤] (البداية والنهايةج١ص١٢).

تعقيب

ذكر في كتب السير وفي كتاب اليهود (التوراة) أسماء عدد من الرسل والأنبياء، وكذلك ورد في السيرة النبوية المطهرة والأحاديث الشريفة، الإشارة إلى عدد من الأنبياء، كما ذكرت قصصهم، وقد تركت ذكرهم وذلك أنني التزمت في ذكر الأنبياء ما ورد من أسمائهم أو قصصهم، تصريحا أو تلميحا في القران الكريم، ليس غير والله اعلم وعليه قصد السبيل.

مهن الأنبياء

حث الإسلام على العمل وأمر به، وشجع عليه منعا للفاقة، أو التسول، أو مد اليد إلى مال الغير بالسرقة أو النهب أو إلى ما غير ذلك من أعمال تدخل في غضب الله وسخطه والعياذ بالله. وقد يسر لنا سبحانه سبل العمل، وعلمنا ما لم نكن نعلم من أمور دنيانا وآخرتنا، حتى نقوى على حمل الأمانة، وعلى القيام بما أوجب علينا من مهام في حياتنا الدنيا، في دار الابتلاء والامتحان، حتى نفوز برضاه وجنته في آخرتنا. قال تعالى في قصة سيدنا داود عليه السلام: ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ﴾ [سبأ: ١١]، أمره سبحانه أن يعمل في المهنة التي يجيدها وهي الحدادة، والآيات القرآنية التي تدعو إلى العمل، والى الكسب الحلال، والى أكل الطيبات كثيرة في كتاب الله سبحانه، بل هي تأمر بذلك وتشدد عليه، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ١٠] وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥]، وكل مال مكتسب في شرعنا الإسلامي الحنيف إن لم يقابله بذل جهد أو تعب أو عمل مباح، فهو مال إن لم يكن حراما، ففيه على اقل تقدير شبهة

الحرام. وانظر إلى رد الله سبحانه لسيدنا أيوب عليه السلام عندما دعا ربه أن يشفيه من مرضه قال تعالى على لسان أيوب: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١] رد عليه السلام ما أصابه من البلاء إلى الشيطان وسال الله العافية والشفاء، والله سبحانه قادر على أن يحيله إلى زوجه فتساعده، بل هو سبحانه قادر على أن يشفيه من ساعته دون مساعدة، ولكنه سبحانه أراد أن يعلمنا درسا في أدب الطلب، إن كان رزقا، أو شفاء، أو أيا كان الطلب ومهما تكن المسالة، حتى يكون الاعتماد على النفس بعد التوكل على الله هو الأسلوب الأمثل لتحقيق الأماني، قال تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢]، فهذا الماء المبارك الذي فيه الشفاء لأيوب قريب، والله قادر على أن يفيض إليه الماء وهو مكانه، ولكنه سبحانه مع ضعف أيوب ومرضه قال له: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ إي اعمل وابذل جهدا لتحصل على الأجر، فان لك أن تتوكل لا أن تتواكل.

وقد روي عن رسول الله ﷺ، أحاديث كثيرة يحض فيها على العمل والكسب الحلال. قال ﷺ: «ما أكل أحد طعامًا قطُّ خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود - عليه السلام- كان يأكل من عمل يده» (البخاري رقم ٢١١١) وقال أيضًا - ﷺ-: «لئن يحتطب أحدكم على ظهره، خير من أن يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعه» (البخاري رقم٢١١٣).

وجميع الأنبياء على علو منزلتهم عند الله، كانوا يعملون ويأكلون من عمل أيديهم فعملوا بشتى المهن فمنهم الحداد، والنجار، والملك، والحاكم، وما منهم إلا رعى الغنم. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال:" ما من نبي إلا وقد رعى الغنم، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: نعم! كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة". وهذا موسى عليه السلام لما فر من مصر إلى مدين، عمل لدى شعيب النبي عشرة



سنين بالأجر يرعى له الغنم، ومن أجره دفع صداق زوجته ابنة شعيب، ثم اخذ فضل أجره من الغنم وسار به إلى مصر لما انقضت المدة.

الأنبياء ومهنهم

- آدم عليه السلام: راعي غنم وكان مزارعا.
- إدريس عليه السلام: راعي غنم وكان خياطا (حائكا). وقيل هو أول من خاط الثياب وكان يصنعها من نبات الكتان، وكان الناس قبله يرتدون ثيابا مصنوعة من جلود الحيوانات.
- نوح عليه السلام: راعي غنم و كان يعمل نجارا، وقد صنع بيده السفينة التي كانت سببًا في نجاتهم من الغرق بعد فضل الله؛ وقيل لعل أشهر وأقدم سفينة في التاريخ هي التي صنعها عليه السلام، وقيل صنعها من خشب الساج أو من خشب الصنوبر، والله أعلم، قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨].
- هود عليه السلام: راعي غنم ولم أقع له على مهنة غيرها والله أعلم.
- صالح عليه السلام: راعي غنم ولم أقع له على مهنة غيرها والله أعلم.
- إبراهيم عليه السلام: راعي غنم وكان بزازا (تاجر أقمشة).
- لوط عليه السلام: راعي غنم ولم أقع له على مهنة غيرها والله أعلم.
- إسماعيل عليه السلام: راعي غنم وكان راميا وقناصا.
- اسحق عليه السلام: راعي غنم ولم أقع له على مهنة غيرها والله أعلم.
- يعقوب عليه السلام: راعي غنم ولم أقع له على مهنة غيرها والله أعلم.



- يوسف عليه السلام: راعي غنم وكان قيما على خزائن الحبوب والأقوات عند فرعون – وفرعون هذا غير فرعون موسى عليه السلام قيل كان موحدا والله أعلم – فلما برأ الله سيدنا يوسف عليه وعلى نبينا السلام أمره الملك على الخزائن قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٤ - ٥٥]. كما كان عليه السلام يفسر الأحلام قال تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ۚ﴾ [يوسف: ٣٧].
- أيوب عليه السلام: راعي غنم ولم أقع له على مهنة غيرها والله أعلم.
- شعيب عليه السلام: راعي غنم ولم أقع له على مهنة غيرها والله أعلم.
- موسى عليه السلام: راعي غنم ولم أقع له على مهنة غيرها والله أعلم.
- هارون عليه السلام: راعي غنم ولم أقع له على مهنة غيرها والله أعلم.
- ذو الكفل عليه السلام: راعي غنم وقيل أيضا كان الناس يتقاضون إليه فيحكم بينهم.
- داود عليه السلام: راعي غنم وكان يصنع السلال والمكاتل من الخوص، وقيل كان أول حداد، فقد اختصه الله بقدرة عجيبة تلين الحديد بين يديه فيصنع منه الدروع والأسلحة، وكان ملكا على بني إسرائيل.
- سليمان عليه السلام: راعي غنم وكان ملكا. آتاه الله من الملك ما لم يؤت أحدا غيره من خلقه، فقد حكم الخلائق كلها من انس وجن وحيوانات وطيور ... كل ذلك بقدرة الله وتيسيره سبحانه. قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [سبأ: ١٢].

- الياس عليه السلام: راعي غنم وقيل كان نساجا.
- اليسع عليه السلام: راعي غنم ولم أقع له على مهنة غيرها والله أعلم.
- يونس عليه السلام: راعي غنم وقيل كان يحتطب مع والده وكان والده حطابا.
- زكريا عليه السلام: راعي غنم وكان نجارا. والله اعلم.
- يحي عليه السلام: راعي غنم ولم أقع له على مهنة غيرها والله أعلم.
- عيسى عليه السلام: راعي غنم ولم أقع له على مهنة غيرها والله أعلم.
- محمد عليه السلام: راعي غنم وقد عمل بالتجارة إذ لما سمعت خديجة رضي الله عنها بأمانته وصدقه أوكلت له أمر تجارتها حتى بعث عليه أفضل الصلاة والتسليم.

تم باب الإيمان والحمد لله

مراجع الباب الاول

- موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: www.qurancomplex.com مصحف المدينة المنورة – خدمات حاسوبية للقران الكريم وعلومه، ويحوي إضافة إلى المصحف الشريف، تفسير ابن كثير، تفسير الطبري، تفسير السعدي، تفسير البغوي، التفسير الميسر.
- مصحف المدينة المنورة للنشر الحاسوبي.
- موقع: www.al-eman.com نداء الإيمان: الكتب وفيه.
- كتاب: النشر في القراءات العشر: ابن الجزري.
- كتاب: البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي.
- كتاب: البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي.
- كتاب: تفسير القران العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير.
- كتاب: صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري.
- كتاب: صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج بن مسلم.
- كتاب: الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.
- كتاب: فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني، (التفسير).
- كتاب: سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي.
- كتاب: سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني.
- كتاب: مجموع الفتاوى: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، المعروف بتقي الدين.
- كتاب: مقدمة في أصول التفسير: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية.
- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (تفسير).
- كتاب: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد عبد الباقي.
- كتاب: مسند أحمد: أحمد بن محمد بن حنبل.
- كتاب: صحيح ابن حبان: محمد بن حبان.
- كتاب: الكامل في التاريخ: علي بن محمد بن عبد الكريم، ابن الأثير.
- كتاب: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي.

- كتاب: الموطأ: مالك بن أنس.
- كتاب: المستدرك على الصحيحين: للحاكم النيسابوري.
- كتاب: الجامع لأحكام القرآن،(تفسير القرطبي): محمد بن أحمد القرطبي.
- موقع: www.baheth.info/all.jsp?term (لسان العرب) وأخرى.
- موقع شبكة القران: alquran-network.net/asmaequran ٢٠/٦/٢٠١٢.
- موقع: (www.qurancomplex.org/Tree.asp) الناسخ والمنسوخ.
- كتاب: السبعة في القراءات: لابن مجاهد، تحقيق د. شوقي ضيف ط٣ دار المعارف القاهرة.
- كتاب: التحرير والتنوير- طبعة تونس: محمد ابن عاشور: دار سحنون للنشر١٩٩٧م.
- موقع: www.easyquran.com ١٨/١٢/٢٠١١ شرح الفكرة.
- مصدر الصور: www.mazameer.com ١٨/١٢/٢٠١١.
- كتاب: الإزهار المتناثرة، جلال الدين السيوطي، تحقيق خليل محي الدين لميس، المكتب الإسلامي بيروت ط ١-- ١٩٨٥م.
- موقع: ويكيبيديا الموسوعة الحرة ١٥/ ١٢/ ٢٠١١ القران الكريم.
- موقع: http://uqu.edu.sa/page/ar/٣٩٨٨٤ جامعة ام القرى، الفرق بين النبي والرسول ٢٧/١/٢٠١٢.
- http://st-takla.org/pub_oldtest/٠١_gen.html سفر التكوين ٢٢/١/٢٠١٢.
- المصدر(http://uqu.edu.sa/page/ar/٣٩٨٨٤ ٢٧/١/٢٠١٢) قليل.
- http://www.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=١٧١٤٤ (المحكم والمتشابه ٢١/٦/٢٠١٢).
- (http://www.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=١٥٢٠١) حقيقة القراءات القرآنية ١٥/ ١٢/ ٢٠١١).
- كتاب: مناهل العرفان: عبد العظيم الزرقاني، دار الكتاب العربي. بيروت ط ١٩٩٥.
- موقع: http://www.islam٤u.com الكافي: الجلد الثاني: محمد بن يعقوب الكُليني ٢٣/ ١٢/ ٢٠١١.

الباب الثاني
الكائنات في القران الكريم

الكائنات (المخلوقات)

الخلق

ورد في القران الكريم الكثير من الألفاظ التي تدل على، الإنشاء، والإيجاد، ولقد اخترت أربعة منها للبحث والدراسة، لشمولها واحتواءها على كل معنى يدل على الإيجاد من العدم، وهي: الخالق، والبديع، والبارئ، وفاطر، ومن معاني الخلق في اللغة، الإبراز من العدم إلى الوجود، وهو معنى خاص بالله سبحانه فلا ينبغي أن يكون لغيره، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [غافر: ٦٢] (فالله تعالى وتقدَّس هو الخالِقُ والخَلاَّقُ، وهو الذي أَوجد الأَشياء جميعها بعد أَن لم تكن موجودة، وأَصل الخلق التقدير، والخَلْقُ في كلام العرب: ابتِداع الشيء على مِثال لم يُسبق إِليه: وكل شيء خلَقه الله فهو مُبْتَدِئه على غير مثال سُبق إِليه. (الباحث: لسان العرب).

وقال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[البقرة: ١١٧] والبديع في اللغة، من بدع يبدع فهو مبدع، على وزن مفعل، صرف إلى فعيل كما صرف المؤلم إلى أليم، ومعنى المبدع: المنشئ والمحدث ما لم يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه أحد، قال الطبري في التفسير: (ولذلك سمي المبتدع في الدين "مبتدعا"، لإحداثه فيه ما لم يسبقه إليه غيره. وكذلك كل محدث فعلا أو قولا لم يتقدمه فيه متقدم، فإن العرب تسميه مبتدعا. ومن ذلك قول أعشى بني ثعلبة، في مدح هَوْذَة بن علي الحنفي:

يرعى إلى قول سادات الرجال إذا ... أبدوا له الحزم أو شاءه ابتدعا

أي يحدث ما شاء)، (والبَدِيعُ: المُحْدَثُ العَجيب. والبَدِيعُ: المبدع. وأَبدعْتُ الشيء: اخْتَرَعْته لا على مِثال. والبَدِيع: من أَسماء الله تعالى لإِبْداعِه الأَشياء وإِحْداثِه إِيَّاها وهو البديع الأَوّل قبل كل شيء، ويجوز أَن يكون بمعنى مبدع أَو يكون من بدع الخلْقَ أَي بَدَأَه، والله تعالى كما قال سبحانه:(بَدِيعُ السمواتِ والأَرض)؛ أَي خالقها ومبدعها فهو سبحانه الخالق المُخْتَرِعُ لا عن مثال سابق، قال أَبو إِسحق: يعني أَنه أَنشأَها على غير حِذاء ولا مثال إِلا أَنَّ بديعاً من بدع لا من أبدع، وأبدع: أَكثر في الكلام من بدع ولو استعمل بدع لم يكن خطأ، فبَدِيعٌ فَعِيلٌ بمعنى فاعل مثل قدير بمعنى قادر، وهو صفة من صفات الله تعالى لأَنه بدأَ الخلق على ما أَراد على غير مثال تقدّمه)(الباحث: لسان العرب).

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[الأنعام: ١٤]والفِطْرةُ الابتداء والاختراع. قال الطبري: (حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا يحيى بن سعيد القطان، عن سفيان، عن إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد قال: سمعت ابن عباس يقول: كنت لا أدري ما "فاطر السماوات والأرض"، حتى أتاني أعرابيّان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: "أنا فَطَرتها"، يقول: أنا ابتدأتها). ففاطر هي المبدع والخالق والمبتدئ، (وفطَرَ الشيءَ يَفْطُرُه فَطْراً فانْفَطَر، وفطَّرَه: شقه. وتَفَطَّرَ الشيءُ: تشقق. والفَطْر الشق، وجمعه فُطُور. (الباحث: لسان العرب).

قال تعالى:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾[الحشر: ٢٤] جاء في تفسير ابن كثير، (الخلق: التقدير، والبَراء: هو الفري، وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئًا ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله، عز وجل. قال زهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان:

ولأنـت تفـري مـا خلقـت وبعــ ـــض القــوم يخلــق ثــم لا يفــري

أي: أنت تنفذ ما خلقت، أي، قدرت، بخلاف غيرك فانه لا يستطيع ما يريد. فالخلق: التقدير، والفري: التنفيذ، ومنه يقال: قدر الجلاد ثم فرى، أي قطع على ما قدره وبحسب ما يريد). فالْبَارِئُ، المنشئ للأعيان من العدم إلى الوجود، ولا يستطيع ذلك ولا يقدر عليه إلا الله جلت قدرته.

(والبارئُ: هو الذي خَلَقَ الخَلْقَ لا عن مِثالٍ. قالَ ولهذِهِ اللفْظَةِ مِن الاخْتِصاصِ بخِلْقِ الحيَوانِ ما ليس لها بغَيرِهِ مِن المخْلوقات، وقَلَّما تُسْتَعْمَلُ في غيرِ الحيوانِ، فيُقال: برَأَ اللهُ النَّسَمَة وخَلَقَ السَّموات والأَرضَ. قال ابنُ سِيدَه: برَأَ اللهُ الخَلْقَ يَبْرَؤُهم بَرءاً وبُرُوءاً: خَلَقَهُم، يكونُ ذلكَ في الجَواهِرِ والأَعْراضِ. وفي التنزِيلِ: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ في الأَرْضِ ولا في أَنفُسِكُم إلا في كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها» وفي التَّهْذِيبِ: والبَرِيَّةُ أَيضاً: الخَلْق، بلا هَمْزٍ. قالَ الفَرَّاءُ: هيَ مِنْ بَرَأَ اللهُ الخَلْقَ أَي خَلَقَهُم. والبَرِيَّةُ: الخَلْقُ، وأَصْلُها الهمْزُ، وقد ترَكَت العَرَبُ هَمْزَها. (الباحث: لسان العرب). **والله جلت قدرته هو الخالق الأوحد فلا خالق سواه، قال تعالى:** ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ **[المؤمنون: ٩١]. وغير الله سبحانه مما عبد من الأوثان والطواغيت، إنما هم من خلق الله، جعلهم الناس آلهة وعبدوهم بغير وجه حق، قال تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ **[النحل: ٢٠].**

والله قد خلق الأشياء على أحسن ما يكون من الإبداع والإتقان والتمام،

فكل شيء مقدر وكائن بما شاء الله له أن يكون، فلا خلل ولا تفاوت ولا نقص، فمهما حاول الإنسان – خاصة من كفر وعاند – مهما حاول أن يجد عيبا أو نقصا، فسيعييه بحثه دون طائل قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴾[السجدة: ٧]وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ﴾[الملك: ٣ - ٤] وهو سبحانه المدبر لهذا الخلق والمتحكم فيه قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤]وقد خلق الله الكون وفيه مما نعلم مما علمنا سبحانه نوعين، الجمادات التي بلا حياة، والأحياء من المخلوقات. وسنتناول كل منهما بشيء من التفصيل، مع الاستدلال بالآيات الكريمة التي تحدثت عنهما، مع إيراد المعنى اللغوي والاصطلاحي لهما وحسب ما ورد في التفاسير والسنة المطهرة.

القسم الأول

الجمادات

الكون

وهو هذا الخلق العظيم الذي خلقه الله سبحانه، ولا يعلم بدايته، ولا نهايته، ولا اتساعه، ولا ما فيه من العجائب، والغرائب، والأسرار إلا هو سبحانه. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧]وقال تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦]، ثم انه سبحانه هو المسيطر على هذا الكون والمتحكم فيه والمدبر لشؤونه، قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥] ولا تغيب عنه صغيرة ولا كبيرة ولا يحدث أمر إلابعلمه قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١] وقال تعالى: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ﴾ [فُصِّلَت: ٤٧] وهو سبحانه الذي خلق هذا الخلق دون غيره فلا خالق سواه قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[النحل: ٢٠] وقال سبحانه للذين عميت قلوبهم وأبصارهم فعبدوا غير الله – لعنهم الله – ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن

يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾[الحج: ٧٣] وهو سبحانه الذي خلق ما في الكون من مجرات، ونجوم وكواكب فهي زينة للسماء قال تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴾ [الصافات: ٦] وقد جعلها أعلاما في السماء ليهتدي بها المسافر في البر والبحر والسماء، وليهتدي بها المقيم، فتعرف بها الجهات قال تعالى: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[النحل: ١٦] وجعلها أيضا مواقيت تعرف بواسطتها ألأزمنة والأوقات من سنين وأشهر وأيام، وتعرف بها المواسم والفصول، ليسهل على الناس تصريف شؤون حياتهم، ولتعرف أوقات الزراعة والحصاد وما إلى ذلك، ولتعرف بها أوقات أداء العبادات، من حج وصوم وصلاة وزكاة، وما إلى غير ذلك من العبادات، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ ﴾[يونس: ٥] وقال تعالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّۗ ﴾ [البقرة: ١٨٩] وقد تعدد خلق الله في هذا الكون، ففي السماء ما فيها من مجرات وسدم وأجرام سماوية من شموس وكواكب وأقمار ومذنبات وشهب، وفيها ما فيها من الضياء والظلمة، والرياح والأعاصير والسحب والغبار والهواء. وفي الأرض ما فيها من التضاريس، من جبال وبحار وأودية وأغوار وبحيرات وانهار وما إلى ذلك. وفيها ما فيها من زروع ومعادن وصخور ومواد جامدة وسائلة وغازية مما نعلم ومما لا نعلم. وفيها من الحركة والنشاط ما يحدث على سطحها وفي جوفها، من البراكين والزلازل والتغيرات التي نراها في تضاريسها، وفيها المد والجزر، وحركة الأمواج وذوبان الجليد وتجمد المياه. وفيها من مخلوقات الله الكثير مما نعلم ومما لا نعلم. وهو

سبحانه الذي قدر لهذا الكون بدايته ونهايته قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الروم: ٨] وهو سبحانه الذي احكم نظام الكون، فلا خلل ولا اضطراب ولا تعارض، فكل شيء يسير بنظام ودقة متناهية ويعمل لما سخر له، قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٩ -٤٠]، فسبحان الذي أبدع هذا الكون على أتم صورة وفطره على أحسن هيئة.

الأجرام السماوية

السماء والسماوات

وهي الفضاء الواسع الذي لا يعلم سعته إلا الخالق، ولا يعلم ما فيه من الأسرار والعجائب إلا الله سبحانه. وقد كشف العلم الحديث اليسير اليسير مما فيه، كالمجرات، والسدم، والثقوب السوداء، والمذنبات، والشموس، والكويكبات، والأقمار، والنيازك، وما إلى غير ذلك. وما في علم الله أعظم واكبر مما تستطيع عقول البشر معرفته واستيعابه، فان الله سبحانه يكشف لنا في كل يوم جديدا، لم نكن نعلم بوجوده، إلى أن يظهره سبحانه ويدلنا عليه.قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]والله سبحانه أعلم بطبيعة خلقه، وأعلم بما في تلك الطبيعة من جشع وطمع، وهو سبحانه يقدر كل رزق في مقدار ووقت الحاجة إليه فينزله فيه قال تعالى: ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا

فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴾ [الشورى: ٢٧].

البروج

فسر الأقدمون البروج بما تيسر لهم من المعرفة تفسيرات عديدة، فقد جاء في تفسير الطبري قوله: (قال بعضهم هي قصور في السماء، وقيل: الكواكب، وقيل هي النجوم الكبار)، أما المحدثين من المفسرين ومنهم ابن عاشور فقد قال في التحرير والتنوير(تفسير سورة البروج): (والبروج: تطلق على علامات من قبة الجَو يتراءى للناظر أن الشمس تكون في سمتها مدة شهر من أشهر السنة، فالبرج: اسم منقول من اسم البُرج بمعنى القصر لأن الشمس تنزله، أو منقول من البرج بمعنى الحصن. والبرج السماوي يتألف من مجمُوعة نجوم قريب بعضها من بعض لا تختلف أبعادها أبداً (في حدود معرفة البشر وادراكهم)، وإنما سُمِّي بُرجاً لأن المصطلحين تخيلوا أن الشمس تحلّ فيه مُدّة فهو كالبرج، أي القصر، أو الحصن، ولما وجدوا كل مجموعة منها يُخَال منها شكلٌ لو أحيط بإطار لخط مفروض لأشبَهَ محيطُها محيط صورة تخيلية لبعض الذوات من حيوان أو نبات أو آلات، ميّزوا بعض تلك البروج من بعض بإضافته إلى اسم ما تشبهه تلك الصورة تقريباً فقالوا: برج الثَّور، برج الدلو، برج السنبلة، مثلا، وهذه البروج هي في التّحقيق: سُموت تقابلها الشمس في فلكها مدة شهر كامل من أشهُر السنة الشمسية يوقتون بها الأشهر والفصول بموقع الشمس نهاراًفي المكان الذي تطلع فيه نجوم تلك البروج ليلاً)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ [الحجر: ١٦].

الأفلاك

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٣] وأفضل ما أورد الطبري في تفسير ذلك قول من قال (هو القطب الذي تدور به النجوم، واستشهد قائل هذا القول بقول الراجز:

باتــت تنــاجي الفلــك الــدوارا   حتــى الــصباح تعمــل الأقتــارا

وقول آخر هو الفلك الذي بين السماء والأرض من مجاري النجوم والشمس والقمر، وذلك أن الفلك في كلام العرب هو كل شيء دائر، فجمعه أفلاك، وقوله يسبحون أي يجرون)، قلت وذلك اقرب المعاني للصواب، فقد كشف العلم الحديث مسارات النجوم ومداراتها في المجرات، كذلك دوران الكواكب حول النجوم ودوران الأقمار حول الكواكب.

النجوم

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾[النحل: ١٢] والنجوم هي الأجرام السماوية المشعة بذاتها. وهي بأبسط مفهوم لها عبارة عن كميات هائلة من الغازات خاصة الهيدروجين والهيليوم، مجتمعة مع بعضها بفعل قوى الجاذبية الهائلة، وقد تكون ذات قلب سائل (هو في الحقيقة بكثافة السائل أو اكبر كثافة منه بعشرات المرات، ولكنه في الواقع في حالته الغازية)، تتم في داخلها تفاعلات ذرية ونووية مستمرة، فتنتج كميات عظيمة من الطاقة على شكل حرارة وإشعاعات تنطلق في الفضاء. والنجوم تدور حول نفسها بسرعات هائلة، ويحيط بها مجال مغناطيسي عظيم القوة، وبفعل جاذبيتها تجمع حولها عددا من الأجرام السماوية كالكواكب والنيازك والشهب والسدم والتي

تدور حولها، لتشكل معا ما يعرف بالمجموعات الشمسية ومنها مجموعتنا الشمسية التي تكون نظامنا الشمسي. ومن عدد هائل من المجموعات الشمسية التي تجتمع مع بعضها بفعل جاذبية اقوي يتشكل نظام أعظم، وهو ما يعرف بالمجرات التي منها مجرتنا المعروفة بدرب التبانة (أو اللبانة حيث تعرف باللغة الانجليزية بـ milky way. وكل تلك المجموعات تسبح في الفضاء بنظام دقيق متوازن محكم بأمر الله سبحانه، وكل منها مسخر لما خلق له. وقد جعل سبحانه النجوم علامات لأهل الأرض يهتدون بها قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]وقال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

الكواكب

قال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ﴾[الصافات: ٦] وهي أجرام معتمة تتبع النجوم وتعكس ضوءها. وهي بالمفهوم المبسط كتل من الغازات المجتمعة مع بعضها بفعل جاذبيتها لتشكل جرما تابعا لجرم أعظم هو الشمس، يدور حوله ويتبعه في مساره في الفضاء، كأرضنا التي تدور حول الشمس، ولان الكواكب أجسام باردة نسبيا فقد تحولت إلى الحالة الصلبة، كأرضنا التي يحيط بها غلاف جوي من مجموعة من الغازات، ولها قلب سائل أو مائع.

النيازك والشهب والمذنبات

قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا﴾ [الجن: ٨] وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ﴾[الصافات: ١٠]ومن المعروف

أن هذه الأجرام الثلاثة عند رؤيتها يرى لها ذيل كأنها تجره خلفها، ولكل منها طبيعة خاصة فالمذنبات في الغالب أجرام كبيرة لها مدارات واسعة، حتى أننا على الأرض لا نراها إلا بعد عشرات السنين من رؤيتها المرة السابقة كمذنب (هالي) الذي لا يرى إلا كل ست وسبعين سنة، ومنها مالا يرى إلا كل بضعة آلاف من السنين كمذنب (الينين) وغيره. أما النيازك والشهب فإنها، أجرام سماوية ذات أحجام اصغر من المذنبات، وهذه عند دخولها للغلاف الجوي للأرض، وبسرعات هائلة، فما كان منها صغيرا فانه يحترق كليا ويختفي، وهي الشهب، أما ما كان منها كبيرا، فانه يحترق جزئيا، بحيث يصل جزء منه للأرض وهو النيزك.

الشمس والقمر والأهلة

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [النحل: ١٢]وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ﴾ [يونس: ٥]، ومن المعروف والبدهي ما للشمس والقمر من تأثير في حياة البشر فبالشمس تعرف السنين والفصول والأيام بليلها ونهارها ويعرف بها الصيف والشتاء، وبالقمر تعرف الأشهر، إضافة إلى تأثيرهما في حركة الرياح والمياه، مما يسبب المطر والعواصف والأعاصير والمد والجزر. وما للشمس من اثر في نمو النباتات وصحة الإنسان والحيوان. وما لها من فوائد كشفها العلم الحديث، وهو ما يعرف بالطاقة الشمسية واستغلالها في خدمة البشر. ومن عظيم دليل اثر الشمس في صحة الإنسان والحيوان، قوله جل ذكره: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٧] ففي الآية الكريمة من عظيم علم الله الذي علمه للبشر الكثير، فلو أن

أجساد أهل الكهف بقيت مدة مكوثهم فيه على وضع وحال واحد، لتحللت وفسدت، ولكنها قدرة الله سبحانه وعلمه. ذلك مع انه سبحانه قادر على أن يبقيهم سالمين، حتى دون شمس، فلقد غير سبحانه طبيعة النار فلم تحرق سيدنا إبراهيم ﷺ، مع عظمها وشدة حرارتها قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] وفي الطبري: عن قتادة قال: قال كعب: ما انتفع أحد من أهل الأرض يومئذ بنار، ولا أحرقت النار يومئذ شيئا إلا وثاق إبراهيم). ولا بد من التنويه أن القمر بدورانه حول الأرض يدل على الشهور والسنين، ولا يخفي ما لذلك من أهمية في تحديد مواعيد كثير من العبادات؛ كالصوم والحج وإخراج الزكاة، وغير ذلك. خاصة وأننا نحن المسلمين نعتمد التقويم القمري في كل حساباتنا. قال تعالى: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾ [البقرة: ١٨٩]. والأقمار هي أجرام سماوية تابعة للكواكب، وترتبط حركتها بها فهي تتبعها وتدور حولها على الدوام.

الأرض وما فيها

الأرض هي هذه الكرة العظيمة الرائعة الفريدة في خصائصها، التي خلقها سبحانه لعباده، وهيأ فيها سبل العيش، في ظاهرها، أي على سطحها، وفي باطنها، أي في جوفها، ومن حولها أي جوها والسماء المحيطة بها. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ﴾ [البقرة: ٢٢] والأرض مستقر وسكن ومأوى لمن عليها من خلق الله، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦] ففي الأرض المحيا والممات ومنها

الخروج قال تعالى: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٥] وجعل سبحانه فيها من التضاريس والمعالم ما يضمن صلاحها لكل احتياجات البشر، ففيها الجبل والسهل، للسكن والزراعة، قال تعالى: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾ [الأعراف: ٧٤] كما جعل فيها الأنهار والعيون والبحار والمسالك والطرق قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴾ [إبراهيم: ٣٢] وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[الزُّخرُف: ١٠] وكذلك فمن باطنها تستخرج الثروات الطبيعية من معادن وغيرها كالنفط والغاز الطبيعي، قال تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ [طه: ٦] وقد حفظ سبحانه الأرض من الخلل والاضطراب والفوضى والصدف، فكل حدث له تقدير وتدبير، فلا يطغى شيء على شيء، ولا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن إلا بإذنه قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[الأنعام: ٥٩]وقال تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ﴾ [الحج: ٦٥] فمع ما في السماء من العدد الهائل من المجرات والنجوم والأجرام السماوية صغيرها وكبيرها، ومع أنها كلها في حركة دائمة، إلا أنها تسير بانتظام ودقة متناهية، فلا تتصادم ولا يسقط بعضها على بعض فتفني نفسها، إلا أن يشاء الله شيئا من ذلك. فكل ذلك من دقة صنعته وإحكامها، ومن رحمته سبحانه بعباده ورأفته بهم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحج: ٦٥].

الماء

هو من أثمن ما أعطى سبحانه لخلقه، وكل ما أعطاه ثمين. فمنه جعل الحياة قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠] فما من حي إلا والماء يكون اغلب مادته، خذ الأحياء جميعا، من نبات أو حيوان تجد الماء يكون غالب جرمها، ولو نقص أو قل هزلت وضعفت ثم ماتت، ولو فقد فلن تصبر بدونه إلا القليل ثم تموت، ومن المعروف والثابت أن الإنسان لا يستطيع الصبر على العطش أكثر من ثلاثة أيام ثم يموت، وكذلك بقية الأحياء. فسبحان الخلاق العظيم. وقد اوجد الخالق الماء دون غيره من المواد بحالاته الثلاث (معا وفي نفس الظرف ودرجة الحرارة)، السائلة، فلولا سيولته ما شرب الناس ولا ارتووا ولا زرعوا، والجامدة، ولولا جموده ما كانت جبال الجليد التي تحفظ معظم ماء الأرض العذب، مع تأثيرها الهام في جو الأرض وتيارات المحيط وحركة الرياح، واستقرار حرارة سطحها، بما يضمن توفر الجو المناسب لاستمرار الحياة. والغازية، ولولا غازيته ما عملت الآلات البخارية التي خدمت البشر قرونا عديدة. وكذلك ما ارتفع بخار الماء إلى عنان السماء ليبرد ويتكثف ويسقط مطرا، كل ذلك في ظروف الحرارة العادية، ليناسب كل احتياجات الخلق ومتطلباتهم. قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: ٥٣] فالماء بدورته في الطبيعة يشكل الدعامة الأساسية لاستمرار الحياة على الأرض بقدرة الله وتدبيره سبحانه.

البحار والبحيرات والأنهار

وهي المسطحات المائية التي تغطي مساحات شاسعة من سطح الأرض، فهي تشكل أكثر من ثلثي مساحة سطحها، بما فيها من بحار عظيمة مفتوحة سائلة وهي المحيطات، كالهادئ والأطلسي، أو متجمدة كالشمالي والجنوبي، أو بحار متوسطة

مفتوحة كالمتوسط والأحمر، أو مغلقة كبحر قزوين، أو بحيرات عذبة كفيكتوريا، أو مالحة كالميت، وكذلك الأنهار منها العظيم كالنيل والأمازون، ومنها المتوسط كالفرات ومنها القصير كالأردن وبردى. ولا شك ان المسطحات المائية بجميع أشكالها ومسمياتها، تشكل مخازن هائلة وسلة عظيمة للغذاء بما وضع الله فيها من مصادر متجددة لإنتاج الطعام، فمنها يحصل الإنسان على نسبة عالية من فاتورة احتياجاته من اللحوم والبروتينات، إضافة إلى الأملاح والمعادن، مع ما توفره من خامات الزينة كاللؤلؤ والمرجان وغيرها. وهي مع ذلك مصدر هام من مصادر الطاقة المباشرة وغير المباشرة، فمسطحاتها التي تصل إلى أجزاء من اليابسة وتربط بينها تمثل وسائل تواصل، عن طريق تسيير المراكب والسفن وغيرها من وسائط النقل المائي، إضافة إلى استغلال مساقط المياه وسرعة جريانه في توليد الطاقة اللازمة لتوليد الكهرباء. والكثير الكثير وليس آخر ذلك اكتشاف أن البحار تحوي تحت قيعانها مخازن هائلة للبترول الذي كان احد أهم مصادر الطاقة خلال القرن العشرين ولا يزال، قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ﴾ [المائدة: ٩٦] وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

اليم

قيل البحرُ الذي لا يُدْرَكُ قَعْرُه ولا شَطَّاه، ويقال: اليم لجة البحر، وقيل ما كان ماؤه مِلْحاً زُعاقا (مرا لا يطاق شربه). وقيل: النهر الكبير العَذْب الماء، وهو الأصوب، (الباحث، لسان العرب) دل على ذلك قول الله سبحانه: ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾ [طه: ٣٩]وذلك نيل مصر وهو نهر عظيم ماؤه عذب.

الساحل والشاطئ

قال تعالى: ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾ [طه: ٣٩] وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾ [القصص: ٣٠] وهما في العادة تستعملان مع البحر أكثر من غيره. فيقال شاطئ البحر، أو ساحل البحر أو المحيط، في حين يقال ضفة النهر أو حافة الوادي. مع انه ورد في القران استعمال الشاطئ مع الوادي قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القصص: ٣٠].

الوادي والسيل والزبد

الوادي هو الغور او المنطقة المنخفضة بين سلاسل الجبال، أو السهول، أو الصحاري. فإذا كان جافا بدون ماء فهو واد وإذا سال فيه الماء فهو سيل، والسيل يحمل زبدا، وهو القذارات التي تكون في مجاري الماء من بقايا النباتات الجافة والمتكسرة، من اعواد واغصان واوراق، وكذلك ما اجتمع من روث الحيوانات والدواب وغيرها، فاذا حمله الماء في جريانه وتضارب واشتدت حركته تجمعت تلك القذارات على سطحه على شكل رغوة تسمى الزبد. فيحملها معه أثناء جريانه مع ما يحمل مما يطفو على سطحه من مخلفات نباتية وحيوانية، وما يختلط بمائه من الأتربة والرمال. والزبد كما هو معروف لا فائدة منه، إما ما عداه فمنه ما فيه نفع للناس كأغصان الشجر وجذوعها التي تجفف حطبا، قال تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ

فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾[الرعد: ١٧]وقد ورد في القرآن الكريم ذكر لعدد من الأودية قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]والواد المقصود هنا هو مكة، كما قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾[طه: ١٢] قال الطبري: (اختلف المفسرون في معنى (طوى) وأورد أقوالهم ثم قال: وهو عندي اسم الوادي). قلت والمرجح انه قريب من بيت المقدس والله اعلم، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ ﴾ [النمل: ١٨]وهو ليس بواد محدد مخصص بهذا الاسم، إنما هو واد كثر فيه النمل ومر به سليمان عليه السلام.

العدوة

والعدوة هي سند الوادي وحافته، وقيل: المكان الذي بعضه مرتفع وبعضه مُتطأْطِئٌ، وهو المُتَعادِي. إي الذي بعضه مستو وبعضه مرتفع، وفي قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ ﴾[الأنفال: ٤٢] فالعدوة الدنيا هي جانب الوادي الأقرب إلى المدينة، والعدوة القصوى هي جانب الوادي الأقرب إلى مكة. (الباحث، لسان العرب).

العيون والينابيع

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ﴾ [الزُّمَر: ٢١] وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴾[يس: ٣٤]والعيون والينابيع هي أماكن السيلانات

المائية التي تنتشر على سطح الأرض من الشقوق في الصخور والمغر، والتي يتدفق الماء المخزون في باطن الأرض منها إلى السطح. فيستغله البشر للشرب والزراعة وغيرها.

البئر والجب

والبئر مؤنثة وهي معروفة:قال تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ [الحج: ٤٥]. والجب: قيل: هي البِئْر، ويقال إِنها الوَاسِعةُ، مَطْوِيَّةً كانت أَو غير مَطْوِيّةٍ. (والمطوية: التي رصفت جوانبها بالحجارة كالدرج)، وقيل: هي الجَيِّدةُ الموضع من الكَلإِ. اي القريبة من منابت الاعشاب ومن المراعي، فيسهل ايراد المواشي والحيوانات اليها للسقي.وقيل: هي البِئر الكثيرة الماءِ البَعيدةُ القَعْر. وقيل وسُمِّيَت البِئْر جُبّاً لأَنها قُطِعَتْ قَطْعاً، ولم يُحْدَثْ فيها غَيْر القَطْعِ من طَيٍّ وما أَشْبَهه. (لسان العرب). وفي (القاموس المحيط): الجب بالضمِّ: البِئْرُ، أو الكثيرةُ الماءِ البَعيدَةُ القَعْرِ، أو الجَيِّدَةُ المَوْضِعِ من الكَلأِ، أو التي لم تُطْوَ، أو ممَّا وُجِدَ – اي بطبيعته محفورا –لا ممَّا حَفَرَهُ النَّاسُ، قال تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ [يوسف: ١٠] والغيابة من كلِّ شيء: قَعْرُه.

(الرواسي)

الجبل والطور والربوة

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ

ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[المؤمنون: ٥٠] والرواسي هي الجبال، والطور الجبل. والربوة هي الأرض المرتفعة، فوق السهل، ودون الجبل، إما الفجاج، واحدها فج وهو الطريق، والسبل واحدها سبيل وهي الطرق. وقد صرح القران الكريم باسم جبلين هما الطور الذي واعد سبحانه عنده نبيه موسى ﷺ، قال تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] والجودي الذي رست عليه سفينة سيدنا نوح ﷺ. قال تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]، وكذلك الجبلين الصغيرين بين البيت الحرام وبطحاء مكة، ورد ذكرهما صريحا وهما الصفا والمروة واللذان يكون بينهما السعي قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[البقرة: ١٥٨] كما اشار في اعجاز علمي الى انواع الجبال قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[فاطر: ٢٧] وهي أنواع الجبال الثلاثة المعروفة في الجيولوجيا وعلم الأرض، وسنتكلم على ذلك في باب الإعجاز العلمي إن شاء الله.

الكثبان

وواحدها كثيب وهو التَّلُّ مِنَ الرَّمْلِ غير المتماسك، ويجمع على أَكْثِبَةٌ وكُثُبٌ وكُثْبانٌ، وأكثر ما يرى في الصحراء، وقد تنقله الرياح من مكان إلى آخر، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾[المزَّمل: ١٤] فمن هول الموقف وعظم المصاب تنهد الجبال الصلدة المتماسكة حتى تصبح كأنها الكثبان المهيلة غير المتماسكة. وقال الفراء في قوله تعالى: وكانت الجبالُ كَثِيباً مَهِيلاً؛ الكَثِيب الرمل،

والمَهِيل الذي يحرَّك أسفله فيَنْهال عليه من أعلاه. (الباحث، لسان العرب).

الحجارة والصخور

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ [الأعراف: ١٦٠] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾[يس: ٣٤] يبين سبحانه وتعالى في هاتين الآيتين أن الحجارة والصخور وهي الكتل الصلبة من القشرة الأرضية والتي تتشكل منها الجبال والمرتفعات على الأغلب، قد تتفتت بأمر الله وتتشقق، فتخرج من بين شقوقها المياه الجوفية المتجمعة في باطن الأرض على شكل عيون وينابيع، فتفيد الناس في الشرب وري المزروعات، وغير ذلك من الفوائد. وقال تعالى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾[الفجر: ٩]وفي هذه الآية يبين فوائد أخرى كالبناء وإقامة السدود وإنشاء الطرق، وغيره مما يفيد البشر ويلزم لمصالحهم.

الحجارة الكريمة

(اللؤلؤ والمرجان والياقوت)

وسميت بذلك لندرتها، وصفائها وتعدد ألوانها، وارتفاع أثمانها، وقد ورد ذكر عدد منها في القران الكريم قال تعالى يصف الحور العين، وهن نساء أهل الجنة: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[الرحمن: ٥٨] وذلك لصفاء ألوانهن وشدة جمالهن. كما وصف الغلمان، وهم خدم اهل الجنة فقال سبحانه: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ

لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الطور: ٢٤] ومما هو معروف أن تلك الأحجار بأنواعها تستخدم للزينة قال تعالى: ﴿ جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾[فاطر: ٣٣].

والأحجار الكريمة بأنواعها تستخرج من أماكن متعددة من البر والبحر فهناك المناجم التي يستخرج منها الماس وأشهر مناجمه في إفريقيا. وكذلك الياقوت وأشهر مناجمه في شرق آسيا. إما المرجان واللؤلؤ فيستخرجان من البحار، ومعروف أن المرجان هو أحياء بحرية فإذا ماتت تشكل المرجان من طبقاتها الميتة. واللؤلؤ يستخرج من الأصداف البحرية قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ١٩ - ٢٢].

الصفوان والصفا

الصَّفا العريضُ من الحِجارَةِ الأَمْلَسُ، وهو الحَجَرُ الصَّلْدُ الضَّخْمُ الذي لا يُنْبِتُ، جمع صَفاةٍ يكتَبُ بالأَلف، والصلد من الحجارة هو اليابس الأملس، قال الأَصمعي: الصَّفْواءُ والصفوان والصَّفا، كلُّه واحدٌ؛ وأَنشد لامرئ القيس:

كُمَيتٌ يَزِلُّ اللِّبْـدُ عـن حـالِ مَتْنِـه   كمـا زَلَّـتِ الـصَّفْواءُ بـالمُتَنَزَّلِ

(الباحث، لسان العرب). قال تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ﴾ [البقرة: ٢٦٤] يضرب سبحانه مثلا يقول: كحجر أملس غطاه التراب فلما أصابه المطر أزال ما عليه من تراب فإذا هو حجر صلد يابس أملس لا ينبت زرعا.

الكهوف والملاجئ والمغارات

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٩]وقال تعالى: ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ [التوبة: ٥٧] وهي تجاويف في الجبال والوديان. نشأت على سطح الأرض وفي باطنها، بفعل المؤثرات الطبيعية وحركات الأرض، الناتجة عن الزلازل والبراكين والانهيارات الأرضية وجريان المياه وتقلب الفصول بين الحرارة والبرودة، اكتشفها الإنسان قديما واستعملها للسكن، أو لإيواء الحيوانات أو لخزن الغلال وغيرها، ومنها الأكنان والغيران جمع غار، والإنفاق وما شابهها، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا ﴾ [النحل: ٨١] قال الطبري: (وقوله (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا) يقول: وجعل لكم من الجبال مواضع تسكنون فيها، وهي جمع كنّ. قال: كما حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا) يقول: غيرانا من الجبال يسكن فيها). والغيران جمع غار وهو التجويف في بطن الجبل، كغار حراء وغار ثور وهي معروفة. ومنها المغارات أيضا، تجاويف في بطون الجبال. ومن تلك التكوينات ما هو صغير ضيق، يرى على سفوح الجبال، وحواف الوديان والأنهار. ومنها ما هو عظيم الاتساع يمتد في جوف الأرض لمسافات بعيدة، قد تصل إلى عدة مئات من الأمتار وحتى الكيلومترات في العمق.

السهول

قال تعالى: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾ [الأعراف: ٧٤] وقال تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ

﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ﴾[الحجر: ١٩] والسهول هي المساحات المنبسطة من الأرض، على سواحل البحار وتسمى السهول الساحلية، ومنها المنبسطة حول مجارى الأنهار، أو عند سفوح الجبال وتمتد إلى المناطق الداخلية وتسمى السهول الداخلية، ومنها الخصبة التي تستغل للزراعة، ومنها القاحلة التي تشكل الصحارى الجافة. وقد توجد في بعض الصحاري تجمعات مائية قريبة من سطح الأرض، مما يسمح لبعض أنواع النبات بالنمو، كذلك يمكن حفر الآبار واستخراج المياه للشرب، وسقي الحيوانات، وري وزراعة بعض المحاصيل، وتعرف تلك المناطق بالواحات.

المعادن

قال تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾[طه: ٦] وقال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾[إبراهيم: ٥٠] ومن المعروف أن في باطن الأرض من الكنوز ما لا يمكن حصره، فالثروات الجامدة، كالذهب والفضة وبقية المعادن، ما كشفه الإنسان منها وعرفه، وما لم يكشفه كثير، كذلك السائلة كالبترول، والغازية كالغاز الطبيعي، إضافة إلى ما تصنع منهاالأسمدة، كالبوتاس والفوسفات، والمعادن المشعة كاليورانيوم والراديوم وغيره،وكلها من نعم الله سبحانه الظاهرة والباطنة، فله الحمد سبحانه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

الحديد

قال تعالى﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾[الحديد: ٢٥]: والحديد من أقدم المعادن التي عرفها الإنسان واستغلها في صناعة ما يحتاج إليه من

الأدوات والآلات، وقيل إن سيدنا داود ﷺ كان أول من اشتغل بالحديد وصنعه، فقد ألانه الله له، وعلمه كيف يصنع منه ما يحتاج، وقد قيل انه كان قبل ذلك خواصا يصنع السلال والمكاتل، ولما تعلم صنعة الحديد صار يصنع الدروع، وألبسة الحرب، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ: ١٠ - ١١]والسابغات هي الدروع، والسرد أي الزرد أو الحلقات التي يصنع منها الدرع.

النحاس

قال تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ [الرحمن: ٣٥] وقال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ ﴾ [سبأ: ١٢]قال الطبري: (حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ﴾ عين النحاس كانت بأرض اليمن، وإنما ينتفع اليوم بما أخرج الله لسليمان). ويعرف النحاس كذلك بالقطر- بكسر القاف وتسكين الطاء – والصفر- بتشديد الصاد وفتح الفاء-. والنحاس كالحديد من أكثر المعادن استعمالا بسبب ليونته وسهولة تطويعه وجودة توصيله للكهرباء، فيدخل في كل الصناعات الكهربائية ويعتبر المكون الرئيسي لها. والشواظ: اللَّهَب الذي لا دُخانَ فيه.

الذهب والفضة

قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾[آل عمران: ١٤] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ

ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ٣٤] وقال تعالى: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] وقال تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾[الكهف: ١٩] والورق – بفتح الواو وكسر الراء–هي الفضة، وقد أوضحت الآيات بعض استعمالات هذين المعدنين، فهما نقدوزينة، عدا عن استعمالات الصناعة.

الزخرف

والزخرف في اللغة: الزينة وكمالُ حُسْنِ الشيء. قال ابن سيده: الزخرف في الأصل الذهب، ثم سُمِّي كل زِينةٍ زخرفا، ثم شبه كلُّ مُمَوَّه مُزَوَّرٍ به. نقول بيت مزخرف، وزخرف البيت زخرفة: أي زَيَّنَه وأَكْمَلَه. وكلُّ ما زُوِّقَ وزُيِّنَ، فهو مزخرف. والنبي ﷺ يوم الفتح لم يدخل الكعبة، حتى أمر بكل زخرف فيها فنحي أي أزيل، وكان فيها نُقُوشٌ وتَصاويرُ مزينة بها وكانت بالذهب فأَمر بها فحُتّت؛ قال تعالى: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ...﴾ [الزُّخرُف: ٣٤ – ٣٥] قال الفراء: الزخرف الذهب، وقد نَهَى رسول الله أَن تزخرف المساجدُ أَي تُنْقَشَ وتُمَوَّه بالذهب، ووجه النهي قيل يحتمل أَن يكون لئلا تَشْغَل المصلي. (الباحث، لسان العرب).

الأملاح

وواحدها ملح، وهي مركبات كيميائية، من معادن وغيرها، وأشهرها الملح الذي يطيب به الطعام، تستخرج من تجفيف وتبخير المياه المالحة كماء البحر، كذلك

من بعض الصخور الملحية قال تعالى: ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [الفرقان: ٥٣].

المهل

والمُهْلُ: هو ما ذاب من المعدن كصُفْرٍ (نحاس) أو حديد أو غيره، قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ﴾ [الكهف: ٢٩] قيل هو النُّحاس المذاب. وقيل: القَيْح والصَّدِيد. وفي الحديث عن أبي بكر، رضي الله عنه: أنه أَوْصى في مرضه فقال: ادفِنوني في ثوبيَّ هذين فإِنما هما للمُهْل والتراب؛ قال أَبو عبيدة: المُهْل في هذا الحديث الصديدُ والقيحُ، الذي يذُوب فيَسيل من الجسد، قال: والمُهْل في غير هذا كلُّ فِلِزٍّ أُذِيبَ، قال: والفِلِزُّ معادن وجواهرُ الأَرض من الذهب والفضة والنُّحاس. (الباحث، لسان العرب).

التراب والطين والزجاج

قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ﴾ [البقرة: ٢٦٤] والتراب كما هو معلوم هو تلك القشرة التي تغطي سطح الأرض، وهو يشكل التربة الزراعية، ومنه تستخرج مادة الزجاج التي تستعمل في العديد من الصناعات، فهو ألواح للشبابيك والأبواب، وهو أوان كالقوارير والأكواب، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾ [النمل: ٤٤] وهو للمصابيح قال تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ﴾[النور: ٣٥] والتراب منه الناعم والخشن وهو أنواع إذا سحق فمنه الجير والاسمنت والصلصال وغيرها، حسب تكوينه، يستعمل للصناعة والبناء وإذا عجن بالماء صار طينا قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾

[الصافات: ١١] قال الطبري: (يقول تعالى: إنا خلقناهم من طين لاصق. وإنما وصفه جل ثناؤه باللُّزوب، لأنه تراب مخلوط بماء، والتراب إذا خُلط بماء صار طينا لازبا، ومن اللازب قول نابغة بني ذُبيان:

ولا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشر ضربة لازب

يقول: لازب أي لاصق، كذلك الطين إذا حرق بالنار صار صلبا قاسيا، تصنع منه الأواني كجرار الفخار، وأدوات الطعام كالفناجيل والصحون والقدور وغيرها مما يعرف بالخزف، ويصنع منه الآجر للبناء، قال تعالى على لسان فرعون: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا﴾[القصص: ٣٨] وقال تعالى: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣]والطين كما قلنا إذا حرق صار حجرا. والصرح هو البناء الضخم المرتفع.

السد والردم

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾[الكهف: ٩٤ - ٩٥]، والسد ردم عظيم بين جبلين على نهر أو غيره لحجز المياه، والردم كذلك على طول ارض زراعية لمنع زحف رمال الصحراء، وما شابه ذلك. والسد المذكور في الآية الكريمة هو الردم العظيم الذي بناه ذو القرنين بين القبائل المتحاربة في أقصى الشرق، لمنع المفسدين في الأرض من الانتشار حتى يأذن الله كما ورد في سورتي الكهف والأنبياء قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

الأخاديد

قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ [البروج: ٤ - ٥] والأخاديد هي ما يشق في الأرض من الحفر العميقة المستطيلة ويستعمل حسب الحاجة إليه. واحدها أخدود. كالذي خده ملك نجران واحرق فيه المؤمنين. وكانت عادة الملوك في الزمن القديم إذا أرادوا قتل أسرى الحروب من المقاتلين، أو ممن يخشى خطرهم، حفروا أخدودا عظيما فقتلوهم والقوهم فيه. كذلك كانت الأخاديد تخد حول القلاع والمدن في الحروب لمنع وصول الأعداء إليها، ومنها ما يسمى الخندق، كالذي حفره المسلمون في المدينة في غزوة الأحزاب.

الأنفاق

قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ [الأنعام: ٣٥] والنفق شق تحت الأرض ليصل منطقتين يصعب التواصل بينهما من فوقها لوجود حائل طبيعي كجبل عظيم أو نهر أو غيره. والأنفاق في العادة تتشكل طبيعيا، أو بفعل الإنسان كأنفاق المناجم وما شابهها، ومع تقدم العلم واختراع الآلات العملاقة صار بإمكان الإنسان حفر الأنفاق العظيمة، والتي قد تصل إلى عمق عدة مئات من الأمتار تحت سطح الأرض،ومن الأنفاق المشهورة، أنفاق مكة المكرمة التي تصل إلى المشاعر، والنفق الذي يصل انجلترا بفرنسا من تحت بحر المانش. غيرها في الكثير من دول العالم.

الخشب والنار والشواظ

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ [الواقعة: ٧١ - ٧٢] وقال تعالى: ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ

عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ ﴾ [الرعد: ١٧] وقال تعالى: ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ﴾ [القمر: ١٣] يبين سبحانه ما للخشب من فوائد، فهو للبناء، وإيقاد النار للتدفئة والطبخ والصناعة، كالسفن قديما، وغير ذلك مما يحتاج إليه البشر. ومن المعروف أن الخشب يؤخذ من الأشجار بعد تجفيفها. وكان الإنسان أول ما عرف النار، عرفها من الحرائق التي تصيب الغابات والأشجار إذا اندلعت فيها بفعل ظواهر الطبيعة، كالصواعق وغيرها. فسبحان من اخرج الميت من الحي والحي من الميت. ومن أهم الصناعات الحديثة التي تعتمد على الخشب بشكل أساسي صناعة الورق، خاصة بعد الحاجة الماسة له بعد اختراع الطباعة وازدهار صناعة الكتب والصحافة المقروءة. وكذلك بعض أنواع الأشجار التي تنتج الصمغ والمطاط وغيره. والشواظ هو اللَّهَب الذي لا دُخانَ فيه. قال تعالى:﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ [الرحمن: ٣٥].

القطران

القطران: سائل لزج اسود يستخرج من الخشب والفحم الحجري وغيره بالتقطير. ومنه ما يستخلص من البترول وهو الزفت ويستعمل في تعبيد الطرق. وفي كثير من الصناعات كالعوازل والدهانات. وهو شديد الاشتعال. قال ابن منظور: (وكل ما تقطر من شيء كشجر أو غيره فهو قطران، والقطران: عُصارَة الأَبْهَلِ والأَرْزِ والصنوبر ونحوه يُطْبَخ فيُتحلب منه ثم تُهْنَأُ (إي تطلى) به الإِبِل من الجرب وغيره. والابهل قيل هو العرعر وقيل ثمره، والأرز والصنوبر معروفان، وكلها أشجار حرجية، قال أَبو حنيفة: زعم بعض من ينظر في كلام العرب أَن القطران هو عَصير ثمر

الصَّنَوْبَر)، (الباحث، لسان العرب). قال تعالى: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾[إبراهيم: ٥٠] قيل، والله أعلم: إنها جعلت من القطران لأنه يُبالِغُ في اشْتِعالِ النار في الجلود، وقرأها ابن عباس: من قِطْرٍ آنٍ. والقِطْرُ: النُّحاسُ والآني الذي قد انتهى حَرُّه.

العمران والأماكن والآثار

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا ﴾ [الروم: ٩] وقال تعالى: ﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾[محمد: ١٠] وقال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٠] يخبرنا سبحانه في هذه الآيات بعض أخبار الأمم السابقة، كيف كانوا في عز ورخاء وسعة وقوة، فلما شاء سبحانه أن يذهب بهم، ترك ديارهم خرابا وآثارا بعد عين، فأينما سرنا وحيثما توجهنا، نجد من آثار الأمم السابقة الكثير، فوق الأرض ظاهرا كأهرامات الفراعنة، ومدائن صالح، وآثار الرومان وغيرهم المنتشرة في بقاع الأرض، وآثار الشرق الأقصى كسور الصين العظيم. وتحت الأرض كالكثير مما تظهره الحفريات كآثار صعيد مصر، والجبيبات في جبلة بالشام، وغيرها الكثير في بقاع شتى من العالم. وكذلك هناك من آثار الأمم السابقة ما اندثر وطمس ولكن مكانه بقي معروفا، وان كان الأثر غير ظاهر، كمدائن قوم لوط، فهي غير ظاهرة للعيان ولكن مكانها معروف، كبحيرة لوط المعروفة بالبحر الميت، ومن الجدير بالذكر أن مدنهم قد بدت للعيان في الزمن الحاضر حسبما دلت

عليه الدراسات الأثرية، خاصة بعد أن انحسر جزء من ماء البحيرة في الآونة الأخيرة. والله سبحانه يخبرنا بذلك ليكون لنا عبرة وعظة، ودلالة على قدرته وعظمته سبحانه. فهو الذي بدا الخلق، ووحده القادر على إزالته وإعادة إنشائه. وهو الخالد الأزلي الذي لا يعتريه التغير والبلى، وكل ما سواه سبحانه إنما يعيش لزمن قدره له ثم يندثر ويزول، ليصبح أثرا وذكرى للمعتبرين، فسبحان الدائم الذي يغير ولا يتغير.

البلاد والأمصار

ومن المدن والأمصار التي ورد ذكرها في القران بأسمائها. مكة المكرمة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤]، ومن اسماءها أم القرى وبكة قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]، ومدينة الرسول عليه الصلاة والسلام (المدينة او المدينة المنورة) قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [التوبة: ١٢٠] – وهي التي كانت تسمى قبل الهجرة يثرب وهو اسمها الذي عرفها به العرب قبل ذلك – قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ [الأحزاب: ١٣]، ومدين التي هاجر إليها موسى عليه السلام، والمؤتفكات وهي القرى الخمس التي كان يسكنها قوم لوط عليه السلام قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾ [التوبة: ٧٠]، الأحقاف قال تعالى: ﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف: ٢١]،

ومصر قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾[يونس: ٨٧] والحجر المعروفة بمدائن صالح، مساكن ثمود قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الحجر: ٨٠]، وبابل قال تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ومن البلاد والأمصار ما اشير اليه تلميحا دون تصريح قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ [قريش: ١ - ٢]ومن المعروف انه كان لقريش رحلتان للتجارة، فرحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام. وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ﴾[سبأ: ١٥] إشارة إلى مملكة سبأ في بلاد اليمن. كذلك أشار إلى البلاد المباركة وهي فلسطين وما حولها، وقلبها بيت المقدس قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١]، ومعروف أن فلسطين من بلاد الشام. وهي الأرض المقدسة المباركة التي أمر الله موسى عليه السلام بدخولها، قال تعالى: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ﴾ [المائدة: ٢١]، وأشار إلى مكة والطائف في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[الزُخرُف: ٣١].

القرية والمدينة والحاضرة

القرى والمدن والحواضر: هي الأمصار الجامعة، التي يقيم فيها الناس ولا يرتحلون عنها بسبب وجود ماء، أو طيب هواء، أو إي سبب آخر يجعلها مؤهلة

للسكنى والإقامة الدائمة. والقرى هي الجمعات الصغيرة أو المتوسطة، والمدن اكبر منها، والحواضر هي المدن الكبيرة التي تجمع حولها عددا من المدن والقرى، وتكون **مهيمنة عليها**. وكل من نزل على ماءٍ ولم يتحوّل عنه شتاء ولا صيفاً، فهو حاضر، سواء نزلوا في القرى والأَرْياف والدُّورِ المَدَرِيَّة أَو بَنَوُا الأَخْبِيَةَ على المياه فَقَرُّوا بها ورَعَوْا ما حواليها من الكلإِ. (الباحث، لسان العرب). وقد ورد في القران الكريم لفظ القرى للدلالة على غير محدد في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦] وورد للدلالة على محدد معروف قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البقرة: ٥٨] قيل هي بيت المقدس وقيل أريحا (التفاسير). إما لفظ المدينة فانه حيثما ورد فانه يدل على مدينة محددة بذاتها ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾[المنافقون: ٨] والمقصود مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام. أما الحواضر فاهمها مكة المكرمة التي كانت تسيطر على ما حولها من القرى والبوادي، لوجود البيت الحرام والمشاعر المقدسة فيها قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧].

البلد

البَلْدَةُ والبَلَدُ: قال الأَزهري: كل موضع أَو قطعة مستحيزة من الأَرض، عامرة كانت أَو غير عامرة، خالية أَو مسكونة، فهو بلد والطائفة منها بَلْدَةٌ. وفي الحديث: أَعوذ بك من ساكن البَلَدِ؛ البلد من الأَرض: ما كان مأْوى الحيوان وإِن لم

يكن فيه بناء، وأراد بساكنه الجنّ لأنهم سكان الأَرض، والجمع بلاد وبُلْدانٌ؛ والبُلدانٌ: اسم يقع على الُكوَر. قال بعضهم: البَلَدُ جنسُ المكان كالعراق والشام. والبَلدةُ: الجزءُ المخصصُ منه كالبصرة ودمَشق. وفي القران الكريم والبلدُ: مكةُ تفخيماً لها كما نقول النجم للثريا. قال تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ [البلد: ١ - ٢] (الباحث، لسان العرب).

البادية

والبادية والبَدْوُ والبَداةُ والبَداوَة والبِداوَةُ: خلاف الحَضَر، والنسب إليه بدَويٌّ، وهي اسم للأَرض التي لا حَضَر فيها، وإذا خرج الناسُ من الحَضَر إلى المراعي في الصَّحارِي قيل: قد بَدَوْا، والإسم البَدْوُ. وهي خلاف الحاضرة، والحاضرة القوم الذين يَحْضُرون المياهَ، ويعيشون حياتهم في المدن والقرى. والبدوي مَسْكنه المَضارِبُ والخيام، وهو غير مقيم في موضعه بخلاف الحاضر في المُدُن. (الباحث، لسان العرب). قال تعالى: ﴿يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ﴾ [الأحزاب: ٢٠]، أي إذا جاءَت الجنود والأَحْزاب وَدُّوا أنهم في البادية.

الحصون والقلاع والجدر والصياصي

قال تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ﴾ [الحشر: ١٤]، وهي ما يقام من المباني حول المدن أو القرى، أو على أركانها لحمايتها من الأعداء. أو للتحصن فيها أوقات الحروب والحصار. قال تعالى يخبر عن اليهود: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ

أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾[الحشر: ٢] حيث تحيط الجدر بالمكان، وتبني على الأركان مواقع خاصة للرقابة والدفاع وهي القلاع، والمبنى بكامله يسمى الحصن. كحصون اليهود حول المدينة وفي خيبر. وكقلاع المسلمين والصليبين وغيرهم من أهل الأرض، والمنتشرة في كل مكان. والصياصي: القُرَى، وقيل: الحُصُونُ. وقال الزجاج: الصياصي: كلُّ ما يُمْتَنَعُ به، وهي الحُصُونُ، وقيل: القُصُور لأَنَّه يُتَحَصَّنُ بها.(لسان العرب). قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ [الأحزاب: ٢٦].

القصور والبروج

أصل البروج الحُصونُ والقُصور قال الله تعالى:﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ ﴾ [النساء: ٧٨]والبروج المشيدة هي المباني العظيمة المحكمة البناء، إما القصر في الأصل فهو الحبس قال تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٢]، أي محبوسات في خيام من الدُّرِّ مُخَدَّرات على أزواجهن في الجنات. وكل بناء ضخم فاره محكم يقال له: قصر أو برج. وقد يتخذ للسكن أو لغيرة.

المساكن والبيوت والغرف

وكل بناء اتخذ للسكن فهو مسكن أو بيت، سواء اتخذه الإنسان، قال تعالى: ﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَـٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٣] أو

اتخذه الحيوان قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾[النمل: ١٨]، والبيت أو المسكن يقسم لأقسام تسمى الغرف وواحدتها غرفة قال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾[الزُّمَر: ٢٠].

الأسواق

وواحدها السوق، وهو: مكان البيع والشراء وممارسة الحياة التجارية في المجمعات السكنية، يؤدي فيه الناس أعمالهم ومصالحهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] وقد عرف للعرب في الجاهلية من الأسواق، عكاظ وبدر وغيرهما، وهي اسواق عامة دورية تقام كل عام مرة، او كل فترة محددة من الزمن، كانوا يبيعون فيها ويشترون، ويقولون الشعر والخطابة ويعقدون الصفقات وغيرها، فهي اجتماع تجاري ثقافي سياسي، يقابلها اليوم المعارض والمنتديات والمؤتمرات وغيرها.

النوادي

وواحدها ناد، وهو مكان تجمع الناس في مجتمعاتهم، للسمر والاحتفال واللهو، وغير ذلك، وكذلك فيها يجتمع علية القوم للتشاور واتخاذ القرارات، قال تعالى في قصة قوم لوط: ﴿وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ﴾[العنكبوت: ٢٩]، وقد كان لقريش في مكة ناد يجتمعون فيه وهو المعروف بدار الندوة. وفيه تآمروا على رسول الله عليه الصلاة والسلام ليلة الهجرة وقرروا قتله غيلة، بمشورة ابليس لعنه الله ولعنهم جميعا. ولكن الله سبحانه نجاه من كيدهم ومكرهم، بل اذلهم حين خرج من بينهم فحثى التراب على رؤوسهم وهم ينظرون.

السجن

وهو مكان مخصص لإيواء المجرمين والخطرين من حثالة البشر، وممن تصدر في حقهم الأحكام لجرائم او اثاما ارتكبوها، من قتل وسلب ونهب وسرقة وتعد على حقوق الاخرين، او قطع طريق او ترويع امنين، او اقترفوا فاحشة نهى الله عنها فتعدوا على حرمة من الحرمات، يحبسون فيه لإمضاء عقوبة، او انتظارا لاقامة حد، أو لاتقاء خطرهم، قال تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾ [يوسف: ٣٣] ومما يتضح من الآية الكريمة انه عليه السلام فضل أن يسجن مظلوما على أن يرتكب المعصية.

الأجداث والقبور

والأجداث واحدها جدث وقيل جدف وهي القبور، ومنها ما طمس واندثر، ومنها ما هو باق معروف ساكنه، كقبور بعض الأنبياء والرسل ومنهم نبينا عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم. قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ﴾[يس: ٥١] وقال في المنافقين: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]، والقبر، وهو حظ ابن آدم من ارض الدنيا مهما جمع او كنز من الاموال، او امتلك من الارض في حياته، فكل ذلك زائل وذاهب الى ورثته، فلا يبقى له من ارض الدنيا الا ما يسع جسده ممددا عند موته، وهو قبره الذي يدفن فيه حتى يلقى ربه.

المضاجع

والمَضاجِعُ: جمع المضجع، وهو محل النوم، وقد وردت الكلمة في القران الكريم

بعدة معان قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: ١٦]؛ أي تَتَجافى عن مضاجِعِها التي اضْطَجَعَتْ فيها. وهي هنا بمعنى المكان الذي يتخذ محلا للنوم. سواء كان بالليل أو النهار، وسواء كان النوم بمعنى الإغفاء والنوم العميق، او القيلولة أو كان مجرد الاستلقاء لاخذ قسط من الراحة دون الإغفاء، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤]، وهي هنا بمعنى فراش الزوجية، أنشد ثعلب:

كُلُّ النِّساءِ على الفراش ضَجِيعةٌ ... فانْظُرْ لنفسك بالنّهار ضَجِيعا

وكذلك تاتي المضاجع بمعنى المكان الذي يقتل فيه الإنسان في الحروب أو في غيرها، روي ان رسول الله عليه الصلاة والسلام ارى اهل بدر مضاجع العتاة من الكفار فما تعدى احد منهم مضجعه.قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

المساجد

المسجد الحرام والمسجد الاقصى والمسجد النبوي

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] ومن العمران ما شاء الله سبحانه له البقاء تشريفا له وإكراما وتبيانا لفضله على غيره من الأماكن، واشرف ذلك المساجد وأعظمها المسجد الحرام، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ

هَـٰذَاۚ ﴾[التوبة: ٢٨]. وفي وسطه البيت الحرام، وهو الكعبة المشرفة زادها الله تشريفا، وهي أول بيت لله بني على الأرض للعبادة قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦] ومما قيل فيه ما روى الطبري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[البقرة: ١٢٧]فبعد أن أورد عدة أقوال فيه قال: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن إبراهيم خليله أنه وابنه إسماعيل، رفعا القواعد من البيت الحرام. وجائز أن يكون ذلك قواعد بيت كان أهبطه مع آدم، فجعله مكان البيت الحرام الذي بمكة. وجائز أن يكون ذلك كان القبة التي ذكرها عطاء، مما أنشأه الله من زبد الماء. وجائز أن يكون كان ياقوتة أو درة أهبطا من السماء. وجائز أن يكون كان آدم بناه ثم انهدم، حتى رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل. ولا علم عندنا بأي ذلك كان لأن حقيقة ذلك لا تدرك إلا بخبر عن الله وعن رسوله ﷺ، ولما لم يكن لدينا خبر قاطع بذلك فلا قول في ذلك هو أولى بالصواب مما قلنا. والله تعالى أعلم.

ثم ان من البيوت العامرة القديمة المشرفة؛ المسجد الأقصى الذي قال فيه سبحانه: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١] وقد مرت على المسجدين فترات ضاعت فيه آثارهما، حتى بينها الله سبحانه. فبين موضع البيت الحرام لإبراهيم وإسماعيل فبنياه. ثم بين موضع المسجد الأقصى لأسحق فبناه. عليهم جميعا من الله أفضل صلاة وأتم تسليم. وسيبقيان والمسجد النبوي الشريف، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، منارات للهداية بإذن الله سبحانه. وفي مسجد النبي ﷺ قال تعالى:

﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾ [التوبة: ١٠٨].

الكعبة والقبلة

الكعبة: البيتُ الحرام سميت بذلك لتَكْعِيبِها أي تربيعها. وكل بيتٍ مُرَبَّعٍ، فهو عند العرب: كَعبةٌ. (الباحث، لسان العرب) قال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ﴾[المائدة: ٩٧] و﴿قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ﴾ أي: قواما لهم في أمر دينهم ودنياهم، أما الدين لأن به يقوم الحج والمناسك، وأما الدنيا فيما يجبي إليه من الثمرات، وكانوا يأمنون فيه من النهاب والغارة فلا يتعرض لهم أحد في الحرم. ﴿وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ أراد به الأشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، أراد أنه جعل الأشهر الحرم قياما للناس يأمنون فيها القتال، ﴿وَٱلۡهَدۡيَ وَٱلۡقَلَٰٓئِدَۚ﴾ أراد أنهم كانوا يأمنون بتقليد الهدي، فذلك القوام فيه. (تفسير البغوي). **والقبلة:** هي التي يُصَلَّى نحوها، وهي كذلك الجِهَةُ، والكعبةُ، وكلُّ ما يُسْتَقْبَلُ فهو قبلة. وقد امتحن الله قلوب المؤمنين بان جعل القبلة إلى بيت المقدس مدة من الزمن، فكانوا يصلون إليها، وكان رسول الله ﷺ وهو في مكة قبل الهجرة عند صلاته يتجه إلى بيت المقدس ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]. ولما هاجر صلى والمؤمنون معه إلى بيت المقدس قرابة العام ونصف العام، ثم حولهم الله سبحانه إلى البيت الحرام، قال تعالى: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ﴾ [البقرة: ١٤٤].

عرفات

وعَرَفةُ وعرفات موضع بمكة، معرفة كأنهم جعلوا كل موضع منها عرفةَ، ويومُ عرفةَ غير منوّن ولا يقال العَرفةُ، ولا تدخله الألف واللام. قيل: سمي عَرفةَ لأن الناس يتعارفون به، وقيل: سمي عَرفةَ لأن جبريل طاف بإبراهيم - عليهما السلام - فكان يريه المَشاهِد فيقول له: أعرفْتَ أعرفت؟ فيقول إبراهيم: عرفت، عرفت، وقيل: لأنّ آدم، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، لما أهبط من الجنة وكان من فراقه حوَّاء ما كان فلقيها في ذلك الموضع عَرَفها وعرَفَتْه (لسان العرب). قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ [البقرة: ١٩٨]، ويومُ عرفةَ هو يوم الحج الأكبر، ولا يصح الحج إلا بالوقوف فيه في جبل عرفات جزء من النهار وجزء من الليل. عن عبد الرحمن بن يعمر قال سمعت رسول الله ﷺ وسأله رجل عن الحج بعرفة فقال "الحج يوم عرفة أو عرفات ومن أدرك ليلة جمع قبل صلاة الصبح فقد تم حجه أيام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه" (مسند احمد برقم ١٨٠٢٢).

المزدلفة والمشعر الحرام

المزدلفة موضع بمكة، قيل: سميت بذلك لاقتراب الناس إلى مِنًى واجتماعهم فيها بعد الإفاضة من عرَفات، ومن ذلك سميت مزدلفة جَمْعاً. (الباحث، لسان العرب) والمزدلفة كلها موقف ومنها تلتقط جمار الرمي، وهي الحصوات التي ترمى في منى في مواقع الرمي الثلاثة المعروفة بالعقبة الكبرى، والوسطى، والصغرى. والمشعر الحرام جزء منه في طرف من مزدلفة، وهو عبارة عن جبيل صغير (جبل قزح) وبني بجانبه مسجد، ثم وسع المسجد وهو المعروف الآن بمسجد المزدلفة. وحدود مزدلفة، من اول حدها مع عرفات، الى اول حدها مع منى، اي الى اول وادي محسر فانه من

منى، والمشعر الحرام في وسط المسافة بينهما، قبالة جبل قزح وعنده بني المسجد الذي كان رسول الله ﷺ يقف عند قبلته. ومن الجدير بالذكر ان مزدلفة كلها موقف فحيثما وقف الحاج فهو في المشعر، ان لم يتيسر له الوقوف قبالة المسجد، لحديث جابر ان رسول الله ﷺ قال "نحرت ها هنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم ووقفت ها هنا وعرفة كلها موقف ووقفت ها هنا وجمع كلها موقف". (رواه مسلم برقم – ٣٠١١). وعلى الحاج إذا صلى الصبح في مزدلفة ان يأتي المشعر الحرام، فيدعو لنفسه وللمسلمين بما شاء، وليخلص ويجتهد في الدعاء، فقد قيل ان الدعاء هناك مستجاب، والله اعلم.

ومن لم يعلم أين المشعر الحرام ولم يذهب إليه، وقع الإجماع على أنه لا شيء عليه وحجه صحيح. فإن تيسر له الذهاب إليه وعلم مكانه فأتاه ودعا عنده فهذا أفضل؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وإن لم يتيسر للإنسان الذهاب إليه، أو كان هناك زحام شديد لم يستطع بسببه المكث فيه، فمر عليه ووقف بإزائه ودعا فلا مانع، وليبق هناك إلى أن تشرق الشمس لان رسول الله ﷺ فعل ذلك.

مقام إبراهيم

هو الحجر الذي كان إبراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع البناء، وإسماعيل عليه السلام يناوله الحجارة فيضعها على الجدار لرفعه، وكلما أكمل ناحية من البيت دار به إلى ناحية أخرى حتى تم البناء. وهما يطوفان ويدعوان، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[البقرة: ١٢٧] وقد كانت آثار قدمي إبراهيم في الحجر، وعرفها العرب في

الجاهلية زمانا، وأدركها المسلمون الأوائل، ولكنها محيت مع الزمن، والذي نراه اليوم هو علامة موضع القدمين. ومن زار البيت فبعد إتمام طوافه صلى خلف المقام ركعتين اقتداء برسول الله ﷺ، وامتثالا لقول الله سبحانه: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾ [البقرة: ١٢٥].

المحراب

المحراب: صَدْرُ البَيْتِ، وأَكْرَمُ مَوْضِعٍ فيه، والجمع الـمَحارِيبُ، وهو أَيضاً الغُرْفةُ. والمحراب عند العامة: الذي يُقِيمُه النّاس اليَوْمَ مَقام الإِمامِ في الـمَسْجد، وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴾ [ص: ٢١] قال: المحراب أَرْفَعُ بَيْتٍ في الدَّارِ، وأَرْفَعُ مَكانٍ في الـمَسْجِد. قال: والمحراب ههنا كالغُرْفةِ، وأَنشد بيت وضَّاحِ اليَمَنِ.

رَبَّـــــةُ محـــــراب إِذا جِئْتُهـــــا لم أَلْقَهـــــا، أَو أَرْتَقـــــي سُـــــلَّما

ومحراب الـمَسْجِد: قبلته وصَدْرُه وأَشْرَفُ موضع فيه. وهو أيضا المسجد قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ﴾ [مريم: ١١] قالوا: من المسجِدِ. (الباحث، لسان العرب).

البيع والصلوات والصوامع

والبيعةُ بالكسر: كَنِيسةُ النصارى، وقيل: كنيسة اليهود، والجمع بِيَعٌ، قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ﴾ [الحج: ٤٠] ومع اختلاف المفسرين في معنى تلك الأماكن وهي. البيع والصلوات والمساجد، إلا ان الطبري قال في التفسير: (وأولى

هذه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: لهدِّمت صوامع الرهبان وبِيَع النصارى، وصلوات اليهود، وهي كنائسهم، ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرا).

المعارج

يقال: عَرَجَ في الدَّرَجَة والسُّلَّم يعرُج عُرُوجاً أَي ارتقى. وعَرَج في الشيءِ وعليه أيضا إي رقيه. وعَرَج الشيءُ، إي: ارتفع وعَلا. والمِعْراج السُّلَّم؛ والجمع معارج ومَعارِيج، والمعارج المَصاعد، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[المعارج: ٣ - ٤] وتعرج إي تصعد، والمعارج أَي المَصاعِد والدَّرَج. قال قتادة: (الله ذي المعارج) إي ذي الفواضل والنِّعَم؛ ويقال: معارج الملائكة إي مَصاعِدها التي تَصْعَد فيها وتعرُج فيها؛ وقيل المِعْراج: شبه سُلَّم أَو دَرَجة تعرُج عليه الأَرواح إِذا قُبِضت، يقال: ليس شيءٌ أَحسن منه إِذا رآه الرُّوح لم يتمالك أَن يخرُج، (الباحث، لسان العرب).

القسم الثاني

الظواهر الطبيعية

الرياح والصر والودق

وهي أنواع فمنها الشديد العاتي الذي يسبب الدمار والخراب كما سيأتي، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ [آل عمران: ١١٧] جاء في الطبري - بتصرف - فيها صر وهو الريح الشديدة الباردة تصيب الزرع والحرث فتهلكه بالبرد والصقيع. وقال تعالى: ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١] وفي معنى عقيم روى الطبري: (عن ابن عباس، قال: الريح العقيم: الريح الشديدة التي لا تُلْقح شيئا. وفي رواية أخرى عن ابن عباس: ولا تثير السحاب). ومن الرياح الهادئ المعتدل المفيد قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الروم: ٤٨] وقوله سبحانه يستبشرون، أي بالخير الذي يأتي مع المطر، من إسالة الأودية وري الزروع وتوفير ماء الشرب، والودق هو المطر. كما قال جل ذكره أيضا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢] فالرياح كما هو معروف لا بد للسفن منها كي تسير في البحار والأنهار، خاصة الشراعية منها. كذلك لا بد منها للطيور كي تطير في جو السماء مستعينة بتيارات الهواء الصاعدة والهابطة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾ [النحل: ٧٩]. ومن أعظم منن

الله على خلقه أن جعل الرياح لواقح، فلولاها لما استطاع البشر توفير حاجتهم من الغذاء، فكيف لهم أن يقوموا بتلقيح كل شجرة ونبتة وثمرة، ليضمنوا حاجتهم من الطعام. وأنى لهم أن يرووا كل ذلك، ومن أين لهم ما يكفي من الماء لذلك!! قال تعالى:

﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾

[الحِجر: ٢٢]جاء في الطبري قول ابن جرير: (إن الرياح لواقح كما وصفها به جلّ ثناؤه من صفتها، وإن كانت قد تلقح السحاب والأشجار، فهي لاقحة ملقحة، ولقحها: حملها الماء وإلقاحها السحاب والشجر: قال: حدثنا أبو كريب، قال: ثنا المحاربي، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن قيس بن سكن، عن عبد الله بن مسعود، في قوله ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ قال: يرسل الله الرياح فتحمل الماء، فتجري السحاب، فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر). وفى قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴾ [المرسلات: ١ - ٤] قال بعض المفسرين: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴾ يعني الرياح أرسلت متتابعة كعرف الفرس. وقيل: عرفًا أي كثيرًا تقول العرب: الناس إلى فلان عرف واحد، إذا توجهوا إليه فأكثروا، هذا قول مجاهد وقتادة. و﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾ يعني الرياح الشديدة الهبوب. ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾ يعني الرياح اللينة. وقال الحسن: هي الرياح التي يرسلها الله بشرًا بين يدي رحمته. وقيل: هي الرياح التي تنشر السحاب وتأتي بالمطر. و﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴾ وروي عن مجاهد قال: هي الرياح تفرق السحاب وتبدِّده. (تفسير البغوي). وتلك أربعة أنواع من الرياح حسب شدتها.

الأعاصير والطوفان

الأعاصير هي الرياح القوية العاتية التي تثور بفعل اختلافات الضغط الجوي، وتتشكل فوق اليابسة، أو فوق البحار والمحيطات على حد سواء، وان كانت فوق المياه،

أعظم واكبر وأكثر تأثيرا وتدميرا. وهي تدور حول نفسها بسرعات عالية، تصل العشرات بل المئات من الكيلو مترات في الساعة، وتشكل أقماعا عظيمة تمتص كثيرا مما تمر عليه، من المياه والأتربة والرمال، بل وحتى الحجارة والصخور. وإذا تشكلت فوق المياه، خاصة فوق البحار المفتوحة الواسعة، كالمحيطات، ثم انتقلت إلى اليابسة، فإنها تحدث تدميرا هائلا، فتقتلع الأشجار وتدمر المزروعات، كما تدمر المباني وتقتلع سقوفها وجدرانها، وتقتلع أعمدة الهاتف والكهرباء، والكثير مما يرتفع فوق سطح الأرض من المعالم. وتنقل كثيرا مما تحمله مسافات شاسعة تصل إلى مئات الكيلومترات، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] كما أنها تحدث الفيضانات على الشواطئ فتغمر المدن الساحلية، بما تثير من أمواج تغرق الحرث والنسل. قال تعالى: ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم﴾ [الإسراء: ٦٩] والقاصف الإعصار بما فيه من الرعد والبرق الذي يسبب الصواعق والحرائق قال تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ [البقرة: ٢٦٦] وقد عرفت البشرية أعظم طوفان في تاريخها زمن سيدنا نوح عليه السلام، وقد ورد ذكره في كثير من أساطير الشعوب وثقافاتها، كذلك أوردته كتب الديانات السابقة، وورد ذكره في القران الكريم مفصلا، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ [المؤمنون: ٢٧] وقال تعالى: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ [هود: ٤٢] وفي الآية دلالة على عظم الطوفان وهوله. ومن أجمل ما ورد في وصف حالة البحر عند هيجانه

وتلاطم أمواجه واشتداد أعاصيره قول الله سبحانه: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

الصواعق والرعد والبرق

قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فُصِّلَت: ١٣] وقال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩] ومن المعروف أن السماء إذا تلبدت بالسحب والغيوم، اظلم الجو وتدنت الرؤية، مع ما يثير قصف الرعد المجلجل والمفاجئ، ووميض البرق الخاطف في النفس من رهبة وخوف، خاصة إذا رافق ذلك صواعق تثير الرعب بأصواتها المجلجلة الهادرة، مع ما تحدثه من حرائق ودمار. كذلك ما تحدثه الأمطار الغزيرة المنهمرة والتي اشارت اليها الآية بالصيب من سيول وانجرافات وانهدامات وفيضانات مدمرة.

العواصف

العواصف هي الرياح الشديدة العاتية التي تسبب الأعاصير بما فيها من أمطار ورعود وبروق مما يؤدي في غالب الأحيان إلى الكثير من الدمار والخراب والغرق، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [يونس: ٢٢]وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ﴾[إبراهيم: ١٨]، ومن العواصف ما يثور فوق

اليابسة، خاصة المناطق الصحراوية، وهو ما يعرف بالعواصف الرملية الهائلة التي قد تدفن المدن والقرى والمزروعات، وتحرك كثبان الرمال وتغير معالم الصحراء. وتنقل كميات هائلة من الرمال مئات بل آلاف الكيلومترات.

الحاصب

قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾[الإسراء: ٦٨] قال الطبري في معنى الحاصب: (وأصل الحاصب: الريح تحصب بالحصباء؛ الأرض فيها الرمل والحصى الصغار. يقال: حصب فلان فلانا: إذا رماه بالحصباء، وإنماوُصفت الريح بأنها تحصب لرميها الناس بذلك، والعرب تسمي الريح العاصف التي فيها الحصى الصغار أو الثلج أو البرد والجليد حاصبا، ومنه قول الأخطل:

ولقد علمت إذا العشار تروحت ... هدج الرئال بكبهن شمالا

ترمي العضاة بحاصب من ثلجها ... حتى تبيت على العضاه جفالا

وقول الفرزدق:

مستقبلين شمال الشأم تضربنا ... بحاصب كنديف القطن منثور

المطر والغيث والوابل والطل

قد ذكرنا فيما سبق من الآيات الكثير مما جاء عن المطر، ولكني أريد هنا أن افصل أنواع ومسميات المطر التي وردت في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٣] وهذا مطر العذاب والغضب، وهو

الذي تأتي به الأعاصير والعواصف، يسلطه سبحانه على العاصين والمكذبين. وأما مطر البشارة والرحمة، فهو عام شامل لكل خلق الله مؤمنهم وكافرهم، فقد قيل، إن العذاب يخص والرحمة تعم، ورحمته جل ذكره قد وسعت كل شيء قال تعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

والمطر ينزله سبحانه في كل الأحوال وفي مواسمه، يقسمه بين عباده بقدرته وتدبيره حيث شاء وأين شاء، قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥] وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة: ٢٧] وإذا منع سبحانه المطر عن بعض عباده، لذنب أو معصية، موسما أو عدة مواسم، ثم تاب عليهم فانزله، فهو غيث ورحمة وفرح وبشرى، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨] والمطر منه الغزير الشامل وهو الوابل الذي تجود معه الزروع وتفيض الغلال ويعم الخير، ومنه الطل الذي تعطي معه الزروع عادتها، مما يكفي الناس ويسد حاجتهم، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ﴾[البقرة: ٢٦٥] فالوابل هو المطر الغزير، والطل هو المطر الخفيف، وقيل الندى، وقيل فوق الندى ودون المطر.

السحب والمزن والغمام والركام والمعصرات والبرد

السحب أو الغيوم أنواع كثيرة، قسمها المختصون بالأرصاد الجوية إلى عشرة أقسام في ثلاث مجموعات، وقد أورد القرآن الكريم بعضا منها، قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ

أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾[الواقعة: ٦٩] وقال تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ [البقرة: ٥٧] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾ [النور: ٤٣].

والمزن: السحاب عامةٌ، وقيل: السحاب ذو الماء، واحدته مُزْنَةٌ، وقيل: المزنة السحابة البيضاء، والجمع مُزْنٌ، قال ابن الأثير: المزن هو الغيم والسحاب، واحدته مُزْنَةٌ، ومُزَيْنة تصغير مُزْنةٍ، وهي السحابة البيضاء. والغمام واحده غمامة بالفتح: وهي السحابة، والجمع غمام وغَمائم؛ وقال ابن عرفة في قوله تعالى: وظللنا عليهم الغمام: الغَيْم الأبيض وإنما سمي غماما لأنه يَغُمُّ السماء أي يسترها. والسحاب هو الغيم واحده سحابة ويجمع أيضا على سحائب، والسحابة: التي يكون عنها المطر، سُمِّيَتْ بذلك لانسحابها في الهواءِ. والركام هو السحاب الضخم المتراكم بعضه على بعض. والودق: المطر كله شديدهُ وهيّنُه، إي ما كان منه وابلا غزيرا، أو ما كان قطرا خفيفا. والبرد: قيل حب الغمام، وقيل حَبُّ المزن، وهو قطرات المطر إذا اشتدت عليها البرودة تجمدت ونزلت على شكل حبوب قاسية صلبة. (الباحث، لسان العرب).

كما ورد للسحاب اسم آخر أو صفة قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ [النبأ: ١٤] قال ابن جرير: اختلف أهل التأويل في المعنيِّ بالمعصرات، فقال بعضهم: عُنِي بها الرياح التي تعصر في هبوبها. وقال آخرون: بل هي السحاب التي تتحلب بالمطر ولَّا تمطر، كالمرأة المعصر التي قد دنا أوان حيضها ولم تحض. وقال آخرون: بل هي السماء. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه

أنزل من المعصرات ـ وهي التي قد تحلبت بالماء من السحاب ـ ماء. وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب؛ لأن القول في ذلك على أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرت، والرياح لا ماء فيها فينزل منها، وإنما ينزل بها، وكان يصحّ أن تكون الرياح لو كانت القراءة (وَأنزلنا بالْمُعْصِرَاتِ) فلما كانت القراءة (مِنَ الْمُعْصِرَاتِ) علم أن المعنيّ بذلك ما وصفت. وأما قوله: (مَاءً ثَجَّاجًا) يقول: ماء منصبا يتبع بعضه بعضا. (تفسير الطبري).

الأمواج

الموج: ما ارتفع من الماء فوق الماء، والجمع أَمْواج؛ وقد ماجَ البحرُ يموج موجا وموجانا ومُؤُوجاً، اضطرَبَت أَمواجُه وعلت وتتابعت. وموج كلِّ شيء وموجانه: اضطرابُه. (لسان العرب).

قال تعالى: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ [هود: ٤٢]، اي من عظمها. وقال أيضا: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾[النور: ٤٠]، (فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ) وهو العميق الكثير الماء، ولُجَّة البحر: معظمه، (يَغْشَاه) يعلوه، (مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ) أي كثير متراكم.

الليل والنهار

هما آيتان من آياته سبحانه، وقد جعل الليل مظلما للنوم والراحة والسكن، وجعل النهار مبصرا، أي نيرا للعمل والسعي في طلب الرزق، وجعلهما كذلك للتوقيت وحساب الزمن، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٧] وقال تعالى: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [الإسراء: ١٢] ومن

آياته سبحانه انه يأخذ من الليل للنهار ومن النهار لليل، فيطول هذا ويقصر ذاك، والعكس صحيح، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [الحج: ٦١] وقد جعل سبحانه الليل كالموت فيه الأحلام كأنها أحداث الآخرة، وجعل النهار كأنه البعث قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾ [الأنعام: ٦٠] وقال تعالى: ﴿ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [الأنفال: ٤٣] كما جعلهما وعاءان للعبادات والقربات قال تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٨] فالآية الكريمة بدأت بدلوك الشمس وذلك الظهر، إلى غسق الليل وذلك المغرب، وما بينهما العصر، ثم إلى الفجر وما بينه وبين الغسق العشاء، ومعه التهجد والقيام، وما بعد الفجر إلى الدلوك التالي الضحى، وذلك تمام اليوم بليله ونهاره. وقران الفجر هو صلاة الفجر تشهدها ملائكة الليل والنهار. وبذلك تكون الآية قد اشتملت على جميع الصلوات المفروضة في اليوم والليلة، والمذكورة في الكتاب الكريم وفي السنة المطهرة.

الضياء والنور والظلام والظل

والضياء والنور جعلهما سبحانه للخلق كي يستطيعوا الرؤية والإبصار، مما يسهل عليهم القيام بأعمال حياتهم، فجعل الضياء للنهار لعظم الحاجة إليه، فمعظم أنشطة الحياة إنما تكون في النهار فهو للعمل والكسب، وجعل النور لليل لقلة أنشطة الحياة فيه، فهو للنوم والراحة قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَ ﴾ [يونس: ٥] ومن منازل

القمر التي نوه إليها سبحانه في الآية، منزلة المحاق حيث يحتجب فيها تماما فلا يرى، فيعم بذلك الظلام التام فلا يهتدى إلا بالنجوم قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] وقد عرف للنور والظلام معنيان رمزيان للدلالة على الهداية والضلال، والإيمان والكفر قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الحديد: ٩] وجعل سبحانه للخلق الظل ليقيهم حر الشمس وشدة سطوعها قال تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ [البقرة: ٥٧] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٥]، وقد نوهت الآية الكريمة إلى العلاقة المباشرة بين الشمس والظل، فان حركة الشمس الظاهرية وموقعها في كبد السماء، يدل على موقع الظل واتجاهه وطوله، وبذلك يمكن تحديد أوقات الصلاتين المتوسطتين في بحر النهار، وهما صلاتي الظهر والعصر، فبواسطة طول الظل واتجاهه يمكن تحديد بداية وقتيهما ونهايتهما، كذلك بواسطة معرفة ظل الشمس وزوالها يتم تحديد وقت رمي الجمار في الحج، كذلك تحديد وقت النفرة في يوم عرفة، كما يتحدد بغروب الشمس وقت الفطر للصائم في رمضان وغيره.

الغداة والأصيل والشفق

والغدو: هو التبكير وهو أول النهار. والآصال: جمع أصيل وهو الوقت ما بين العصر والمغرب. قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] والشفق: هو الحمرة في الأفق من ناحية مغرب الشمس. قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ [الانشقاق: ١٦]. وبغياب الشفق الأحمر يدخل وقت صلاة العشاء.

القيعة والسراب

القيعة جمع قاع وهو ما انبسط من الأرض واتسع، والسراب هو ما يرى فيها في وسط النهار كأنه الماء لاصق بالأرض. تظهره انعكاسات الاشعة وقت اشتداد الحر قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٩].

المشارق والمغارب

المشارق جمع مشرق وهي مطالع النجوم والكواكب وأجرام السماء من ناحية الشرق. والمغارب جمع مغرب وهي مغيب النجوم والكواكب وأجرام السماء من ناحية الغرب. قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾[المعارج: ٤٠] ومعروف ان الشمس تطلع في كل يوم من مطلع (مشرق) لا تطلع منه في اليوم الذي يليه، ولكنها تطلع منه مرة أخرى إذا حال الحول إي بعد سنة عندما تعود إليه. وتلك المشارق. وبنفس المعنى يقال في المغارب. وفي (الطبري): قال ابن عباس: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ قال: هو مطلع الشمس ومغربها، ومطلع القمر ومغربه.

الصيف والشتاء

وهما ظاهرتان تمران بالأرض في كل عام مرة، فيسود كل واحد منهما نصف العام، وذلك بسبب دوران الأرض حول الشمس قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ [قريش: ١-٢]، ويدخل في الصيف ومعه فصل لطيف الحرارة معتدلها، كمقدمة لفصل الصيف الحار هو فصل الربيع وفيه يبعث الله الحياة في النباتات بعد ان تكون قد مرت بفترة سكون خلال الشتاء البارد

قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]، كما يدخل في الشتاء ومعه فصل ألطف منه واقل حدة في برودته وهو الخريف، وفيه يبدأ سكون النباتات، واستعدادها للبيات شتاء.

الحر والبرد

قال تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾[التوبة: ٨١] وقال تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] والحر والبرد مظهران من مظاهر الطقس، وقد يكونان في حال شدتهما عائقا يؤديان إلى التكاسل عن أداء بعض العبادات، أو يكون فيهما ضرر، وقد أباح الشرع في مثل تلك الحالة رخصا استثنائية للتخفيف على العباد، ففي (صحيح البخاري برقم ٥٣٢ عن أبي هريرة وبرقم ٥٣٣ عن ابن عمر) عن رسول الله ﷺ قال «إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم». (ورواه مسلم برقم ١٤٢٦ والأحاديث التي بعده أيضا بعدة طرق) وكما هو واضح، ففيه إباحة تأخير الصلاة مع اشتراط شدة الحر.

كما أباح الشرع الجمع بين صلاتي الظهر والعصر، وصلاتي المغرب والعشاء في حال العذر، ففي (البخاري برقم ٥٤٢)، (عن ابن عباس أن النبي ﷺ صلى بالمدينة سبعا وثمانيا الظهر والعصر والمغرب والعشاء. فقال أيوب لعله في ليلة مطيرة، قال عسى). وقوله سبعا يعني جمع المغرب وهي ثلاث ركعات، والعشاء وهي أربع ركعات فتلك السبع، وقوله ثمانيا يعني جمع الظهر وهي أربع ركعات والعصر وهي أربع ركعات فتلك الثمانية. ومما يوضح انه يقصد الجمع ما جاء في الرواية الأخرى

(البخاري رقم ٥٦١) (حدثنا آدم قال حدثنا شعبة قال حدثنا عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن زيد عن ابن عباس قال صلى النبي ﷺ سبعا جميعا وثمانيا جميعا). وفي (مسلم برقم ١٦٣٢) (حدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن نافع أن ابن عمر أذن بالصلاة في ليلة ذات برد وريح فقال ألا صلوا في الرحال. ثم قال كان رسول الله ﷺ يأمر المؤذن إذا كانت ليلة باردة ذات مطر يقول «ألا صلوا في الرحال»). ومما يدل على أن تلك رخصة ما جاء في (مسلم برقم ١٦٣٦) (وحدثنا أحمد بن يونس قال حدثنا زهير حدثنا أبو الزبير عن جابر قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر فمطرنا فقال «ليصل من شاء منكم في رحله».

ومما يوضح أن ذلك في الحضر بسبب عذر البرد الشديد أو المطر الشديد ما جاء في (مسلم برقم ١٦٦٢) (حدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن أبي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال صلى رسول الله ﷺ الظهر والعصر جميعا والمغرب والعشاء جميعا في غير خوف ولا سفر). وقد كان السلف ومنهم ابن عباس يرون أن حد الإباحة، هو أن يكون المطر غزيرا يؤدي إلى الخوض في الطين، ويؤدي إلى أن يتقطر الماء من الثياب إذا عصرت. فعندها يباح الصلاة في الرحال (البيوت) أو الجمع في المساجد.

الخسف والزلازل والبراكين والدخان

وهي اعتي الظواهر الطبيعية التي عرفها الإنسان، فهي تحدث من الدمار والإهلاك والترويع ما لا يحدثه غيرها، وبها تتجلى عظمة الخالق وقدرته سبحانه، فإذا ما تحركت الأرض وتململت بفعل الزلازل، ثارت البراكين وأخرجت مما في باطن الأرض من حمم منصهرة، بحرارة تصل إلى مئات بل آلاف الدرجات، وثار من الرماد والدخان ما لا يعلم عظمه إلا الله سبحانه، وانتشر في الجو بارتفاعات

تصل عدة كيلومترات، حتى إذا ما استقر على سطح الأرض قضى على كل معالم الحياة، واهلك الحرث والنسل، إضافة لما تحدثه الزلازل من تغيير لمعالم الأرض، فتختفي جبال وأودية وسهول، ليظهر غيرها، وتحدث الانخسافات التي تبتلع مدنا وقرى، وتشكل بحيرات وبحارا وانهارا، وترى الحمم المنصهرة تسيل من فوهات البراكين كما المياه في السيول والسهول، وكما تنزلق كثبان الرمل في الصحاري، قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[الزلزلة: ١-٢] وقال تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة: ٤-٦] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧] وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٤٥] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزّمل: ١٤] فسبحان الخالق الذي لا تحد قدرته ولا يبلغ علمه ولا يدرك سلطانه.

الخسوف والكسوف

وهما ظاهرتان طبيعيتان تحدثان إذا اجتمعت الأرض مع الشمس والقمر على خط واحد، فان كان القمر بين الشمس والأرض، وحجب القمر الشمس سمي ذلك كسوفا، أما إذا صارت الأرض بين الشمس والقمر، وحجب ظل الأرض القمر فذلك الخسوف، وقد يكونان تامين وذلك بان يحجب القمر كامل قرص الشمس في حالة الكسوف، أو يحجب ظل الأرض كامل قرص القمر في حالة الخسوف. وقد يكونان غير تامين أي جزئيان، وذلك إذا حجب القمر جزءا من قرص الشمس في حالة الكسوف، أو حجب ظل الأرض جزءا من قرص القمر في

حالة الخسوف. قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٧-٩] قال ابن عباس: خسف القمر معناه، ذهاب نوره (أي احتجابه).

ومن الجدير بالذكر أن الناس قديما وقبل التقدم العلمي، وقبل اتساع دائرة المعارف الإنسانية، كانوا يعتقدون أن الكسوف أو الخسوف يحدثان بسبب أمر جلل؛ كموت، أو ولادة عظيم أو ملك، وكان ذلك اعتقاد أهل الأرض كافة، نجده في قصصهم وأساطيرهم، والعرب كانوا يعتقدون ذلك كغيرهم، فلما مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ، صادف ان كسفت الشمس، وقد جاء في حديث المغيرة بن شعبة قال: (انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم فقال الناس انكسفت لموت إبراهيم. فقال رسول الله ﷺ «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى ينجلي». (صحيح البخاري برقم ١٠٦٨) (ورواه مسلم أيضا في صحيحه برقم ٢١٦١). ولو كان رسول الله ملكا، أو متقولا، لجرى مع الناس على جريهم، ولكن حاشا لرسول الله ﷺ أن يقول إلا ما أوحى له الله به، وإلا ما علمه ربه سبحانه، فلم يكن عالم فلك ليعلم تلك الحقيقة، ولكنه علم الله سبحانه الذي خلق وقدر. وفي الآية الكريمة تنويه بتلك الحقيقة العلمية، فان كسوف الشمس، وخسوف القمر، لا يحدثان إلا إذا اجتمع الشمس والقمر على خط مستقيم واحد.

القسم الثالث

الأحياء من المخلوقات

خلق الله سبحانه الكون على أبدع صورة، وعمره بما شاء من المخلوقات، فأعلمنا وعرفنا بما شاء منها، واستأثر عنده في علم الغيب بما شاء، وجعل منه الحي، ومنه الجامد الذي لا حياة فيه، فالأحياء من المخلوقات، منها العاقلة، اطلعنا سبحانه على ثلاث منها وهي: الملائكة، والجن، والإنس. سخرها لإعمار الكون، وخلق كل نوع من مادة خاصة به، وسخره لعمل يسره له، وقدره عليه. ومنها غير عاقلة وهي الحيوانات والنباتات. سخرها سبحانه لخدمة البشر.

الجنس النوراني

الملائكة

الملائكة خلق نوراني خلقهم الله من نور، كما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: (خلقت الملائكة من النور، وخلق الجان من مارجٍ من نار، وخلق آدم مما وصف لكم) ـ أي من الطين ـ هكذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فيما (رواه مسلم في الصحيح برقم ٧٦٨٧) من حديث عائشة رضي الله عنها. وقد سخرهم جل شأنه لعبادته، مع ما أوكل إليهم من أعمال. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٤٩-٥٠]، فهم خالصوا الطاعة والخضوع والاستسلام لله فلا تصدر منهم معصية، ولا يرتكبون ذنبا ولا إثما، فقد أمرهم سبحانه بالسجود لآدم عليه السلام لما خلقه، فلم يترددوا ولم يعترضوا، بل نفذوا طائعين مستسلمين، قال تعالى:

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾[الحجر: ٢٩-٣٠] فقد علموا أن ذلك سجود امتثال لأمر الله، وسجود تكريم لآدم لا سجود عبادة، إذ لا يصح السجود مطلقا إلا لله سبحانه، فقد جاء في (سنن أبي داود برقم ٢١٤٢) من حديث قيس بن سعد عن رسول الله ﷺ «لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق». وقد جعلهم سبحانه ـ أي الملائكة ـ على هيئات مختلفة كما شاء وقدر، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فاطر: ١] والملائكة يتواجدون في كل مكان، ويعيشون حيث شاء الله لهم أن يعيشوا مطمئنين، أي مقيمين مستقرين، إلا في الأرض، فإنهم إنما يأتون إليها لتنفيذ أوامر الله وإبلاغ رسالاته، دونما استقرار، قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٥] وقد أوكل لهم سبحانه أعمالا يقومون بها، في الأرض وفي السماء. فهم:

الشهود

جعلهم سبحانه شهودا على وحدانيته وألوهيته قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]. كما جعلهم كذلك شهودا على صدق رسالة نبينا عليه أفضل الصلاة والتسليم قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[النساء: ١٦٦]. وكذلك هم شهود على

عمل المؤمنين، خاصة صلاتي الفجر والعصر، يشهدهما ملائكة النهار وملائكة الليل، قال تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨].

رسل الله إلى رسله وأوليـاءه

فهم رسل الله إلى من شاء من خلقه كالأنبياء يبلغونهم رسالاته، قال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢] وقد خص سبحانه من الملائكة جبريل عليه السلام ليكون رسولا بينه وبين خلقه، فحمل الرسالات إلى أنبياء الله ورسله من البشر، كذلك كان معهم فترة دعوتهم يؤيدهم ويثبتهم وينصرهم ويدفع عنهم، حتى بلغوا الرسالات وأدوا الأمانات جزاهم الله عن أممهم خير الجزاء، عليهم جميعا أفضل الصلاة وأتم التسليم. وهم كذلك رسل الله لمن اصطفى من عباده غير الرسل، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٢] فقد حملوا رسالات الله إلى من شاء ومن اصطفى من خلقه غير الأنبياء، يبلغونهم وحي الله ويثبتونهم على أمره، ويصبرونهم على محنهم التي ابتلاهم بها، كحمل مريم من غير زوج، إذ لما رأت أمر الله واقع وجاءها المخاض قالت: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٣]فجاءها الأمان وجاءتها البشرى قال تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ [مريم: ٢٤] وقال: ﴿فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا﴾

[مريم: ٢٦] وكذلك أم موسى جاءها الوحي حين خافت عليه القتل أن تلقيه في اليم. قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ﴾[القصص: ٧] وطمأنها وبشرها قال تعالى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧].

المبشرون

يبشرون برحمة الله وفضله وإحسانه لأنبياءه، قال تعالى في بشرى سيدنا زكريا عليه السلام: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٩] لما دعا نبي الله زكريا الله سبحانه أن يرزقه بولد وقد كان شيخا كبيرا، ولم يكن له ولد وقد جاوز سن الإنجاب، استجاب الله له وجاءته الملائكة بالبشرى، أن الله سيرزقه ولدا يسميه يحيى. وروى الطبري (عن قتادة قوله: «إنّ الله يبشرك بيحيى»، قال: إنما سمي يحيى، لأن الله أحياه بالإيمان). وقال: وقوله تعالى: (مصدّقًا بكلمة من الله)، يعني: بعيسى ابن مريم. إي أن يحيى يصدق ويشهد أن عيسى كلمة الله ورسوله. عليهما السلام. وقال تعالى في بشرى سيدنا إبراهيم عليه السلام وزوجه: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾[هود: ٧١] وكذلك يحملون البشرى للمؤمنين بالفوز والفلاح قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصِّلَت: ٣٠].

جنود نصرة للرسل وللمؤمنين

وهم جنود الله يسلطهم على من عصى وتكبر، وينصر بهم رسله والمؤمنين قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] وقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢] وذلك أن رسول الله ﷺ لما رأى يوم بدر كثرة المشركين وعدتهم، ورأى قلة المسلمين وضعفهم، قام في العريش يدعوا الله ويستنصره على المشركين، فبشره الله سبحانه بالنصر وأمده بألف من الملائكة مردفين، قيل متتابعين يتبع بعضهم بعضا وقيل يردف بعضهم بعضا. وقيل قاتل الملائكة يومئذ مع المؤمنين، وروى أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال: والله، لقد رأيتنا يوم بدر، وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك، فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف. كما أنهم إي الملائكة قد ثبتوا المؤمنين وبثوا في نفوسهم الحماسة والثقة، كما أمرهم الله، وبثوا الرعب والخوف في نفوس الكفار والمشركين. وقد قيل: إن تثبيت الملائكة المؤمنين، كان حضورهم حربهم معهم. وتكثير سوادهم، وقيل: كان ذلك معونتهم إياهم بقتال أعدائهم. وقيل: كان ذلك بأن الملك يأتي الرجلَ من أصحاب النبي ﷺ يقول: سمعت هؤلاء القوم ـ يعني المشركين ـ يقولون: والله لئن حملوا علينا لننكشفن! فيحدِّث المسلمون بعضهم بعضًا بذلك، فتقوى أنفسهم. قالوا: وذلك كان وحي الله إلى ملائكته. حكاه ابن جرير، وهذا لفظه بحروفه. كما نصر سبحانه المؤمنين يوم حنين بالملائكة قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٦].

والملائكة كذلك نصرة عند الشدة وفي الكروب، حتى في غير وقت الحرب، فلما تظاهرت عائشة وحفصة رضي الله عنهما على رسول الله ﷺ، في قصة مارية القبطية، أظهره الله سبحانه على ما دبرتا له قال تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم: ٤] وكذلك لما آذى المستهزؤن رسول الله، أرسل الله جبريل فكفاه أذاهم وشرهم قال تعالى: ﴿ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾ [الحجر: ٩٥] فكان رسول الله ﷺ يشير إلى الواحد منهم فيقول له جبريل عليه السلام: كفيته. ثم يلقي عليه بأمر الله مصيبة أو مرضا فيهلكه.

قبضة الأرواح عند الموت

كما أوكل إليهم سبحانه قبض أرواح العباد صالحهم وطالحهم، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠] ، وكبير هؤلاء ملك الموت، قال تعالى: ﴿ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴾ [السجدة: ١١] فسبحان من قهر عبادة بالموت.

الملائكة المذكورون في القران

ورد في القرآن الكريم ذكر لعدد من الملائكة بأسمائهم الصريحة، وذكر آخرون حسب الأعمال الموكلة إليهم، وآخرون حسب أعمال خاصة كلفهم المولي بتنفيذها على الأرض ومنهم:

جبريل عليه السلام

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨] وهو رسول الله إلى رسله، نقل إليهم رسالات الله سبحانه، وبلغهم الشريعة، وحمل إليهم الكتب بما فيها من شرع، وأمر ونهي وأخبار، وقصص ما كان من أمر الأمم السابقة، وقصة الخلق، وأخبار ما سيكون في آخر الزمان، وقصة البعث والنشور، ويوم الحساب وكل ما يتعلق بالخلق في الدنيا والآخرة، وقد عرف بأنه روح القدس قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢] وذكر أيضا انه الروح الأمين قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

ميكال وقيل ميكائيل

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨] وهو ملك قالت اليهود انه صديق لهم، وقالوا إن جبريل عدو لهم، فأنزل سبحانه هذه الآية ليبين أن من كان عدوا للملائكة أو الرسل أو أولياء الله، فإنما هو عدو لله قد استحق غضبه وسخطه، وقد خص سبحانه هذين الملكين بالتسمية، لان اليهود قد جاءوا على ذكرهما عندما اجتمعوا معه عليه السلام، للمناظرة في أمر رسالته وما جاء في كتبهم من ذكره صلوات الله وسلامه عليه.

مالك

قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزُخرُف: ٧٧] ومالك أحد خزنة جهنم وكبيرهم.

هاروت وماروت

وهما ملكان أورد الطبري في تفسيره من خبرهما قصة طويلة، وذكر اختلافات أهل العلم والتفسير فيهما، والشاهد أنهما ملكان نزلا بالسحر يعلمانه للناس، ويحذران من مساوئه، فقد كانا يقولان لمن يتعلمه، إنما نحن، أي بما جئنا به من السحر، فتنة فلا تكفر، أي لا تعمل بالسحر، وذلك أن الشياطين كانوا يعلمون الناس السحر ويأمرونهم بالعمل به، والله اعلم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

حملة العرش

قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧] قيل ثمانية صفوف لا يعلم عدتهم إلا الله سبحانه، وقيل ثمانية ملائكة يحملون العرش بحول الله وقوته، قال الطبري في ذلك: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال، قال ابن زيد في قوله: (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) قال: ثمانية أملاك، وقال، قال رسول الله ﷺ: «يَحْمِلُهُ اليَوْمَ أَرْبَعَةٌ، وَيَوْم القِيامَةِ ثَمَانِيَةٌ»).

خزنة جهنم

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٩] وقد ذكر سبحانه عددهم فقال جل ذكره: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ

عَشَرَ ﴾ [المدَّثر: ٣٠] وذكر صفتهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦] فهم القائمون على عذاب أهل النار يوم القيامة.

القائمون بعذاب المجرمين في الأرض

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴾ [هود: ٨١].

الحفظة

ومنهم الموكلون بحفظ العباد قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١] قال الطبري: حدثنا سوّار بن عبد الله قال: حدثنا المعتمر بن سليمان قال، سمعت ليثًا يحدث، عن مجاهد أنه قال: ما من عبدٍ إلا له ملك موكَّل يحفظه في نومه ويقظته من الجنّ والإنس والهوامّ، فما منها شيء يأتيه يريده إلا قال: وراءَك! إلا شيئًا يأذن الله فيه فيصيبه.

الكتبة

ومن الملائكة من هم موكلون بأعمال العبد يكتبون حسناته وسيئاته، قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴾ [يونس: ٢١] ويكتبون حتى ما توسوس به

نفسه من خير أو شر: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٦-١٨] وقد أطال المفسرون الحديث في تفسير هذه الآيات، ومجمل القول أن هؤلاء الملائكة رقباء على العبد يكتبون ما يقول وما يفعل في صحيفته منذ ولادته إلى موته، فإذا قبض طويت تلك الصحيفة، وعند بعثه نشرت، فيجد ما عمل فيحاسب عليه. قال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤] فالمؤمن يومئذ مستبشر يأخذ كتابه بيمينه ويقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٩-٢٣] اللهم اجعلنا ممن يعطى كتابه بيمينه. وأما الكافر والعياذ بالله فيعطى كتابه بشماله فيقول: ﴿يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٢٥-٣٢].

ولهول ما يرى المجرمون ذلك اليوم من صدق ما قدم إليهم من الوعيد فكذبوا به، يبهتون وتأخذهم الحسرة. وقد وصف سبحانه حالهم يومئذ، قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

أعمال أخرى

وللملائكة أعمال أخرى كثيرة لا يعلمها إلا الله سبحانه، فمنهم الموكل بالنفخ في الصور قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١].

الجنس الناري

الجن

أما الجن فقد خلقهم سبحانه من النار، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٥] وقد سخرهم لعبادته أيضا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ولكنه سبحانه ترك لهم الخيار بين الطاعة والمعصية، فمن أطاع فقد نجا وفاز، ومن عصى فقد هلك وخلد في نار جهنم. وقد استعمرهم في الأرض ما شاء سبحانه. والجن منهم المؤمنون ومنهم الكفرة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: ١١] وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[الجن: ١٤-١٥] والطرائق، المذاهب، والقدد، الأجناس المختلفة. والقاسطون هم الجائرون عن طريق الحق.

إبليس

رأس كفرة الجن ومردتهم إبليس لعنه الله، ويسمى أيضا الشيطان، وفي اغلب الآيات التي ورد فيها لفظ شيطان بالإفراد، فالمقصود إبليس عليه اللعنة، وقد وقع

فيه، أهو من الملائكة أم من الجن، كثير من الخلاف بين المفسرين من الصحابة والتابعين، ومن أشهر ما قيل فيه، قول ابن عباس رضي الله عنه انه من حي من الملائكة خلقوا من نار السموم، يقال لهم الجن، ذلك أنهم كانوا خزنة الجنة يرأسهم إبليس، وكان له إلى ذلك سلطان سماء الدنيا، وسلطان الأرض، وكان من المجتهدين في العبادة، إلا انه وقع في نفسه الكبر، ورأى انه أفضل من بقية الملائكة. والرواية بطولها رواها الطبري في التفسير إلا أنني أخذت زبدة ما فيها لعدم الإطالة، أما القول الثاني فيه فأشهره قول التابعي الجليل، الحسن البصري، قال الطبري: (حدثنا به محمد بن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن عوف، عن الحسن، قال: ما كان إبليسُ من الملائكة طرفةَ عين قطّ، وإنه لأصل الجنّ، كما أن آدم أصل الإنس. وقد قال تعالى في أمر إبليس: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١] فقد أبى لعنه الله استكبارا منه وغرورا. إذ رأى انه أفضل من آدم، فقد خلق من نار وآدم من طين، وهو أسن من آدم وأقدم. فلما كان منه ذلك طرده الله من رحمته، فسال الله أن يمهله إلى يوم البعث، قال تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤] فأمهله سبحانه قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥] فتوعد اللعين آدم وذريته بالغواية، قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧] وقد حذر الله آدم وذريته من الشيطان قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦] وسوف افصل قصة آدم عليه السلام مع إبليس لعنه الله، في باب قصص القرآن إن شاء الله.

شياطين الجن

الشيطان هو كل متمرد من انس أو جن وهو من شطن بمعنى بعد، يقال بئر شطون، أي بعيدة القعر، قال القرطبي في مقدمة التفسير: (سمي الشيطان شيطانا لبعده عن الحق وتمرده، وذلك أن كل متمرد من الإنس والجن والدواب شيطان). وشياطين الجن هم كفرة الجن الذين تبعوا إبليس في كرهه لآدم وذريته، فأوكل إليهم لعنه الله أمر غواية البشر وإبعادهم عن طريق الحق والهداية قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩] فهو يأتيهم من كل باب ويترصدهم في كل طريق يزين لهم الضلال ويحثهم على المعصية، قال تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩] ثم يدخل لعنه الله قلوبهم وعقولهم يوسوس لهم، فيزين لهم الخطيئة حتى يوقعهم فيها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]، فإذا ما انجر الناس إلى وعوده وتبعوا ضلاله زادهم رهقا، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] والرهق، قيل الإثم وقيل الطغيان، فإذا بلغوا ذلك تخلى عنهم، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦] والشيطان يرى الإنسان من حيث لا يراه قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧] ولإبليس لعنه الله القدرة ـ بما وهبه الله ـ على أن يتمثل بصور مختلفة، كصورة حيوان أو إنسان، وذلك مما يزيد من قدرته على

الغواية والصد عن سبيل الله، فقد تمثل لزعماء قريش بصورة شيخ نجدي حين تآمروا في دار الندوة ما يفعلون برسول الله، فزين لهم اللعين قتله، حتى اجتمعوا ليلة الهجرة حول داره لتنفيذ ذلك ولكن الله أنجاه منهم واخزاهم. كذلك تمثل لقريش بصورة سراقة بن مالك المدلجي في معركة بدر، يحرضهم على الخروج لقتال المسلمين. وتمثل لأبي هريرة رضي الله عنه وهو يحرس خزائن الطعام، تمثل له بصورة شيخ من فقراء المسلمين، يأتيه على ثلاث ليال يسرق الطعام، حتى فضحه رسول الله واخبر أبا هريرة بخبره. وقد روى (البخاري الحديث بطوله في باب الوكالة برقم ٢٣٥٣).

ولذلك، ولفضل الله سبحانه وكرمه ولطفه بعباده، اوجد لهم المخرج من سلطة الشيطان وسطوته، ودلهم على طريق النجاة من شروره قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] فعلى المسلم أن وجد من وسوسة الشيطان في نفسه شيئا أن يستعيذ بالله منه، وليقل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وليقل الله اكبر. فان اللعين يتصاغر عند ذلك ويخسا ويرتد كيده في نحره. وقد انزل سبحانه سورة كاملة في القرآن الكريم لحماية عباده من كيد الشيطان وشره، جنا كان أم إنسا قال تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٦] وقد كان رسول الله ﷺ يرقي بها وبسورتي الفلق والإخلاص: كما ثبت من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: «قل هو الله أحد» و«قل أعوذ برب الفلق»

و«قل أعوذ برب الناس» ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات) (أخرجه الإمام البخاري برقم ٥٠٦٩وأبو داود والنسائي). يقول النووي في شرحه لصحيح مسلم: (والظاهر أن المراد النفث، وهو نفخ لطيف لا ريق معه). وسأفصل قصة الجن مع رسول الله ﷺ في باب قصص القرآن إن شاء الله.

العفاريت

واحدها عفريت وهو: النافِذُ في الأمرِ المبالِغُ فيه مع دَهاءٍ، وقيل: الشديد القويّ، وقيل: هو الداهي الخبيثُ الشِّرِّيرُ، وقيل: هو الجَمُوع المَنُوع، وقيل: الظَّلُوم. وقال الزجاج: العفريت من الرجال النافذُ في الأَمر المبالغ فيه مع خُبْثٍ ودَهاءٍ، (الباحث: قواميس اللغة). قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩].

القرين

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزُّخرُف: ٣٦] وقال سبحانه: ﴿۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٢٧] وعندما يختصم القرناء عند الله يوم القيامة يقول سبحانه: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٨]. والقرين هو المصاحب (الباحث: لسان العرب) أي الذي يصحبك فيقرن بك ولا يفارقك، ولكل إنسان من البشر قرينان احدهما من الجن وهو شيطان يأمر صاحبه بالشر والعصيان. وآخر من الملائكة يأمره بالخير ويحثه عليه. وفي (صحيح مسلم برقم٧٢٨٦) (حدثنا عثمان بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم

قال إسحاق أخبرنا وقال عثمان حدثنا جرير عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن». قالوا وإياك يا رسول الله قال «وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير». وفي (مسند احمد برقم٣٦١١) حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياي لكن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير».

الجنس الترابي

البشر

خلق الله آدم عليه السلام وجعل الأرض له ولبنيه دار ابتلاء وعمل وترك لهم الخيار بين الطاعة والمعصية، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ومن رحمته سبحانه أن جعل آدم أبو البشر أول رسول للبشر يعلمهم شرع الله ويحثهم على عبادته، وينهاهم عن معصيته، ويعلمهم ما ينفعهم ليفوزوا برضوان الله فيعيدهم إلى الجنة التي خرجوا منها بالمعصية، ليعودوا إليها بالمغفرة والرحمة. وأما من أبى منهم فقد حكم على نفسه بالهلاك وباء بغضب من الله وخلد في نار جهنم بما قدمت يداه. ومن رحمته سبحانه أن جعل الرسل تترى وتتوالى من آدم أول رسول إلى محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم آخر الرسل وخاتمهم. وقد خلق سبحانه مع بني آدم خلقا آخر ليكونوا في خدمتهم وعونهم،

من دواب وزروع ومعادن وماء وما شاء مما نعلم ومما لا نعلم من الخلق قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقد سخر سبحانه للخلق أرزاقهم وأقواتهم، ويسرها لهم، قال تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[هود: ٦]. ثم إن الله قد جعل تلك الأجناس على إشكال وهيئات مختلفة، وجعل لها مساكن تناسب حياتها ومصدر رزقها. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ﴾ [فاطر: ٢٨] وقال أيضا: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [النور: ٤٥].

والبشر هم ذرية آدم عليه السلام، خلقه جل ذكره من الطين، ثم نفخ فيه من روحه فاستوى بشرا، وصوره بأحسن صورة قال تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين: ٤] وكان سبحانه قد كرمه بأن خلقه بيده قال تعالى: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وزاد سبحانه في إكرامه، فأسجد له ملائكته قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٧٣ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [ص: ٧٢-٧٤] ولما استكبر إبليس اللعين وأبى السجود، طرده الله من رحمته. ولخبثه واستكباره ـ ولأمر قدره الله ـ لم يطلب اللعين المغفرة والرحمة، بل طلب النظرة الى يوم الدين، وتوعد آدم وذريته بالغواية واقسم على ذلك، فأنظره الله سبحانه، وتوعد من تبعه من الكفرة

والعصاة بنار جهنم يخلدون فيها ابدا. وعاش آدم في الجنة وحيدا ما شاء الله له ذلك، فلما استوحش خلق له من نفسه زوجا قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [النحل: ٧٢] فكاد ابليس لآدم وزوجه، ووسوس لهما حتى أكلا من الشجرة المنهي عنها. ثم استغفر آدم وتاب، فتاب الله عليه، ثم أخرجه من الجنة وأنزله ـ وابليس ـ إلى الأرض لتكون له ولذريته دار عمل، يستعمرونها ما شاء الله إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، وقد أمرهم سبحانه بالصلاح والإيمان، فمن أصلح وآمن، فاز وعاد إلى الجنة خالدا، ومن كفر عاد إلى جهنم خالدا. فلما استقر البشر في الأرض، وصارت لهم دار مقام، صاروا فيما نرى على خمس فئات وهم:

الرسل

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحج: ٧٥] والرسل هم خيرة خلق الله، اصطفاهم سبحانه ليكونوا هداة مهتدين، بعثهم بالشريعة، يعلمون الناس ما ينفعهم ولا يضرهم، فمن تبعهم فقد افلح وفاز، ومن تنكب فقد ظلم نفسه وخسر وهلك. قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣] وقد روي عن الإمام الشافعي رحمه الله قوله: (لو ما انزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم). وقد بعث الله من الرسل ما لا يحصيه إلا هو سبحانه. أولهم آدم وآخرهم محمد، عليهما وعلى رسل الله جميعا أفضل صلاة وأتم تسليم، وقد ذكر منهم في القران الكريم خمسة وعشرون مصرحا بأسمائهم، وآخرون ذكرت سيرهم ولم يصرح بأسمائهم. وقد

افردت لهم بابا خاصا. صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وجزاهم عن أممهم خير جزاء.

الصديقون والأولياء والصالحون

وهؤلاء ليسوا رسلا ولكن الله اختارهم وشرفهم وأسبغ عليهم من فضله، لصلاحهم وتقواهم، منهم الرجال كلقمان وغيره ممن ذكرت قصصهم دون تسمية، ومنهم النساء كمريم ابنة عمران وغيرها. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] وسنفصل أخبارهم في باب القصص إن شاء الله.

المؤمنون

وهم الذين اتبعوا الرسل وصدقوا بما جاءهم من عند الله سبحانه، فأيدوهم ونصروهم، وقاتلوا في سبيل الله، ونشروا دينه، ودعوا إليه، فكان منهم الفقهاء والعلماء والمجاهدون والزهاد والصديقون والأولياء والصالحون، فكانت لهم من الله النصرة في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] ثم كانت لهم المغفرة والرحمة والخلود في جنات النعيم في الآخرة، مع احتفاء الله سبحانه بهم ورضاه عنهم، وذلك غاية النعيم: قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢] والرسل والأولياء والصالحون والصديقون ـ الذين كمل ايمانهم بالرسل والمبعوثين من الله ـ والشهداء ـ الذين باعوا انفسهم لله ـ بالطبع هم اكمل البشر ايمانا.

المنافقون

وهم الذين آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، فهم يظهرون الإيمان ولكنهم في حقيقتهم كفار، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب: ١٢] وقد أوضح سبحانه بعض صفاتهم وأخلاقهم قال تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٦٧] وقد جعل الله لهم الخزي في الدنيا، فهم يراءون المؤمنين خوف افتضاح أمرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢]، ولكن الله اعلم بهم قال تعالى: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ٦٤] أما في الآخرة فلهم الخزي الأكبر والعذاب المقيم قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٨] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥].

الكفار

وهم الذين عتوا عن أمر ربهم، وكذبوا رسله، وحاربوهم وحرضوا عليهم، فكان لهم في الدنيا خزي وعذاب أدنى دون العذاب الأكبر، فمنهم من أباد الله ولم

يترك منهم إلا آثارا وعبرة لمن يعتبر، قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص: ٥٨] ومنهم من عذب الله بالهزيمة وبنصرة المؤمنين عليهم قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٤] فهذا نصيبهم من الدنيا اضافة إلى فتنتهم بما هم فيه قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ [الزُّخرُف: ٣٣] وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ [الأعراف: ١٨٢-١٨٣] اما الآخرة فتلك مع الكفرة قصة أخرى، فأول ما يجد من العذاب الموت، يقال له اخرج روحك، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، والسفود قضيب من حديد فيه شعب يشك فيها اللحم للشوي، فيا لعظم ما يجد من العذاب، لعنه الله، وأعاذنا أن نكون من الكافرين. قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣] ثم يأتي عذاب القبر، فبعد السؤال يشتعل عليه قبره ثم يضيق حتى تختلف أضلاعه، ويفتح له باب إلى جهنم، فيأتيه من الحر والسموم والعذاب ما لا يعلمه إلا الله إلى يوم القيامة، ففي فرعون وآله، وذلك لكل كافر، قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ

وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[غافر: ٤٥-٤٦] فإذا كان البعث والنشور والحساب سيق الكافرون إلى جهنم زمرا قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾[الزُمَر: ٧١] وهناك العذاب الأكبر المقيم، فما هي حالهم؟ هذا بعض مما يجدون، فلباسهم ثياب من نار قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾[الحج: ١٩] وشرابهم الصديد وهو القيح، والحميم وهو الماء المغلي قال تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٦] وقال تعالى: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥] وطعامهم شجر الزقوم قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾[الدخان: ٤٣-٤٦] وقد وصف سبحانه تلك الشجرة فقال: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَأَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٦] فاذا اكلوا عادوا كل إلى منزله من جهنم قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٨]، ولا بد من الاشارة قبل الختام الى ان الملحدين الذين لا دين لهم ولا يعترفون باله يدخلون حكما في زمرة الكفار.

الطواغيت والجبت

الجِبْتُ: كلُّ ما عُبِدَ مِن دون اللَّه، وقيل: هي كلمة تَقَعُ على الصَّنَم والكاهن والساحر، ونَحْوِ ذلك. وقيل السحر. والطاغوتُ: ما عُبِدَ من دون الله عز وجل، وكلُّ رأْسٍ في الضلالِ طاغوتٌ، وقيل: الطاغوتُ الأَصْنامُ، وقيل الشيطانُ، وقيل

الكَهَنةُ، وقيل مَرَدةُ أهل الكتاب. والطاغوت يقعُ على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، وجمعُ الطاغوت طَواغِيتُ.، والطاغوت يكون من الجِنِّ والإنس، وكذلك القرين، ويكون من الأصنام ويكون من الشياطين. (لسان العرب) قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء: ٥١] وقال أيضا: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ومن الطواغيت، ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسرا، وهي طواغيت قوم نوح، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[نوح: ٢٣]، وكذلك طواغيت قريش والعرب ومنها، اللات، والعزى، ومناة، قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٩-٢٠] ومما عبد من دون الله أيضا الشمس والقمر والكواكب، قال تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فُصِّلَت: ٣٧] ورأس الطواغيت وكبيرها إبليس الشيطان عليه لعنة الله. قال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

مفردة الأمة في القران الكريم

المعنى الأول

قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨] فهي هنا بمعنى الجماعة أو الفئة من الناس المؤمنين خاصة، يؤكد ذلك قوله تعالى:

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾ [البقرة: ١٤١] في إشارة إلى قوله سبحانه في الآية السابقة: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ [البقرة: ١٤٠] فقد دلت هنا على الجماعة أو القرن من الأنبياء وذرياتهم من المؤمنين.

المعنى الثاني

قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] والأمة هنا هم أهل الدين الواحد الذين جاءهم نبي من الله بشرع فاتبعوه، يؤتى بأحدهم يوم القيامة ليشهد بان رسولهم قد بلغهم الرسالة، ثم يؤتى بأمة محمد لتشهد على صدقهم، ثم يؤتى برسول الله ﷺ ليشهد على صدق ذلك، فيصدق ﷺ أمته على شهادتها، ويصدق شاهد الرسول أو النبي، ويصدق الرسول ذاته، على انه أدى وبلغ.

المعنى الثالث

قال تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢١٣] قال بعضهم: هم الذين كانوا بين آدم ونوح، وهم عشرة قرون، كلهم كانوا على شريعة من الحق، فاختلفوا بعد ذلك. وذلك قول ابن عباس رضي الله عنه. وذلك يدل على أن معنى الأمة هنا الدين كما قال النابغة الذبياني:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وَهْوَ طَائِعُ؟

قال ابن منظور في اللسان: (وذلك من قصيدته المشهورة في اعتذاره للنعمان. يقول: أيتهجم على الإثم ذو دين، وقد أطاع الله واخبت له، فيحلف لك كاذبا يمين

غموس كالتي حلفت بها، لأنفي عن قلبك الريبة في أمري. يؤيد ذلك قوله سبحانه: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزُّخرُف: ٢٢] أي على دين وشرع ونحن نتبعهم على ما كانوا عليه. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزُّخرُف: ٢٣] أي وجدناهم على تلك العقيدة فتابعناهم عليها.

المعنى الرابع

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨] وجاءت هنا بمعنيين، الأول: الكفار الذين عدلوا بالله سبحانه الأصنام والأوثان والطواغيت، فعبدوها من دون الله. والثاني: بمعنى المؤمنين الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة، فزين سبحانه لكل جماعة منهم عملهم، فإذا ردوا إليه يوم القيامة، اخبر كل جماعة بما عملوا في الدنيا، وجزى كل فئة منهم بعملهم، إن خيرا فبخير، وان شرا فبشر، أو يعفو سبحانه بفضله ما لم يكن شركا أو كفرا، ولا يظلم ربك أحدا سبحانه.

المعنى الخامس

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] جاءت هنا بمعنى الكفار خاصة ويقول سبحانه، أيها الكفار اعملوا في دنياكم ما شئتم من المعاصي والذنوب، حتى إذا جاء أجلكم إي جاءكم الموت رددتم إلينا فوفيناكم أجوركم. ويؤيد ذلك قوله سبحانه في الآيات بعدها: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨].

المعنى السادس

قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ﴾ [هود: ٨] جاءت هنا بمعنى الأجل والحين إي وقت محدود وسنين معلومة. قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولئن أخرنا عن هؤلاء المشركين من قومك، يا محمد، العذابَ فلم نعجله لهم، وأنسأنا في آجالهم إلى (أمة معدودة)، إي ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى مجيء أمة وانقراض أخرى قبلها. ويؤيد هذا المعنى ويؤكده قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴾ [يوسف: ٤٥] أي ذكر ما أوصاه به يوسف عليه السلام بعد حين ومضي وقت من الزمن بعدما كان نسي.

المعنى السابع

قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠] والأمة هنا بمعنى الإمام والمعلم والقدوة، قال عبد الله بن مسعود، الأمَّة القانت، قال: الأمَّة: معلم الخير، والقانت: المطيع لله ورسوله. قلت: وقد كان إبراهيم عليه السلام على الإيمان وحده ولم يكن على الأرض يومئذ مؤمن غيره، فكان إماما ومعلما لمن في زمانه يهديهم ويرشدهم إلى عبادة الله وحده. (والأمة: الرجل المُتفَرِّد بدينٍ كما تبين الآية الكريمة، وقيل: الأمة الرجلُ الجامع للخير). (الباحث: لسان العرب). (التفاسير).

المعنى الثامن

تأتي للدلالة على الناس كافة مؤمنين وغير مؤمنين، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [القصص: ٢٣].

القسم الرابع

أعضاء الجسم

الأذن

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[التوبة: ٦١] قال الطبري في تفسيره لهذه الآية الكريمة: من المنافقين جماعة كانوا يؤذون رسول الله ﷺ ويعيبونه بقولهم (هو أذن، سامعة)، يسمع من كل أحد ما يقوله فيقبله ويصدقه. كما وردت في قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢]، وهنا وردت بمعنى الأذن أداة السمع التي تستوعب الأصوات وتنقلها إلى الدماغ، فيتعرف على معانيها ومدلولاتها، فيأمر الجوارح أن تعمل بمقتضاها.

الأرحام

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٦]. وهي جمع مفردها الرحم: وهي بيت مَنْبِتِ الولد ووعاؤه في البطن؛ ومن معاني الرحم القرابة، إي الجماعة الذين تجمعهم الرحم في القرابة كقوله تعالى: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦] والمقصود الميراث أولى أن يكون بين الأقارب ذوي الرحم منه بين قرابة المؤاخاة أو الإسلام.

الأصابع

وردت في أكثر من آية منها قوله تعالى: ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩] وهي من اكبر نعم الله على الإنسان، فلولا تفرقها وتمايزها ما استطاع العمل ولا الإمساك ولا الكتابة، ولا القيام بأي عمل من الأعمال التي تتطلب الدقة، فلولاها ما استطاع الصانع إتقان صنعته، ولا استطاع الحائك صناعة الثياب، ولا استطاع الطبيب الجراح إجراء عملياته، فسبحان من أبدع خلق الإنسان وأتم تصويره.

الجبين

والجبين فوق الصدْغ، وهُما جبينان عن يمين الجبهة وشِمالها. (لسان العرب). والجبينان: حَرْفَانِ مُكْتَنِفَا الجَبْهَةِ من جانِبَيْها فيما بين الحاجبين مُصْعِداً إلى قُصاصِ الشَعَرِ، أو حُروفُ الجَبْهَةِ ما بين الصُّدْغَيْنِ مُتَّصِلاً بِحِذاء الناصِيَةِ، كلُّه جبين. (القاموس المحيط). قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣] أي صرعه فوضع جبينه على الأرض.

الأمعاء

والأمعاء معروفة واحدها معى، وهو المصران مكان اجتماع الطعام بعد هضمه، ومنه يمتصه الدم وينقله إلى القلب الذي يوزعه على أنحاء الجسم، وإذا أصابه خلل تسبب بألم يعرف بالمغص قال تعالى: ﴿كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴾ [محمد: ١٥].

الأنامل

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾ [آل عمران: ١١٩] والأنامل واحدها أنملة وتجمع أيضا على أنملات، وهي المفصل الأعلى الذي فيه الظفر من الإصبع، فهي رؤوس الأصابع (لسان العرب).

الأنف والخرطوم

قال تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾[المائدة: ٤٥] والأنف من الشيء أوله وطرفه ومقدمه، وهو المنخر وفيه حاسة الشم. وقد يسمى: الخرطوم، قال تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾[القلم: ١٦] جاء في تفسير البغوي: أوعده فقال: (سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ) و«الخرطوم»: الأنف. قال أبو العالية ومجاهد: أي نسود وجهه، فنجعل له علمًا في الآخرة يعرف به، وهو سواد الوجه. وفي التفسير الميسر: سنجعل على أنفه علامة لازمة لا تفارقه عقوبة له ؛ ليكون مفتضحًا بها أمام الناس.

البدن (كامل الجسم)

قال تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢] قال ابن كثير في تفسيره: وقوله: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ﴾ قال ابن عباس وغيره من السلف: إن بعض بني إسرائيل شكُّوا في موت فرعون، فأمر الله تعالى البحر أن يلقيه بجسده بلا روح، وعليه درعه المعروفة [به] على نجوة من الأرض وهو المكان المرتفع، ليتحققوا موته وهلاكه. وقال بنحوه البغوي والطبري في تفسيريهما. وعليه فالبدن هو الجسم.

البطن

وردت مفردة في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران: ٣٥] وفي الآية الكريمة جاءت هنا بمعنى الرحم مكان تخلق الجنين، ووردت بالجمع في أكثر من آية منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠]، وهنا جاءت بالمعنى المتبادر إلى الذهن، مكان تواجد الغذاء لهضمه وامتصاصه.

البنان

«البنان»: جمع «بنانة»، وهي أطراف أصابع اليدين والرجلين، ومن ذلك قول الشاعر:

أَلا لَيْتَنِي قَطَّعْتُ مِنِّي بَنَانَةً ... وَلاقَيْتُهُ فِي الْبَيْتِ يَقْظَانَ حَاذِرَا

وردت في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٤]، فسبحان الله العظيم الذي نبه لهذا الأمر قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام، وقبل أن يكشف العلم الحديث أن لكل إنسان بصمة خاصة به تميزه عن غيره من البشر ولا يشاركه فيها غيره، حتى أصبح الإنسان يعرف من بصمة إصبعه، وقد استغل ذلك في البحث الجنائي للتعرف على القتلة واللصوص والمجرمين وحل غموض الجرائم ومعرفة مرتكبيها.

الترائب

قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾[الطارق: ٧] يعني صلب الرجل وترائب المرأة، و«الترائب» جمع التريبة، وهي عظام الصدر والنحر. قال ابن عباس: هي

موضع القلادة من الصدر. وروى الوالبي عنه: بين ثديي المرأة. وقال قتادة: النحر. وقال ابن زيد: الصدر. قال ذلك البغوي، والطبري وابن كثير واغلب التفاسير، والله اعلم. وفي (لسان العرب) الترائب: موضع القلادة من الصدر، وقيل ما بين الترقوة والثندوة (الثدي) وقيل هي الصدر، وقيل مابين الثديين والترقوتين، وقيل هي أربع أضلاع من يمنة الصدر وأربع من يسرته. وقال أهل اللغة أجمعون: الترائب موضع القِلادةِ من الصَّدْرِ، وأَنشدوا:

مُهَفْهَفَــةٌ بَيْــضاءُ، غَــيْرُ مُفاضــةٍ   ترائبهـــا مَـــصْقُولةٌ كالـــسَّجَنْجَلِ

الترقوة

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ﴾ [القيامة: ٢٦-٢٧] قال البغوي في التفسير: (كَلا إِذَا بَلَغَتِ) يعني النفس، كناية عن غير مذكور (التَّرَاقِيَ) فحشرج بها عند الموت، و«التراقي» جمع الترقوة، وهي العظام بين ثغرة النحر والعاتق، ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الإشراف على الموت. (وَقِيلَ) أي قال من حضره [الموت] هل «من راق» هل من طبيب يرقيه ويداويه فيشفيه برقيته أو دوائه. وهذا احد الأقوال في تفسير الآية ولها وجوه أخرى لم اذكرها منعا للإطالة والله اعلم.

الجبهة

الجَبْهة للإِنسان وغيره، والجمع جباه، والجَبْهَةُ: موضع السجود، وقيل: هي مُسْتَوَى ما بين الحاجبين إلى الناصية. (الباحث: لسان العرب). قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡ﴾ [التوبة: ٣٥].

الجلود

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ

شَيۡءٖ﴾ [فُصِّلَت: ٢١] والجلد بمعناه العام هو الغشاء الرقيق الذي يحيط بالشيء من خارجه، ويقال له الأديم ويقال الاهاب: والجلد هو ما يلي اللحم من خارجه. والجلود يوم القيامة شهود على أصحابها تشهد بما عملوا، كما ورد في حديث انس عن رسول الله ﷺ، اذ حين ينكر المجرمون إعمالهم، يختم الله على أفواههم وتنطق جلودهم وجوارحهم بما عملوا. وكذلك هي موطن العذاب فهي مناط الإحساس، وكلما نضجت واحترقت وانعدم فيها الإحساس، أبدل الله المجرمين جلودا غيرها ليستمر عذابهم جزاء لما قدموا من الكفر والمعصية قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ٥٦] (التفاسير).

الجناح والجنب

وجناح الإنسان: يَدُه. والجمع: أجْنِحَةٌ وأجْنُحٌ، وكذلك العَضُدُ، والإِبْطُ، والجانِبُ، ونَفْسُ الشيءِ، يدا الإِنسان: جناحاه، وكله راجع إِلى معنى المَيْل لأَن جناح الإِنسان والطائر في أحد شِقَّيْه، اي في جنبه. قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٤]؛ أَي أَلِنْ لهما جانِبَكَ. وقال تعالى: ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِ﴾ [القصص: ٣٢]؛ قال الزجاج: معنى جناحك العَضُدُ، (لسان العرب). ويقال الجنب والجانب وهو شق الإنسان وغيره، وهو الناحية والجهة من الشيء، ويجمع على جنوب وجوانب، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣] وفي الآية الأمر بإقامة الصلاة على كل حال.

الجوف

وجوف الإنسان: بطنه. قال ابن سيده: الجوف باطِنُ البَطْنِ، وهو ما انْطَبَقَتْ عليه الكَتِفان والعَضُدان والأَضْلاعُ والصُّقْلانِ (وهما الخاصرتان والجنبان)، وجمعها أجوافٌ. (الباحث: لسان العرب). قال تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ [الأحزاب: ٤].

الجيد والرقبة: (العنق)

والجيد هو العنق وقيل مقدمه، وهو موضع القلادة، وقد غلب استعماله على عنق المراة فيقال جيدها، قال تعالى: ﴿ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾ [المَسَد: ٥]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾ [المجادلة: ٣]، وقال: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال: ١٢]، والعنق هو الرقبة. وكلما وردت كلمة رقبة فالمقصود إعتاق نفس مؤمنة من الرق. جاء ذلك في اغلب التفاسير.

الحجر

وحجر الإنسان (بفتح الحاء وكسرها) حضنه، ويجمع على حجور، قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ ﴾ إلى قوله ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ [النساء: ٢٣].

الحلقوم

وهو الحلق، مجرى النفس والسعال من الجوف، وطرفه الأسفل في الرئة وطرفه الأعلى في أصل عقدة اللسان ومنه مخرج النَّفَس والريح والبُصاق

والصوت، ويجمع على حلاقم وحلاقيم (الباحث: لسان العرب). قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣].

الحناجر

والحنجرة أعلى الحلقوم وفيها أوتار الصوت وهي ظاهرة في عنق الرجل، قال تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠] أي من شدة الخوف.

الخد

الخد في الوجه، والخدان جانبا الوجه، وهما ما جاوز مؤخر العين إلى منتهى الشدق؛ وقيل: الخد من الوجه من لدن المَحْجِر إلى اللَّحْي من الجانبين جميعاً ومنه اشتق اسم المِخَدَّة، بالكسر، لأن الخد يوضع عليها، وقيل: الخدان اللذان يكتنفان الأنف عن يمين وشمال. (لسان العرب). قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان: ١٨].

الدم

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤] والدم معروف وهو الذي يتدفق من القلب فيحمل الغذاء إلى نواحي الجسم.

الدمع

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

الذراع

الذراع: ما بين طرَف المِرْفق إلى طرَفِ الإِصْبَع الوُسْطى، مؤنثة وقد تذكَّر. وهي في الانسان والحيوان، قال تعالى: ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ [الكهف: ١٨] وما يساوي طولها يستخدم كأداة في القياس، قال تعالى: ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾ [الحاقة: ٣٢].

الذقن واللحية

والذقن: مجتمع اللَّحْيَين من أَسفلهما؛ والعامة تجمعها على ذقون، والصواب جمعها على أذقان، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴾ [يس: ٨] واللحي: العظم الذي تَنبت عليه اللحية من الإنسان وغيره. واللحية الشعر، قال ابن سيده: اللحية اسم يجمع من الشعر ما نبت على الخدّين والذقَن، والجمع لِحًى ولُحًى، بالكسر وبالضم. قال تعالى: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ﴾ [طه: ٩٤].

الرأس

ورأس كلّ شيء: أعلاه، وتجمع في القلة على أرؤس، وتقلب إلى آراس، وتجمع على رُؤوس في الكثير، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ [الدخان: ٤٨] وجاء بصيغة الجمع، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ٢٧].

السن

قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ [المائدة: ٤٥].

الساق

الساق ما بين الكَعْبِ والرُّكْبَةِ، وتجمع على: سوقٌ وسِيقانٌ وأسواق. وهي في الإنسان والحيوان والنبات. قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ﴾ [النمل: ٤٤] وقال سبحانه: ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾ [ص: ٣٣]. قال تعالى: ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [الفتح: ٢٩].

السوءة: (العورة) والفرج

قال تعالى: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه: ١٢١] والسوءة: هي العورة من الرجل والمرأة، وكان ادم وحواء لا يريان سوءاتهما حتى أكلا من الشجرة فرأياها. وقال أيضا: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ إلى قوله ﴿ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النور: ٣١] والفرج في الرجل والمرأة وهو السوءة.

الشعر والوبر والصوف

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٤]. ومن المعلوم أن الشيب يكون في الشعر. وإذا كان الشعر في الحيوان يكون على أشكال؛ ففي الضأن يسمى الصوف، وفي المعز يسمى الشعر، وفي الإبل يسمى الوبر، وكذلك في الحيوانات عامة، كل ما غطى جسمها فهو نوع من الشعر. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠].

الشفة والعين

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ [البلد: ٨-٩] والشفة كما هو معلوم هي مقدم الفم، وهي احد مخارج الكلام. أما العين فهي التي تبصر الأشياء والألوان وغيرها.

الشغف والشغاف

والشَّغافُ: غِلافُ القَلْب، وهو جلدة دُونَه كالحجاب وسُوَيْداؤه. وفي التهذيب: الشَّغافُ مَوْلِجُ البَلْغم، ويقال: بل هو غشاء القلب. يقال: شَغَفَه الحُبُّ يَشْغَفُه شَغْفاً وشَغَفاً: وصَل إِلى شَغافِ قلبه. وقرأ ابن عباس: ﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ [يوسف: ٣٠]، قال: دخل حُبُّه تحت الشَّغاف، وقيل: غَشَّى الحبُّ قَلْبَها، (لسان العرب).

الصدر

قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٌ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٢] وجاء بصيغة الجمع، قال تعالى: ﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٌ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ [الحشر: ١٣].

الصلب

قال تعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: ٧] وجاء بصيغة الجمع قال تعالى: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣] والصلب: عَظْمٌ من لَدُن الكاهِل إلى العَجْب، والجمع: أصلب وأَصْلاب، (والكاهل: مقَدَّم أَعلى الظهر مما يَلي العنُق وهو الثُلث الأَعلى فيه سِتُّ فِقَرات؛ وهو من الإنسان ما بين كتفيه، وقيل: هو مَوْصِل العنُق في الصُّلْب)، (والعجب هو أَصْلُ الذَّنَبِ وعَظْمُه، وهو العُصْعُصُ)؛ والصُّلْب من الظَّهْر، وكُلُّ شيء من الظَّهْر فيه فَقَارٌ فذلك الصلب، والصلب إن أصيب بشيءٍ ذَهَبَ به الجِماعُ فلم يَقْدِرْ عَلَيهِ، فَسُمِّيَ الجِماعُ صلبا، وذلك قول سعيد بن جبير: في الصلب الديةُ. (لسان العرب).

الظفر

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] قال الطبري في تفسيره: (يقول تعالى ذكره: وحرّمنا على اليهود «كل ذي ظفر»، وهو من البهائم والطير ما لم يكن مشقُوق الأصابع، كالإبل والنَّعام والإوز والبط). ونقل البغوي عن بعض المفسرين، (قال: سمي الحافر ظفرا على الاستعارة. وإنما أصل الظفر للإنسان).

الظهر

قال تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشَّرح: ٢-٣].

العضد

والعضد من الإنسان وغيره؛ الساعدُ وهو ما بين المرفق إلى الكتف. والعضد القوة لأَن الإِنسان إِنما يَقْوى بعضده فسميت القوّة به. وفي التنزيل: (سَنَشُدُّ عضدك بأَخيك)؛ قال الزجاج: أَي سنعينك بأَخيك. قال: ولفظ العضد على جهة المثل لأَن اليد قِوامُها عضدها. وكل مُعين، فهو عضد. (لسان العرب) قال تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥].

العطف

قال تعالى: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٩] قال البغوي في تفسيره: (ثَانِيَ عِطْفِهِ) أي: متبخترا لتكبره. وقال مجاهد، وقتادة: لاوي عنقه. قال عطية، وابن زيد: معرضا عما يدعى إليه تكبرا. وقال ابن جريج: يعرض عن الحق تكبرا. والعطف: الجانب، وعطفا الرجل: جانباه عن يمين وشمال وهو الموضع الذي يعطفه الإنسان أي يلويه ويميله عند الإعراض عن الشيء)، وقال ابن كثير: (وقوله: (ثَانِيَ عِطْفِهِ) قال ابن عباس وغيره: مستكبرًا عن الحق إذا دعي إليه. وقال مجاهد، وقتادة، ومالك عن زيد بن أسلم: (ثَانِيَ عِطْفِهِ) أي: لاوي عنقه، وهي رقبته، يعني: يعرض عما يدعى إليه من الحق استكبارًا). وقال السعدي: (ومع هذا (ثَانِيَ عِطْفِهِ) أي: لاوي جانبه وعنقه، وهذا كناية عن كبره عن الحق، واحتقاره للخلق، فقد فرح بما معه من العلم غير النافع، واحتقر أهل الحق وما معهم من الحق، (لِيُضِلَّ) الناس، أي: ليكون من دعاة الضلال) ويدخل تحت هذا جميع أئمة الكفر والضلال.

العقل

العقل: الحِجْر والنُّهى ضِدُّ الحُمْق، والجمع عُقولٌ. ويقال: رَجُل عاقِلٌ وهو الجامع لأمره ورَأْيه، مأْخوذ من عقلت البَعيرَ إذا جَمَعْتَ قوائمه، وقيل: العاقِلُ الذي يَحْبِس نفسه ويَرُدُّها عن هَواها. والعقل التَّثَبُّت في الأُمور. ويقال: العقل: القَلْبُ، والقَلْبُ العقل، وسُمِّي العقل عقلا لأَنه يعقل صاحبَه عن التَّوَرُّط في المَهالِك أَي يَحْبِسه، وقيل: العقل هو التمييز الذي به يتميز الإِنسان من سائر الحيوان، ويقال: لِفُلان قَلْبٌ عَقُول، ولِسانٌ سَؤُول، وقَلْبٌ عَقُولٌ اي فَهِمٌ؛ وعقل الشيءَ يعقله عقلا أي فَهِمه. (الباحث: لسان العرب). قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

العظم

والعظم: هو الذي عليه اللحمُ من قَصَبِ الحيوانِ، والجمع أعظم وعِظامٌ. وسمِّي بذلك لقوّته وشِدّته. قال تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ [القيامة: ٣] وذلك أن العظم إذا رم وبلي صار ترابا، والله سبحانه الذي أنشأه أول مرة قادر على أن يعيده إلى حاله من القوة والشدة.

العقب

والعقب من كُلِّ شيءٍ، وعاقِبتُه، وعاقِبُه، آخِرُه؛ ويجمعُ على: عَواقِبُ وعقب. وعُقْبانُ، والعقبى: العاقبةِ، قال تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا﴾ [الشمس: ١٥] قال ثعلب: معناه لا يَخافُ اللّهُ، عز وجل، عاقِبةَ ما عَمِلَ أَن يَرجعَ عليه في العاقبةِ. وعقب القَدَم مؤَخَّرُها، وهي مؤنثة، وتجمع على أعقابٌ، وفي الحديث: وَيْلٌ للعقب من النار، ووَيْلٌ للأَعْقابِ من النار؛ وهذا يَدُلُّ على أن المَسْحَ على القَدَمَيْن غيرُ

جائز، وأنه لا بد من غَسْلِ الرِّجْلَيْن إلى الكَعْبين، لأنه، ﷺ، لا يُوعِدُ بالنار، إلا في تَرْكِ العَبْد ما فُرِضَ عليه، وهو قَوْلُ أَكثرِ أَهلِ العلم. قال ابن الأَثير: وإِنما خَصَّ العقب بالعذاب، لأَنه العُضْوُ الذي لم يُغْسَلْ، وقيل: أَراد صاحبَ العقب، فحذف المضاف؛ وإِنما قال ذلك لأَنهم كانوا لا يَسْتَقْصُون غَسْلَ أَرجلهم في الوضوءِ. (الباحث: لسان العرب) وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] والمقصود رجعتم كفارا.

الفؤاد

والفؤاد: القلبُ لِتَفَوُّدِه وتوقُّدِه، وهو مذكر لا غير؛ يكون ذلك لنوع الإِنسان وغيره من أَنواع الحيوان الذي له قلب وقيل: وسَطُه، وقيل: غِشاءُ القلبِ، وقيل: حبته وسُوَيْداؤُه؛ ويجمع على أفئدة وفي الحديث: أَتاكم أَهلُ اليمن هم أَرقُّ أَفئِدةً وأَلْيَنُ قلوباً. (لسان العرب) قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ١٠] يقول تعالى مخبرًا عن فؤاد أم موسى، حين ذهب ولدها في البحر، إنه أصبح فارغًا، أي: من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى. قاله ابن عباس، وعدد من التابعين. (إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ) أي: إن كادت من شدة وجدها وحزنها وأسفها لَتُظهر أنه ذهب لها ولد، وتخبر بحالها، لولا أن الله ثبَّتها وصبَّرها، (التفاسير).

الفم

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

القلب

والقلب: مُضْغةٌ من الفُؤَاد مُعَلَّقةٌ بالنِّياطِ. وقيل: القلب: الفُؤَاد، والجمع: قُلوبٌ، وقد يعبر بالقلب عن العَقْل، قال الفراءُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧].

أَي عَقْلٌ. وقال: وجائزٌ في العربية أن تقولَ: ما لَكَ قلب، وما قلبك معك؛ تقول: ما عَقْلُكَ معكَ، وأَين ذَهَبَ قلبك؟ أَي أَين ذهب عَقْلُكَ؟ وقال غيره: لمن كان له قلب أَي تَفَهُّمٌ وتَدَبُّرٌ. وقال بعضهم: سُمِّي القلب قلب لتقلبه وأنشد:

ما سُمِّيَ القلب إِلاَّ مِنْ تقلبه والرَّأْيُ يَصْرِفُ بالإِنْسان أَطْوارا

وروي عن النبي ﷺ «أتاكم أهل اليمن، هم ارق قلوبا والين أفئدة»، فوصف القلوب بالرقة والأفئدة باللين، وكأن القلب اخص في الاستعمال من الفؤاد. ولذلك قالوا: أَصَبْتُ حَبَّةَ قلبه، وسُوَيْداءَ قلبه. وقلب كلّ شيءٍ: لُبُّه، وخالِصُه، ومَحْضُه؛ تقول: جِئْتُك بهذا الأَمرِ قلبا: أَي مَحْضاً لا يَشُوبُه شيءٌ. وفي الحديث: «إِن لكلِّ شيءٍ قلبا، وقلب القرآن يس» (الباحث: لسان العرب) وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

القبضة

والقبضة: ما أَخذت بِجُمْعِ كفِّك كله، والقبض التناوُلُ للشيءِ بيدك مُلامَسةً. وقبَضَ على الشيء وبه يَقْبِضُ قَبْضاً: انْحَنى عليه بجميع كفه. واليد مجموعة معها الأصابع تسمى أيضا القبضة. قال تعالى: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ

قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾ [طه: ٩٦] وقال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزُّمَر: ٦٧].

القدم

قال تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾ [الرحمن: ٤١].

الكف واليد والمرفق والرجل والكعب

واليد معروفة وهي أداة المناولة والقبض والبطش والعمل. والمرفق من الإنسان والحيوان هو مكان اتصال الذراع بالعضد (لسان العرب). والرجل معروفة وهي أداة المشي والسعي. والكعب قيل: العظمُ لكل ذي أَربع. وقيل: كلُّ مَفْصِلٍ للعظام. وكعب الإِنسان: ما أَشْرَفَ فوقَ رُسْغِه عند قَدَمِه؛ وقيل: هو العظمُ الناشزُ فوق قدمِه؛ وقيل: هو العظم الناشز عند مُلْتَقَى الساق والقَدَمِ. وقيل: الكعبان: من الإِنسان العظمانِ الناشزان من جانبي القدم. وفي حديث الإِزارِ: ما كان أَسْفَلَ من الكعبين ففي النار. قال ابن الأَثير: الكعبان العظمان الناتئان، عند مَفْصِلِ الساقِ والقَدم، عن الجنبين، ويجمع على: أكعب وكُعُوبٌ وكِعابٌ. (لسان العرب) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة: ٦] والكف: باطن اليد. قال تعالى: ﴿كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ﴾ [الرعد: ١٤].

اللسان

واللسان: هو جارحة الكلام، قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ [القيامة: ١٦].

اللب

لُبُّ كلِّ شيءٍ، ولُبابُه: خالِصُه وخِيارُه، وقد غَلَبَ اللب على ما يؤكل داخلُه، ويُرْمى خارجُه من الثَّمر. ولُبُّ الرَّجُل: ما في قَلْبه من العَقْل. واللب العَقْلُ، والجمع أَلبابٌ وأَلْبُبٌ؛ قال الكُمَيْتُ:

إِلَيكُمْ، بني آلِ النبيِّ تَطَلَّعَتْ   نَوازِعُ من قَلْبي ظِماءٌ، وأَلْبُبُ

ويقال: رجل لَبيبٌ أي عاقِلٌ ذو لُبٍّ، وقال ابن الأَعرابي: اللب الطاعةُ، وأَصله من الإِقامة. وقولهم: لَبَّيْكَ، اللب واحدٌ، فإِذا ثنيت، كان في الأَصل لَبَّيْنِكَ أَي أَطَعْتُكَ مرتين، ثم حُذِفَت النون للإِضافة أَي أَطَعْتُكَ طاعةً، وزعم الخليل أَنها تثنية، كأَنه قال: كلما أَجَبْتُكَ في شيءٍ، فأَنا في الآخر لك مُجِيبٌ. والتَّلْبيبُ: هو مَجْمَعُ ما في موضع اللبب من ثياب الرجل. أي إمساكه من ثيابه من قبل صدره. (الباحث: لسان العرب). وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩] أي يا أصحاب العقول.

النطفة والعلقة والمضغة واللحم

والنطفة: قيل: الماء القليل يَبقى في القِربة أو الدلو، وقيل: هي الماء الصافي، قلَّ أو كثر، والجمع نطف ونِطاف، وقد فرق الجوهري بين هذين اللفظين في الجمع فقال: النطفة: الماء الصافي، والجمع النِّطاف، والنطفة ماء الرجل، والجمع نطف.

والعلق: الدم، وقيل: هو الدم الجامد الغليظ، وقيل: الجامد قبل أن ييبس، وقيل: هو ما اشتدت حمرته، والقطعة منه علقة. وفي التنزيل: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [المؤمنون: ١٤] ومنه قيل لهذه الدابة التي تكون في الماء علقة لأنها حمراء

كالدم، وكل دم غليظ علق، والعلق: دود أسود في الماء معروف، الواحدة علقة.

والمضغة: القِطْعةُ من اللَّحم، وفي التهذيب: إذا صارت العَلَقة التي خُلِقَ منها الإنسان لَحْمة فهي مضغة. والمضغ جمع مضغة، وهي القطْعة من اللحم قدر ما يمضغ وسمّاها مضغا على التشبيه بمضغة الإنسان في خلْقه، يَذْهبُ بذلك إلى تَصْغيرها وتَقْليلها. ومضغ الأُمور: صِغارُها، وكلاهما من المضغ. وفي الحديث: «إن خلق أَحدكم يجمع في بطن أُمه أَربعين يوماً نطفة، ثم أَربعين يوماً عَلَقَة، ثم أَربعين يوماً مضغة، ثم يبعث الله إليه الملَك».

واللحم: هو لب الشيء، حتى قالوا إن لحم الثمر: لبه، ويجمع على ألحم ولحوم ولحمان ولحام. (الباحث: لسان العرب) قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

الناصية

«**الناصية**»: هي شعر مقدم الرأس قال تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥].

الوجه

قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤].

الوريد

والوريد يجمع على أوردة، وهي الأوعية الدموية التي يعود من خلالها الدم

من مختلف أنحاء الجسم إلى القلب، وهي نوعان، السطحية وتقع خلف الجلد مباشرة، ويمكن رؤيتها بسهولة على سطح الجلد، والعميقة في العضلات ولا يمكن رؤيتها، وعليه فالأوردة تنتشر في كل أنحاء الجسم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

الوتين

الوتين: عِرْقٌ في القلب إذا انقطع مات صاحبه؛ (الباحث: لسان العرب) وفي التشريح: الوتين هو الشريان الكبير الذي يصعد من الجانب الأيسر للقلب، ويمر عبره الدم إلى كل أجزاء الجسم، باستثناء الرئتين، اللتين تزودان بالدم بواسطة نظام آخر. ويعرف بالشريان الأورطي. قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٦].

أطوار حياة الإنسان

خلق الله سبحانه الخلق وبرأهم من العدم على غير مثال سابق، وصورهم فأحسن تصويرهم قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤] وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، (فالله سبحانه وتعالى وتقدَّس هو الخالِقُ والخَلاَّقُ، وهو الذي أوجد الأَشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة، وأَصل الخلق التقدير، والخَلْقُ في كلام العرب: ابتِداع الشيء على مِثال لم يُسبق إليه: وكل شيء خلَقه الله فهو مُبْتَدِئه على غير مثال سُبق إليه. (الباحث: لسان العرب). وكان من مشيئته سبحانه أن جعلهم من نفس واحدة، هي نفس ادم عليه السلام، ثم خلق منه زوجه حواء، وجعل بينهما مودة ورحمة قال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[الزُّمَر: ٦] وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ

أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١] ثم خلق سبحانه من الأزواج البنين والحفدة، وهم الأبناء وأبناء الأبناء قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل: ٧٢] ثم ذرأهم في الأرض ليعمروها إلى اجل مسمى وليعملوا بما أمرهم وبما شرع لهم، حتى إذا جاء الأجل ردهم إليه فوفاهم أجورهم، كل بما عمل وقدم. قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [النحل: ١١١]. ومن عظيم صنعه سبحانه أن جعل حياة الإنسان أطوارا لتدل على عظمته وقدرته سبحانه ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤]. قال جل من قائل: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤] وقد فصل سبحانه تلك الأطوار وبينها في كتابه الكريم لتدل على عظيم إعجازه ودقة صنعته. وسنعرضها كما وردت مستدلين عليها بالآيات الكريمة وهي بحسب زمان تخلقها:

المني والنطفة

النطفة لغة هي: الماء القليل يَبقى في القِربة أو الدلو، وقيل: هي الماء الصافي. واصطلاحا هي: ماء قليل في صلب الرجل من منيّ. والمني: مشَدّد: ماء الرجل، يُقَدَّر الله منه خِلْقَتُه. قال ابن كثير (التفسير): ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة: ٣٧] (أي: أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين، يمنى أي يراق من الأصلاب في الأرحام). ويقابل ماء الرجل ماء المرأة، وهو البويضة، فإذا التقيا في الرحم اتحدا فصارا دما هو العلقة قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [القيامة: ٣٨] قال الطبري: (وقوله: (ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً): ثم كان دما من بعد ما كان نطفة)، فإذا قدر سبحانه فيهما

الحياة ونفخ الروح سواهما، ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٩]، اي خلق بعضهم ذكورا وبعضهم اناثا.

العلقة

والعلق: الدم، وقيل: هو الدم الجامد الغليظ، وقيل: الجامد قبل أن ييبس، وقيل: هو ما اشتدت حمرته، والقطعة منه علقة. وفي التنزيل: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [المؤمنون: ١٤] وكل دم غليظ علق، وفي حديث ابن مسعود قال: (حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»)... الحديث. (رواه البخاري برقم٦٦٧٤) و(رواه مسلم برقم ٦٨٩٣) واللفظ له. فإذا قدر الله سبحانه لتلك العلقة أن تتخلق، جمعت أربعين يوما تنقسم وتتكاثر وتكبر، فيقدر سبحانه بمشيئته لها ما تكون؛ ذكرا أم أنثى.

المضغة

والمضغة: القِطْعةُ من اللَّحم، وفي التهذيب: إِذا صارت العَلَقة التي خُلِقَ منها الإِنسان لَحْمة فهي مضغة. والمضغ جمع مضغة، وهي القطْعة من اللحم قدر ما يمضغ وسمّاها مضغا على التشبيه بمضغة الإِنسان في خلْقه، يَذْهبُ بذلك إلى تَصْغيرها وتَقْليلها. فإذا مر على العلقة أربعين يوما أخرى، وقدر سبحانه لها الحياة، صارت مضغة تستمر في النمو والكبر، قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ [المؤمنون: ١٤] وبذلك تكون النطفة قد جمعت أربعين يوما، ثم

علقة أربعين يوما، ثم مضغة أربعين يوما، وتلك أربعة أشهر، فعند ذلك يرسل إليها الملك، كما في الحديث الشريف، فان كانت كتبت لها الحياة، تخلق فيها العظم لتستمر في النمو والكبر، قال تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ [المؤمنون: ١٤] وان كان غير ذلك انتهت حياتها فتنزل سقطا قال تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥].

العظم واللحم

واللحم: هو لب الشيء، حتى قالوا إن لحم الثمر: لبه، ويجمع على ألحم ولحوم ولحمان ولحام. (الباحث: لسان العرب). فإذا قدر للمضغة الحياة ولم تنزل سقطا كما قلنا، بدأ تخلق العظم، قال تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾ [المؤمنون: ١٤] ثم كسي العظم لحما، فصار خلقا آخر، وبدأت تظهر عليه معالم الإنسانية، وشعرت المرأة بالحركة في رحمها قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٤].

الجنين

والخلق الآخر هو ما يقر في الأرحام وهو الجنين قال تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الحج: ٥] وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [النجم: ٣٢] ويستمر الجنين في بطن أمه ما شاء الله له أن يستمر، فان قدرت له الحياة على ما أراد الله سبحانه، ونزل الملك بالكلمات الأربع كما في

الحديث الشريف: («ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»). إذا قدر الله سبحانه ذلك وأتمه، استمر الحمل على ذلك إلى تسعة أشهر وهي فترة حمل المرأة، حتى يقدر سبحانه الولادة، فيخرج الجنين من بطن أمه عند تمامها، وقد يقدر له أن يخرج قبل ذلك، ابن سبعة أو ابن ثمانية، وقد يزيد على التسعة أياما، ولكن متوسط ذلك تسعة أشهر، وبيده سبحانه تقدير ذلك لا يزيد ولا ينقص عما قدره إلا بإذنه. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

الطفولة المبكرة (في المهد)

إذا خرج الجنين من بطن أمه سمي طفلا، وبقي على تلك التسمية عرفا حتى سن البلوغ، اي إذا بلغ الحلم، مبلغ الرجال. ولكن الطفولة تنقسم إلى قسمين: الطفولة المبكرة وهي سني المهد التي يكون فيها الطفل عاجزا عن الوقوف والمشي، ويحتاج فيها للرعاية الفائقة قال تعالى: ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥] وتلك الفترة في العادة من السنتين إلى الثلاث. قال تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

الطفولة المتقدمة (الصبا)

ثم تأتي مرحلة الطفولة المتقدمة، وفيها يسمى الطفل صبيا، قال تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢] وقوله سبحانه: (وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) يقول تعالى ذكره: وأعطيناه الفهم لكتاب الله في حال صباه

قبل بلوغه أسنان الرجال. والطفولة المبكرة هي سن السعي، وذلك أن الصبي فيها يستطيع القيام بأمر نفسه، بل يستطيع مساعدة والديه في أمور الحياة السهلة غير الشاقة قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ﴾[الصافات: ١٠٢] قال الطبري: (وقوله (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) يقول: فلما بلغ الغلام الذي بشر به إبراهيم مع إبراهيم العمل، وهو السعي، وذلك حين أطاق معونته على عمله).

الغلمة والبلوغ (الغلام)

والغلام: الطار الشارب، وهو الصبي من حين يولد إلى أن يقارب البلوغ (قاموس المحيط) قال ابن الأعرابي: يقال للغُلام مُراهِق ثم مُحْتَلم، (الباحث: لسان العرب) قال تعالى في قصة يوسف: ﴿قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞ﴾ [يوسف: ١٩] وقال سبحانه: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾[الصافات: ١٠١] والصبي إذا بلغ فقد دخل في سن الشباب، وظهرت عليه الغلمة، وهي ميل كل جنس من الذكور للإناث، والإناث للذكور، وهو سن الفتوة والقوة، فصار بذلك قادرا على تحمل أعباء الحياة كغيره من الرجال. قال تعالى: ﴿ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ﴾ [الحج: ٥]، وبالاجمال تقسم الطفولة الى مبكرة، قبل التمييز وهي سن السابعة او ما حولها، حيث يؤمر الصغير بالصلاة، ذكرا كان ام انثى، ومنها مرحلة المهد واللعب. ثم الطفولة المتقدمة ما بعد السابعة الى ما قبل المراهقة في العاشرة او ما حولها، حيث يضرب على الصلاة، تليها المراهقة وتستمر الى سن البلوغ نحو الخامسة عشرة، ثم مرحلة الغلمة والبلوغ، وهي سن التكليف. والعرب قديما كانوا يسمون الذكر في تلك المراحل غلاما، والانثى جارية. وسن التمييز هو سن الدرس والتعلم يستمر الى سن الشباب وما بعده، ومن الجدير بالذكر ان لا حدود زمنية قاطعة لتلك المراحل، وانما هي تقديرات واصطلاحات متعارف عليها.

الشباب والرجولة

قلنا أن الإنسان إذا بلغ مبلغ الرجال دخل سن الشباب وهو سن القوة وبلوغ الأشد، ويستمر ذلك السن حتى يبلغ ذروته في سن الأربعين قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾ [الأحقاف: ١٥] وتلك الفترة من عمر الإنسان هي زهرة حياته، والسعيد السعيد من عمل فيها لآخرته، وأطاع ربه وجاهد شبابه وشيطانه، فان الشيطان في تلك السن يعمل بكل طاقته على أن يغتر الشاب بقوته وصحته وشبابه، فيعمل على إغواءه وإبعاده عن الطريق السوي، طريق الله سبحانه، فيزين له المعاصي والذنوب ويمنيه الأماني، فاحرص أيها الإنسان الضعيف أمام الله سبحانه، على أن يجدك حيث أمرك، واحذر أن يجدك حيث نهاك.

الكهولة

الكهل: الرجل إذا وَخَطه الشيب ورأيت له بَجالةً، وفي الصحاح: الكهل من الرجال الذي جاوَز الثلاثين ووَخَطَه الشيبُ. وقال ابن الأَثير: الكهل من الرجال من زاد على ثلاثين سنة إِلى الأَربعين، وقيل: هو من ثلاث وثلاثين إِلى تمام الخمسين؛ وقد اكْتَهَلَ الرجلُ وكاهَلَ إِذا بلغ الكُهولة فصار كهلا، وقيل: الكهولة سن الحلم والعقل. ويقال للرجل إذا اتصلت لحيته (مجتمع) ثم (كهل) بعد ذلك وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة؛ قال الأَزهري: وقيل له كهل حينئذ لانتهاء شَبابه وكمال قوَّته (لسان العرب) قال تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٦] قيل في التفاسير: يكلم الناس مرتين، الأولى في المهد، لتبرئة أمه عليها السلام، وتلك معجزته الأولى. ويكلمهم الثانية كهلا عندما ينزله الله سبحانه في آخر الزمان على دين محمد عليهما أفضل الصلاة والتسليم، وتلك معجزة ثانية، والله اعلم.

الشيخوخة

الشيْخُ: الذي استبانتْ فيه السن وظهر عليه الشيبُ؛ وقيل: هو شَيْخٌ من خمسين إِلى آخره؛ وقيل: هو من إِحدى وخمسين إِلى آخر عمره؛ وقيل: هو من الخمسين إِلى الثمانين، والجمع أَشياخ وشِيخانٌ وشُيوخٌ ومَشايخُ، (الباحث: لسان العرب). قال تعالى: ﴿ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا﴾ [غافر: ٦٧].

الهرم

الهَرَم: أقْصى الكِبَر، ويقال رجل هَرِمَ، بالكسر، يَهْرَمُ هَرَماً ومَهْرَماً، من رجال هَرِمينَ وهَرْمَى، والأُنثى هَرِمةٌ. (الباحث: لسان العرب). والهرم سن الشيخوخة المتقدمة وما بعده إلا الموت، وفيه قد يضعف العقل والإدراك والتمييز، قال تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٥]، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٨]، اي نغير في خلقه، فمن نضارة الشباب وعنفوانه وقوته، الى ترهل الهرم من انكماش الجلد وانحناء الظهر وضعف السمع والبصر وما الى ذلك من اعراض الشيخوخة والهرم.

الموت

بين الله سبحانه ما يعتري الإنسان في مراحل حياته من أحوال فقال تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤] فالإنسان يخلق ضعيفا ثم يعطيه سبحانه القوة في صباه وشبابه، ثم تضعف قوته في شيخوخته وهرمه. وقد كتب سبحانه على عباده الموت

وقهرهم به، ولم يجعل لأحد الخلد في دنياه قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤-٣٥] وقد جعل سبحانه الموت من الغيبيات التي لم يطلع عليها أحدا من خلقه، واستأثر به في علم الغيب عنده قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤] فالموت قد يأتي الصغير والكبير بأمر الله سبحانه وفي الوقت الذي قدره سبحانه قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧] فإذا قدر سبحانه الموت وقع في وقته لا يتقدم ولا يتأخر قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

وقد جعل سبحانه الموت على صورتين، الأولى موت مؤقت غير دائم، وذلك في حالة النوم الذي يشبه الموت، وتعود الروح إلى الجسد بعده عند اليقظة إلى اجل مسمى، والثانية الموت الدائم الذي يمسك فيه سبحانه الروح عنده إلى اجل مسمى، حتى يعيدها إلى الجسد عند البعث يوم الحساب قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزُّمَر: ٤٢] وفي الحالين يمسك سبحانه النفس، ثم يرسلها إلى اجل مسمى مقدر عنده.

العقم

قلنا أن الله سبحانه لما خلق ادم عليه السلام خلق له من نفسه زوجا يسكن إليها، وشرع لهما الزواج ليكون منهما نسل يعمر هذه الأرض كما قدر سبحانه. ومن حكمته سبحانه التي لا يعلمها إلا هو، انه أعطى البعض منهم القدرة على التناسل فجعل منهم البنين والحفدة قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ ﴾[النحل: ٧٢] وجعل هؤلاء البنين أجناسا، فمن الناس من أعطاه الذكور دون الإناث، ومنهم من أعطاه الإناث دون الذكور، ومنهم من زوج له الأبناء فأعطاه ذكورا وإناثا قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗا﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠].

وكذلك من الناس من لم يقدر له الإنجاب فجعله عقيما قال سبحانه: ﴿وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ﴾ [الشورى: ٥٠] فهو سبحانه عليم بما يكون من خلقه قدير على أن يصورهم كيف شاء جلت قدرته.

البرزخ

البرزخ: ما بين كل شيئين، وفي الصحاح: الحاجز بين الشيئين. والبرزخ: ما بين الدنيا والآخرة قبل الحشر من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ. وهو حاجز خفي بين الموت والبعث، وهو أمر غيبي لا يعلم كنهه ولا ماهيته ولا ما يحدث فيه الا الله، قال سبحانه ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

وفيه يرى المؤمن ما قدر الله له من الحفاوة والتكريم، فيوسع له في قبره ويرى

منزله من الجنة، ويجعل قبره روضة من رياض الجنة فتطمئن نفسه، ويستبشر بما عند الله من الرحمة والرضى وحسن الجزاء. أما الكافر فيجعل قبره قطعة من نار جهنم، فيلقى فيه من صنوف العذاب ما يستحقه من الاهانة والتحقير جزاء كفره وعصيانه.

والبرزخ والحاجز والمُهْلَة متقاربات في المعنى، وذلك أنك تقول بينهما حاجزٌ أن يَتزاوَرا، فتنوي بالحاجز المسافةَ البعيدة، وتنوي الأَمر المانع مثل اليمين والعداوة، فصار المانع في المسافة كالمانع من الحوادث، قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩-٢٠]، وقال سبحانه: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾[الفرقان: ٥٣].

(يقول تعالى ذكره: والله الذي خلط البحرين، فأمرج أحدهما في الآخر، وأفاضه فيه. وأصل المرج الخلط، ثم يقال للتخلية مرج؛ لأن الرجل إذا خلى الشيء حتى اختلط بغيره، فكأنه قد مرجه، وقوله (هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ) الفرات: شديد العذوبة، يقال: هذا ماء فرات: أي شديد العذوبة وقوله (وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) يقول: وهذا ملح مرّ، يعني بالعذب الفرات: مياه الأنهار والأمطار، وبالملح الأجاج: مياه البحار. وعن مجاهد (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا) قال: البرزخ أنهما يلتقيان فلا يختلطان، وقوله (حِجْرًا مَحْجُورًا): أي لا تختلط ملوحة هذا بعذوبة هذا، لا يبغي أحدهما على الآخر). (تفسير الطبري). ونحن نرى كيف ان الانهار التي تصب في البحار المالحة يدخل ماءها العذب في البحر مسافة لا يختلط بمائها المالح، فسبحان الله ما اعظمه، وما اتم قدرته، وما اجل شأنه.

القسم الخامس

الحيوانات في القران الكريم

لما خلق الله سبحانه آدم وانزله إلى الأرض ليعمرها، خلق معه فيها أنواعا من الخلائق، منهم الحي ومنهم الجامد وسخرهم جميعا لخدمته، وجعلهم عونا له في عمارة الأرض، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠] كذلك حفظ سبحانه الإنسان من الحوادث الجسام ومن الفناء أو الزوال إلا أن يشاء ذلك سبحانه بإذنه قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥].

وكل ما في الأرض من خلق الله من دواب وزروع ومعادن وماء وما شاء مما نعلم ومما لا نعلم من الخلق جعلهم سبحانه فئات وأمما قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقد سخر سبحانه للخلق أرزاقهم وأقواتهم، ويسرها لهم، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦]. ثم إن الله قد جعل تلك الأجناس على إشكال وهيئات مختلفة، وجعل لها مساكن تناسب حياتها ومصدر رزقها. فجعل منها ما يناسب حياته العيش على اليابسة، ومنهم ما يناسب حياته العيش في الماء، ومنهم ما جعل السماء له أسلوب حياة، فسبحان من خلق كل شيء ويسر له ما يناسبه

من مظاهر الحياة، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [النور: ٤٥] كما جعلهم سبحانه إشكالا وألوانا، فجعل منهم الأبيض والأسود وما بين ذلك، وما غير ذلك، ومنهم من يمشي مستقيما على رجلين كالانسان والطيور، ومنهم من يدب على أربع كالحيوانات عامة، ومنهم من يزحف على بطنه كعامة الزواحف واهمها الثعابين، ومنهم من يطير بجناحين كالطيور، ومنهم غير ذلك، كما جعل منهم الكبير المفرط الكبر كالحيتان والفيلة، والمتوسط الهيئة والحجم كعامة الحيوانات، والصغير والمتناهي الصغر كالحشرات والديدان والنمل وغيرها، فسبحان الله القادر على كل شيء قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾[فاطر: ٢٨] وقد عرضت في الصفحات السابقة للجمادات، وسأعرض الآن لأنواع الحيوانات مقسمة إلى مجموعات، مع إثبات الدليل عليها من الكتاب الكريم. مع ما يتيسر لي من الحديث الشريف في توضيح معانيها وبالله التوفيق.

الدواب والأنعام

وهما اسمان جامعان، يجمعان الكثير من الأنواع، فالحشرات، والبهائم، والإنعام، والدواب ما يعيش منها في البر أو البحر أو في جو السماء، وما كان مستأنسا أو بريا وحشيا، كلها دواب. والواحد منها دابة، (والدَّابَّة: اسمٌ لما دَبَّ أو مشى على الأرض من الحَيَوان، مُمَيِّزةً وغيرَ مُمَيِّزة. والدابَّة: التي تُرْكَبُ؛ قال: وقَدْ غَلَب هذا الاسْم على ما يُرْكَبُ مِن الدَّوابِّ، وهو يَقَعُ عَلى المُذَكَّرِ والمُؤَنَّثِ. والأنعام وواحدها النعم، قال ابن الأَعرابي: النعم الإبل خاصة، والأنعام: الإبل

والبقر والغنم. والعرب إذا أَفردت النَّعَم لم يريدوا بها إلا الإبل، فإذا قالوا الأنعام أرادوا بها الإبل والبقر والغنم)، (الباحث: لسان العرب). ومنها ما هو للركوب، أو لنقل الأحمال، أو الزينة، ومنها ما يكون طعاما، أو فرشا، أو أثاثا. بعد ذبحه، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥-٨].

الإبل (الجمال)

الناقة والبعير

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] والناقة هي الأنثى من الإبل. قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: ٦٤] والبعير هو الذكر من الإبل. قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٢].

البحيرة

قال ابن كثير: (روى البخاري: عن سعيد بن المسيَّب قال: «البحيرة»: التي يُمْنَعُ درّها للطواغيت، فلا يَحْلبها أحد من الناس). وقال الطبري: و«البحيرة» الفعيلة من قول القائل: «بَحَرْت أُذن هذه الناقة»، إذا شقها، «أبحرُها بحرًا»، والناقة «مبحورة»، ثم تصرف «المفعولة» إلى «فعيلة»، فيقال: هي بحيرة. ثم قال: حدثنا عبد

الحميد بن بيان قال، أخبرنا محمد بن يزيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن أبيه قال: دخلت على النبي ﷺ، فقال له النبي ﵇: (أرأيت إبلك ألست تنتجها مسلَّمةً آذانُها، فتأخذ الموسى فتجْدَعها، تقول: «هذه بحيرة»، وتشق آذانها، تقولون: «هذه صَرْم»؟ قال: نعم! قال: فإن ساعدَ الله أشدّ، وموسَى الله أحدَ! كلّ مالك لك حلالٌ، لا يحرَّم عليك منه شيء)). قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

البدن

قال ابن كثير: (قال عطاء في قوله: (وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ)، قال: البقرة، والبعير. وكذا رُوي عن ابن عمر، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري. وقال مجاهد: إنما البدن من الإبل. ثم قال: قلت: أما إطلاق البَدَنة على البعير فمتفق عليه، واختلفوا في صحة إطلاق البدنة على البقرة، على قولين، أصحهما أنه يطلق عليها ذلك شرعا كما صح في الحديث). وفي اللسان: (والبدنة من الإبلِ والبقر: كالأُضْحِيَة من الغنم تُهْدَى إلى مكة، الذكر والأُنثى في ذلك سواء؛ وقال الجوهري: البدنة ناقةٌ أَو بقرةٌ تُنْحَرُ بمكة، سُمِّيت بذلك لأَنهم كانوا يُسَمِّنونَها، والجمع بُدُنٌ وبُدْنٌ)، وقال الطبري: (والبدن: هو الضخم من كلّ شيء، ولذلك قيل لامرئ القيس صاحب الخورنق، والسدير البَدَن: لضخمه واسترخاء لحمه). قال تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ [الحج: ٣٦].

ألحام

قال ابن كثير: (و«ألحام»: فحل الإبل يَضربُ الضرّابَ المعدود، فإذا قضى ضرابه وَدَعُوه للطواغيت، (اي تركوه ووقفوه عليها) وأعفوه عن الحَمْل، فلم يُحْمَل عليه شيء، وسَمّوه الحامي) من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ. رواه

البخاري، قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

السائبة

قال ابن كثير: (و«السائبة»: كانوا يسيبونها لآلهتهم، لا يحمل عليها شيء ـ ثم قال: قال البخاري: حدثنا محمد بن أبي يعقوب أبو عبد الله الكِرْماني، حدثنا حسان بن إبراهيم، حدثنا يونس، عن الزهري، عن عُرْوَة؛ أن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جَهَنَّم يَحْطِمُ بعضها بعضًا، ورأيت عَمْرًا يجر قُصْبه، وهو أول من سيب السوائب». (تفرد به البخاري). يقصد عمْرَو بن عامر الخزاعي. قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

العشار

قال الطبري: (والعشار: جمع عشراء، وهي التي قد أتى على حملها عشرة أشهر. واحدها عُشَراء، ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع) قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ﴾ [التكوير: ٤].

الوصيلة

قال ابن كثير: (و«الوصيلة»: الناقة البكر، تُبَكّر في أول نتاج الإبل، ثم تُثَنّي بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم، إن وصلت إحْدَاهما بالأخرى ليس بينهما ذكَر). من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ. رواه البخاري، قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

الركاب

والركاب: المَطِيّ، وهي الإِبِلُ التي تَحْمِلُ القومَ، وهي ركاب القوم إِذا حَمَلَتْ أَوْ أُرِيدَ الحَمْلُ عليها، الواحدةُ راحلةٌ؛ ولا واحد لها من لفظها، والجمع الرُكُبُ بالضم. قال ابن شميل، في كتابِ الإِبِل: (الإِبِلُ التي تُخْرَجُ لِيُجاءَ عليها بالطَّعامِ تسمى ركابا، حِين تَخْرُج وبعدَما تَجِيءُ، والتي يُسافَرُ عليها إلى مَكَّةَ أَيضاً ركاب تُحْمَل عليها المَحامِلُ، والتي يُكْرُون ويَحْمِلُونَ عليها مَتاعَ التُّجَّارِ وطَعَامَهُم، كُلُّها ركاب)، (الباحث: لسان العرب). قال تعالى: ﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ [الحشر: ٦] (وقد نزلت هذه الآية في أموال بني النضير التي صارت إلى المسلمين بغير حرب ولا قتال، فإنما هي فيء لرسول الله، لان المسلمين لم يسيروا إلى بني النضير على خيل، ولا على ركاب، بل أعطت بنو النضير أموالها لرسول الله على صلح ودون قتال، فهي بهذا كلها لله ولرسوله، وإنما الذي للمسلمين هو الغنيمة، وهي ما يأخذونه من عدوهم عنوة بعد قتال، فتلك لله ولرسوله منها الخمس، والأربعة أخماس للمسلمين). (تفسير الطبري) باختصار.

الخيول والجياد

والخيل: الخُيولُ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗ﴾ [النحل: ٨] والخَيَّالَةُ: أصحابُ الخُيولِ. والخيل: الفرسانُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ [الإسراء: ٦٤] أي بفُرسانك ورَجَّالَتِكَ. (الباحث: الصّحاح في اللغة) والخيل: جماعة الأَفراس لا واحد له من لفظه؛ وقيل واحِدُهُ: خائِلٌ، لأنه يَخْتالُ في مشيه، ويجمع على: أَخْيالٌ وخُيولٌ، (الباحث: لسان العرب). روي عن الأصمعي قال: كنتُ عند أبي عمرو بن العَلاء، وعنده غلامٌ أعرابيٌّ فسُئل أبو

عمرو: لِمَ سمِّيت الخيل خيلا؟ فقال: لا أدرِي. فقال الأعرابيُّ: لاخْتيالِها. فقال أبو عمرو: اكتُبوا. وهذا صحيحٌ؛ لأنّ المختالَ في مِشيتِه يتلوَّن في حركته ألواناً. (الباحث: مقاييس اللغة)

والجياد واحدها الجَواد: وهو الفرسُ الذّريع والسّريع، والذريع: أي سريعَ المشْي واسعَ الخَطْوة، قال تعالى: ﴿ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴾ [ص: ٣١] والخيول والجياد معروفة تستخدم للركوب وقضاء الحوائج، وفي الرياضة كالسباق والتنزه، وفي الحروب تعين على القتال قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وللخيل أسماء وصفات عدة ورد بعضها في القرآن الكريم. والذكر من الخيل يقال له الحصان والأنثى يقال لها الفرس ومن الخيل:

الصافنات

قال الطبري: (والصافنات: جمع الصافن من الخيل، والأنثى: صافنة، والصافن منها عند بعض العرب: الذي يجمع بين يديه، ويثني طرف سنبك إحدى رجليه، وعند آخرين: الذي يجمع يديه. وزعم الفرّاء أن الصافن: هو القائم، يقال منه: صَفَنَتِ الخيلُ تَصْفِن صُفُونًا. وقال: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: (الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ) قال: صُفُون الفرس: رَفْع إحدى يديه حتى يكون على طرف الحافر): قال تعالى: ﴿ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴾ [ص: ٣١].

العاديات

قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا﴾[العاديات: ١] قال الطبري: (اختلف أهل

التأويل في تأويل قوله: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ فقال بعضهم: عُني بالعاديات ضبحا: الخيل التي تعدو، وهي تحمحم. وروى عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ قال ابن عباس: هو في القتال). وقد قال بذلك عدد من الصحابة والعلماء والمفسرين، إلا أن غيرهم قال هي الإبل. جاء في تفسير الطبري أيضا قوله: (حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ قال: قال ابن مسعود: هي الإبل). وروى ابن جرير أيضا: عن ابن عباس قال: بينما أنا في الحجر جالس، أتاني رجل يسأل عن ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل، فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم. فانفتل عني، فذهب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو تحت سقاية زمزم، فسأله عن ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾ فقال: سألتَ عنها أحدًا قبلي؟ قال: نعم، سألت عنها ابن عباس، فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله، قال: اذهب فادعه لي ؛ فلما وقفت على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك به، والله لكانت أول غزوة في الإسلام لبدر، وما كان معنا إلا فرسان: فرس للزبير، وفرس للمقداد فكيف تكون العاديات ضبحا! إنما العاديات ضبحا من عرفة إلى مزدلفة إلى منى ؛ قال ابن عباس: فنزعت عن قولي، ورجعت إلى الذي قال علي رضي الله عنه. ثم قال ابن جرير: (وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عني بالعاديات: الخيل، وذلك أن الإبل لا تضبح، وإنما تضبح الخيل، وقد أخبر الله تعالى أنها تعدو ضبحا، والضبح: هو ما قد ذكرنا قبل. وبما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وروى عن علي رضي الله عنه: الضبح من الخيل الحمحمة، ومن الإبل: النفس.. وعن ابن عباس، قال: ما ضبحت دابة قط إلا كلب أو فرس). والله اعلم، ويقال:

ضبحت الخيلُ في عَدْوِها تضبح ضبحا: أَسْمَعَتْ من أفواهها صوتاً ليس بصهيل ولا حَمْحَمَة؛ والضبح في الخيل أظهر عند أهل العلم، (الباحث: لسان العرب).

الموريات

قال تعالى: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ [العاديات: ٢] قال الطبري في تفسيره: (قيل هي الخيل توري النار بحوافرها. قاله قتادة، وقال: هي الخيل. تهيج الحرب بين أصحابهن وركبانهن، وقال الكلبي: تقدح بحوافرها حتى يخرج منها النار. وقال آخرون: بل عني بذلك: الذين يورون النار بعد انصرافهم من الحرب. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني أبو صخر، عن أبي معاويةالبجلي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: سألني علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا* فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ فقلت له: الخيل تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل، فيصنعون طعامهم ويورون نارهم. وقال آخرون: هي الإبل حين تسير تنسف بمناسمها الحصى. فضرب بعضه بعضا، فيخرج منه النار. ثم قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالموريات التي توري النيران قدحا ؛ فالخيل توري بحوافرها، والناس يورونها بالزند، واللسان ـ مثلا ـ يوري بالمنطق، والرجال يورون بالمكر ـ مثلا ـ، وكذلك الخيل تهيج الحرب بين أهلها: إذا التقت في الحرب، ولم يضع الله دلالة على أن المراد من ذلك بعض دون بعض فكل ما أورت النار قدحا، فداخلة فيما أقسم به، لعموم ذلك بالظاهر). قلت والله اعلم.

المغيرات

قال تعالى: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ [العاديات: ٣] قال الطبري في تفسيره: (اختلف

أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: فالمغيرات صبحا على عدوّها علانية. قال: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ قال: أغار القوم بعد ما أصبحوا على عدوهم. وقال آخرون: عني بذلك الإبل حين تدفع بركبانها من «جمع» يوم النحر إلى «منى». حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن عبد الله ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ حين يفيضون من جمع. ثم قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله جل ثناؤه أقسم بالمغيرات صبحا، ولم يخصص من ذلك مغيرة دون مغيرة، فكل مغيرة صبحا، فداخلة فيما أقسم به ؛ وقد كان زيد بن أسلم يذكر تفسير هذه الأحرف ويأباها، ويقول: إنما هو قسم أقسم الله به).

المسومة

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ [آل عمران: ١٤] قال الطبري في تفسيره: (اختلف أهل التأويل في معنى «المسوَّمة». فقال بعضهم: هي الراعية. وروى: عن الحسن: «والخيل المسومة» المسرَّحة في الرّعي. وقال آخرون: «المسوّمة»: الحسان. وروى عن مجاهد في قوله: «والخيل المسومة» قال: المطهَّمة الحسان. وقال آخرون: «الخيل المسوّمة» المعلَمة وعن قتادة في قوله: «والخيل المسوّمة»، قال: شِيَة الخيل في وُجوهها). (قلت: والشية في اللغة تأتي بمعنى العلامة وهي كل لون يخالف سائر لون الشيء، كسواد في بياض أو بياض في سواد وشية الفرس لونها وأكثر ما يكون في وجهها). وقال غيرهم: «المسوّمة»، المعدّة للجهاد. عن ابن زيد قال: «والخيل المسومة»، قال: المعدّة للجهاد. قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال

بالصواب في تأويل قوله: «والخيل المسوّمة»، المعلَمة بالشِّيات، الحسان، الرائعة حسنًا من رآها. لأن «التسويم» في كلام العرب: هو الإعلام. فالخيل الحسان مُعلَمةٌ بإعلام الله إياها بالحسن من ألوانها وشِياتها وهيئاتها، وهي «المطهَّمة»، أيضًا. قال النابغة في صفة الخيل: (ويعني بالمسومات: المعلمات).

بـــضمر كالقـــداح مـــسومات عليهـــا معـــشر أشـــباه جـــن

البغال والحمير

قال تعالى: ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل: ٨] قال الطبري في تفسيره: (حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: عن قتادة (لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً) قال: جعلها لتركبوها، وجعلها زينة لكم، وكان بعض أهل العلم يرى أن في هذه الآية دلالة على تحريم أكل لحوم الخيل. وقال: حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا هشام الدستوائي، قال: ثنا يحيى بن أبي كثير، عن مولى نافع بن علقمة: أن ابن عباس كان يكره لحوم الخيل والبغال والحمير، وكان يقول: قال الله ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ [النحل: ٥] فهذه للأكل، ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا ﴾ [النحل: ٨] وهذه للركوب. جاء ذلك في اغلب التفاسير.

العير

العير: الحمار، أَيّاً كان أَهليّاً أَو وَحْشِيّاً، وقد غلب على الوَحْشِيْ، وقيل: هي قافلة الحَمِير، وكثرت حتى سميت بها كل قافلة، فكل قافلة عِيرٌ، وقيل: الإِبل التي تحمل المِيرَة، لا واحد لها من لفظها. وقيل كلُّ ما امْتِيرَ عليه من الإِبل والحَمِير

والبغال، فهو عِيرٌ؛ وقال نصيرٌ: الإِبل لا تكون عِيراً حتى يُمْتارَ عليها. وعن ابن الأَعرابي قال: العير من الإِبل ما كان عليه حملُه أَو لم يكن. (الباحث: لسان العرب). قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ ﴾ [يوسف: ٩٤].

الضأن

قال تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣] والضأن هو ما غطى جسمه الصوف، والذكر منه كبش والأنثى نعجة.

الغنم

قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٦] والغنم اسم يطلق على ما غطى جسمه الصوف كالضأن أو ما غطى جسمه الشعر كالماعز.

الماعز

قال تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣] والمعز أو الماعز ما غطى جسمه الشعر والذكر منه يسمى التيس، وولدها يسمى الجدي.

النعجة

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣] والنعجة هي الأنثى من الضأن، وولدها يسمى الحمل.

البقرة والعجل

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] والبقرة هي الأنثى من البقر، وهو أنواع كثيرة، منه المستأنس ومنه الوحشي كالجاموس وغيره. والذكر منها يسمى الثور. والعجل هو ولد البقر ويطلق على الذكر كما يطلق على الأنثى. قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦].

السباع

وهي الحيوانات البرية المتوحشة، واللاحمة منها على وجه الخصوص أي التي تقتات باللحم، ومن السباع ما هو مستأنس كالكلب، وقد احل الله اقتناءها للحراسة والرعي، واحلها للصيد. وقد يقال لها الجوارح قال أبو جعفر: (وأحل لكم أيضًا مع ذلك، صيدُ ما علّمتم من «الجوارح»، وهن الكَواسب من سباع البهائم. وقال: وذلك أن القوم، فيما بلغنا، كانوا سألوا رسول الله ﷺ حين أمرهم بقتل الكلاب، عما يحلّ لهم اتخاذه منها وصَيْده، فأنزل الله عز ذكره فيما سألوا عنه من ذلك هذه الآية. فاستثنى مما كان حرّم اتخاذه منها، وأمر بقُنْيَة كلاب الصيد وكلاب الماشية، وكلاب الحرث، وأذن لهم باتخاذ ذلك. وروى عن عكرمة: أنّ النبي ﷺ بعث أبا رافع في قتل الكلاب، فقتل حتى بلغ العَوالي، فدخل عاصم بن عدي، وسعد بن خيثمة، وعويم بن ساعدة، فقالوا: ماذا أحلَّ لنا يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤] وقد اختلف أهل التأويل في «الجوارح» التي عنى الله بقوله: «وما علمتم من الجوارح». فقال بعضهم: هو كل ما عُلِّم الصيدَ فتعلّمه، من بهيمة أو طائر. وروى عن الحسن في قوله: «وما علمتم من الجوارح مكلبين»، قال: كل ما عُلِّم

فصادَ، من كلب أو صقر أو فهدٍ أو غيره. وقال آخرون: إنما عنى الله جل ثناؤه بقوله: «وما علمتم من الجوارح مكلبين»، الكلابَ دون غيرها من السِّباع. حدثنا ابن حميد قال، حدثنا أبو تميلة قال، حدثنا عبيد، عن الضحاك: «وما علمتم من الجوارح مكلبين»، قال: هي الكلاب. ثم قال رحمه الله: وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال: «كل ما صاد من الطير والسباع فمن الجوارح، وأنّ صيد جميع ذلك حلال إذا صادَ بعد التعليم»، لأن الله جل ثناؤه عم بقوله: «وما علمتم من الجوارح مكلبين»، كلَّ جارحة، ولم يخصص منها شيئًا. فكل «جارحة»، كانت بالصفة التي وصف الله من كل طائر وسبع، فحلال أكل صيدها. وقد روي عن النبيّ ﷺ بنحو ما قلنا في ذلك. وقال: حدثنا به هناد قال: حدثنا عيسى بن يونس، عن مجالد، عن الشعبي، عن عدي بن حاتم قال: سألت رسول الله ﷺ عن صيد البازي فقال: ما أمسك عليك فَكُل. فأباح ﷺ صيد البازي وجعله من الجوارح. ففي ذلك دِلالة بيِّنة على فساد قول من قال: عنى الله بقوله: وما علمتم من الجوارح، «ما علمنا من الكلاب خاصة، دون غيرها من سائر الجوارح»). قال تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ﴾ [المائدة: ٣] وقال سبحانه: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [المائدة: ٤].

الذئب

الذِّئْبُ: كَلْبُ البَرِّ، والجمعُ أَذْؤُبٌ، في القليل، وذِئابٌ وذُؤْبانٌ؛ والأُنثى ذِئْبَةٌ، يُهْمَزُ ولا يُهْمَزُ، وأَصله الهَمْز. (الباحث: لسان العرب). قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ﴾ [يوسف: ١٣].

القسورة

قال الطبري في التفسير: (اختلف أهل التأويل في معنى القسورة، فقال بعضهم: هم الرماة. وعن ابن عباس قال: (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) قال: الرماة، وقال بعضهم في القسورة: هو الأسد قاله أبو هريرة). قلت: والراجح عندي قول من قال القسورة الأسد، ذلك أن الأسود تصطاد في الغالب جماعات، فإذا انطلقت نحو الفرائس أثارت فيها الرعب والهلع، فتنطلق فارة في كل اتجاه، مما يسهل على الأسود اختيار الفريسة الأضعف والأسهل للصيد. أما الرجال أو الرماة، فإنهم يحرصون على الكمون للصيد فلا يثيرونه، حتى يسهل عليهم التسديد والإصابة، وفي اللسان من معاني القسورة: الأسد. والله اعلم. قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدَّثر: ٥٠-٥١].

الكلب

والكَلْبُ: كُلُّ سَبُعٍ عَقُورٍ. والكَلْب، معروفٌ، واحدُ الكِلابِ؛ قال ابن سيده: وقد غَلَبَ الكلبُ على هذا النوع النابح، وربما وُصِفَ به، يقال: امرأَةٌ كَلْبة؛ والجمع أَكْلُبٌ، وأَكالِبُ جمع الجمع، والكثير كِلابٌ؛ وفي الصحاح: الأَكالِبُ جمع أَكْلُبٍ. (الباحث: لسان العرب). قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨]، والوصيد باحة البيت.

الحية والثعبان

قال تعالى: ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٢٠] والحية: الحَنَشُ المعروف،

اشتقاقه من الحياة في قول بعضهم؛ ويجوز أن يكون من التّحَوِّي لانْطوائها، والمذكر والمؤنث في ذلك سواء. على أنه قد روي عن العرب: رأيت حيا على حية أي ذكراً على أُنثى، والحيوت ذَكَر الحيات، والعرب تُذَكّر الحية وتؤنثها، فإذا قالوا الحيوت عَنَوا الحية (الباحث: لسان العرب).

والثعبان الحَيَّةُ الضَّخْمُ الطويلُ، الذكرُ خاصّةً. وقيل: كلُّ حَيَّةٍ ثعبان. وقيل: الصغير والكبير والإناث والذُّكْرانُ. وقيل: بل الثعبان الحَيَّةُ الذكَر. والجمع ثعابينُ. وقيل: الثعبان الحَيّةُ الذكرُ الأَصْفَر الأَشْعَرُ، وهو من أعظمِ الحَيّات. قال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الشعراء: ٣٢] قال الزجاج: أراد الكبيرَ من الحَيَّاتِ، فإن قال قائل: كيف جاء فإذا هي ثعبان مبين. وفي موضع آخر: ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: ١٠]؛ والجانُّ: الصغيرُ من الحيّات. فالجواب في ذلك: أنّ خَلْقَها خَلْقُ الثعبان العظيمِ، واهْتِزازُها وحَرَكَتُها وخِفَّتُها كاهْتِزازِ الجانِّ وخِفَّتِه. (الباحث: لسان العرب).

الفيل

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل: ١] وهو من آكلات الأعشاب. وله في القرآن الكريم قصة، سنوردها في باب القصص إن شاء الله.

القردة

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦] وهي آكلات أعشاب ولواحم. وهي أشكال وأحجام، منها الصغير ومنها الضخم الكبير، ومنها ماله شبه شديد بالإنسان. وقد مسخ سبحانه جماعة من بني إسرائيل قردة على ذنب ارتكبوه، فعاشوا ثلاثة أيام ثم ماتوا، وليس لهم نسل.

الحشرات

وهي أنواع كثيرة منها النافع كالنحل ودودة الحرير ـ القز ـ وغيره، ومنها الضار كالجراد والذباب. وهي بشكل عام تساعد النباتات في عملية التلقيح والتكاثر. كما تساعد في تحلل رمم الحيوانات النافقة. في التخلص منها كما يفعل النمل. وقيل: الحشرات هَوامُّ الأَرض مما لا اسم له. (الباحث: لسان العرب).

البعوض

قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦] والبعوض حشرة صغيرة طائرة ضارة، تسبب مرض الملاريا المعروف بالحمى الصفراء.

الجراد

قال تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ﴾ [الأعراف: ١٣٣] وهو أنواع، وقد أرسله سبحانه آية مع موسى عليه السلام وعذب به قوم فرعون. وهو من الحشرات الضارة التي تقضي على المزروعات، وهو معروف ومحلل أكله. فمن حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال». (سنن ابن ماجه برقم ٣٤٣٩).

دابة الأرض«الدودة»

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ [سبأ: ١٤] ومنها الأرضة ودودة الأرض وغيرها، وقد أعطاها سبحانه القدرة على تحليل المواد العضوية المتعفنة في التربة وغيرها. وهي التي أكلت عصا سليمان عليه السلام فدلت على موته.

الذباب

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣] والذباب معروف مؤذ يتكاثر على الأوساخ والمواد العفنة ويسبب الأمراض، ضربه الله مثلا للكفرة والمشركين وتحدى به الطواغيت وما يعبد من دون الله أن يخلقوا مثله، ولن يستطيعوا ولو ا اجتمعوا لذلك.

العنكبوت

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

الفراش

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤] والفراش أنواع كثيرة ألوانه زاهية. ومنه القز الذي يصنع من خيوط شرانقه الحرير الطبيعي.

القمل

قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ﴾ [الأعراف: ١٣٣] والقمل بتشديد الميم دابة صغيرة معروفة مؤذية تصيب الرأس وتسبب المرض، صغاره تسمى الصئبان. وهو أيضا مما عذب به آل فرعون لما خالفوا موسى عليه السلام وكذبوه.

النحل

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾[النحل: ٦٨]، وهو انواع كثيرة اشهره وانفعة نحل العسل، فقد سخره سبحانه لإنتاجه.

النمل

قال تعالى:﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨] والنمل أنواع وإشكال منه الكبير ومنه الصغير، وهو حشرة قمامة، يقتات على بقايا الكائنات الميتة، وورق الشجر والنباتات وغيرها، ولذلك فهو من الحشرات النافعة لنظافة البيئة.

الحوت

والحوت من دواب البحر، ذكر في القرآن الكريم مرة بالتخصيص كنوع محدد بذاته، وهو من اللبونات إلا انه يعيش في البحر؛ ذلك في قصة سيدنا يونس عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]. وذكر مرة ثانية على العموم، على انه السمك عامة، ذلك في قصة سيدنا موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ [الكهف: ٦٣].

الضفادع

قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣] والضفادع أشكال وأنواع



منه الصغير ومنه الكبير، يتكاثر في الماء ويعيش في البر، ومنه أنواع سامة، وبها أيضا عذب سبحانه آل فرعون لما كذبوا موسى عليه السلام.

الخنزير

ومنه المستأنس ومنه البري، وقد حرمه الله تعالى فلا يحل أكله ولا أكل شيء منه إلا لمن خشي على نفسه الهلاك ولم يجد غيره. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٥] وهو قمام يأكل الروث والقاذورات، كذلك هو وسيط في دورة حياة الدودة الشريطية المعروفة بالدودة الوحيدة التي تسبب بعض أمراض الجهاز الهضمي للإنسان الذي يأكل لحم الخنزير. وقد جعله الله عذابا لبعض بني إسرائيل لما عصوا الله فمسخهم خنازير.

الصيد

والصيد: كل ما امسك الإنسان او قتل مما يحل أكلة من حيوانات البر والبحر، مما ليس بمستانس، كحيوانات البحر بانواعها، او حيوانات البر، قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة: ٩٦].

المسك

المسك: ضرب من الطيب، (ومصدره غدة في جسم نوع من الغزلان). ومسك البَرِّ: نبت أطيب من الخُزامى ونباتها نبات القَفْعاء ولها زَهْرة مثل زهرة المَرْوِ؛ حكاه أَبو حنيفة؛ وقال مرة: هو نبات مثل العُسْلُج سواء. (الباحث: لسان



العرب). قال تعالى: ﴿خِتَـٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطفّفين: ٢٦].

الطيور

وهو اسم جنس ومنه الطائر: وهو الواحد منها: قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَـٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] وهو من الحيوانات التي تتكاثر على الأرض وتعيش معظم حياتها محلقة في الجو، وهو أشكال وأنواع وألوان، ومنه الصغير ومنه الكبير. والمستأنس كالحمام والدجاج وغيره. والوحشي غير المستانس، ومنه اللاحم الجارح كالنسور والصقور وغيرها، مما يقتات على الطرائد والاسماك، والحشرات.

الجوارح

والجوارح من الطير والسباع والكلاب: ذواتُ الصيد لأَنها تَجْرَحُ لأَهلها أَي تَكْسِبُ لهم، الواحدة جارحة؛ فالبازي جارحة، والكلب الضاري جارحة؛ قال الأَزهري: سمِّيت بذلك لأَنها كواسِبُ أَنفُسِها مِن قولك: جَرَح واجْتَرَح. (الباحث: لسان العرب). قال تعالى: ﴿قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ [المائدة: ٤].

السلوى

قال أبو جعفر الطبري: (و«السلوى» اسم طائر يشبه السُّمانى، واحده وجِماعه بلفظ واحد، كذلك السماني لفظ جماعها وواحدها سواء. وقد قيل: إن واحدة السلوى سلواة. وقال: حدثني موسى بن هارون قال، حدثني عمرو بن حماد قال، حدثنا أسباط، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن



ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: السلوى طير يشبه السُّمانى. وقال: حدثني المثنى قال، حدثنا إسحاق قال، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم قال، حدثني عبد الصمد قال: سمعت وهبا ـ وسئل: ما السلوى؟ فقال: طير سمين مثل الحمام. قال تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧].

الغراب

قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٣١].

الهدهد

قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠] وهو احد الطيور النادرة المهاجرة الجميلة، ويقال إن له قدرة على استشعار وجود الماء تحت الأرض، ويدل عليه بالوقوف فوقه والرفرفة بجناحيه والله اعلم.

الأبابيل

قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾[الفيل: ٣] وهي الطيور الكثيرة المجتمعة التي تجيء وتروح، ويتبع بعضها بعضا في طيرانها. قال ابن كثير في التفسير:

(وقال ابن عباس، والضحاك: أبابيل يتبع بعضها بعضًا. وقال الحسن البصري وقتادة: الأبابيل: الكثيرة. وقال مجاهد: أبابيل: شتى متتابعة مجتمعة. وقال ابن زيد: الأبابيل: المختلفة، تأتي من هاهنا، ومن هاهنا، أتتهم من كل مكان، وروى عن عبيد بن عمير، قال: لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل، بعث عليهم طيرا أنشئت من البحر، أمثال الخطاطيف. كل طير منها تحمل ثلاثة أحجار مجزعة: حجرين في رجليه وحجرا في منقاره. قال: فجاءت حتى صفت على رءوسهم، ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها، فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره، ولا يقع على شيء من جسده إلا وخرج من الجانب الآخر. وبعث الله ريحا شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعا). جاء ذلك في اغلب التفاسير، والحاصل أنها طيور أرسلها الله سبحانه على عدوه لتهلكه. وقيل: طير أبابيل يتبع بعضها بعضاً إِبِّيلاً إِبِّيلاً أَي قَطيعاً خَلْفَ قطيع؛ وهذا يجيء في معنى التكثير وهو من الجمع الذي لا واحد له؛ وفي نوادر الأَعراب: جاء فلان في أُبُلَّتِه وإِبالته أَي في قبيلته. (لسان العرب).



القسم السادس

النباتات والزروع

ذكرت النباتات في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وقد جاء ذكرها في بعض الأحيان بأسماء جنسها، كالأشجار المثمرة بأنواعها الكثيرة المعروفة، كأشجار الفاكهة والحمضيات وغيرها من أنواع الشجر، والشجر اسم يجمع ما له ثمر وما ليس له ثمر. والمعرشات والأعناب والكروم وما إلى ذلك من النباتات المتسلقة والمعرشة، وأهمها العنب بأنواعه، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [النحل: ٦٨] كذلك ورد ذكر الخضر بأنواعها المختلفة المعروفة، من الحبوب والبقول وغيرها من النباتات والزروع. قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٩]، فقد اشتملت الآية الكريمة على عدد من الأنواع جمع كثيرا من أصنافها؛ كالخضر(وتجمع أنواع النباتات قصيرة الساق، والنباتات الورقية والزاحفة والعشبية)، والحبوب (وتجمع أنواع البقول كالعدس والحمص والفول وغيرها من الحبوب كالقمح والشعير وغيرها)، والنخيل، والأعناب، والزيتون (ويجمع أنواع الأشجار التي تؤكل ثمارها ويستخرج منها الزيت والاشربة وغيرها)، والرمان (ويجمع أشجار الفاكهة)، كما ذكر تعالى الحدائق، وهي بالطبع تشمل أنواع الأشجار جميعها من مثمرة وغير مثمرة، قال تعالى: ﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا﴾ [النبأ: ٣٢] قال

الطبري: (والحدائق: جمع حديقة، وهي البساتين من النخيل والأعناب والأشجار المُحَوَّط عليها الحيطان المحدقة بها، ولإحداق الحيطان بها تسمى الحديقة حديقة، فإن لم تكن الحيطان بها محدقة، لم يَقُل لها حديقة، وإحداقها بها: اشتمالها عليها. وقوله: (وَأَعْنَابًا) يعني: وكرومَ أعناب، واستغنى بذكر الأعناب عن ذكر الكروم). وقد ذكرت بعض النباتات بأسمائها مفصلة، وسأذكرها مع ذكر الآيات الكريمة التي ورد ذكرها فيها، كما سأذكر بعض ما جاء في التفاسير مما قاله السلف فيها، وعلى الله قصد السبيل.

الأبّ

قال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] قال ابن عباس: الفاكهة: كل ما أكل رطبا. والأبّ ما أنبتت الأرض، مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس ـ وفي رواية عنه: هو الحشيش للبهائم. وقال مجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو مالك: الأب: الكلأ. وعن مجاهد، والحسن، وقتادة، وابن زيد: الأب للبهائم كالفاكهة لبني آدم. (التفاسير).

الأثل

قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: ١٦] قال الطبري: (وأما الأثل: فإنه يقال له: الطَّرفاء، وقيل: شجر شبيه بالطرفاء غير أنه أعظم منها، وقيل: إنها السَّمُر. وقال ابن كثير: (وَأَثْل): قال العوفي، عن ابن عباس: هو الطَّرْفاء). وقال غيره: هو شجر يشبه الطرفاء. وقيل: هو السّمُر. فالله أعلم. قلت وهو شجر معروف دائم الخضرة ينبت في المناطق الصحراوية، على حواف الأودية ومساقط الماء، ولا يحتاج للري. ولا ثمر له.



البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ [البقرة: ٦١] والبقل هو كل نبات ليس بشجر له ساق يقوم عليه، من الخضروات الورقية والجذرية وضعيفة السوق، كالفجل والجرجير والسبانخ وما إليها. أما القثاء فهو من النباتات المعروفة ومنه الخيار. وما شابههما من النباتات. وأما الفوم، فقال فيه ابن كثير: (وأما «الفوم» فقد اختلف السلف في معناه فوقع في قراءة ابن مسعود «وثومها» بالثاء، وكذلك فسره مجاهد في رواية ليث بن أبي سليم، عنه، بالثوم. وكذا الربيع بن أنس، وسعيد بن جبير. وروى ابن أبي حاتم: عن الحسن، في قوله: (وَفُومِهَا) قال: قال ابن عباس: الثوم). وقد ذكر غير واحد من السلف أن الفوم هو الحنطة أو الخبز المصنوع منها، وروى الطبري في التفسير: عن قتادة والحسن: الفوم، هو الحب الذي تختبزه الناس. وروى أيضا: أن عبد الله بن عباس سئل عن قول الله: (وفومها)، قال: الحنطة، أما سمعت قول أُحَيْحة بن الجُلاح وهو يقول:

قد كنت أغنى الناس شخصا واحدا ورد المدينة عن زراعة فوم

وقد جمع البخاري تلك الأقوال في قول واحد فقال: قال بعضهم: الحبوب التي تؤكل كلها فوم. والعدس معروف من البقول أو الحبوب فوائده كثيرة. وكذلك البصل معروف له منافع طبية لا تحصى لأنه قاتل للجراثيم، كما أنه مقوٍ للجهاز الهضمي ومنظف للأمعاء.

التين

قال تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾[التين: ١] قال الطبري: (التين) هو التين المعروف، وكذلك (الزَّيْتُونَ) أقسم سبحانه بهاتين الشجرتين، لكثرة منافع شجرهما وثمرهما، ولأن سلطانهما في أرض الشام، محل نبوة عيسى ابن مريم عليه السلام.



الحب

ومنه الحبوب بانواعها من قمح وشعير وبر وحنطة، وغيرها من أنواع الحبوب. قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ [ق: ٩] وقال تعالى: ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن: ١٢] قال ابن كثير: (وَحَبَّ الْحَصِيدِ) وهو: الزرع الذي يراد لحبه وادخاره). وقال السعدي: (حب الحصيد، أي: من الزرع المحصود، من بر وشعير، وذرة، وأرز، ودخن وغيره). وكذلك في اغلب التفاسير. قال الطبري: قوله: «نخرج منه حبًّا متراكبًا»، يقول: نخرج من الخضر حبًّا = يعني: ما في السنبل، سنبل الحنطة والشعير والأرز، وما أشبه ذلك من السنابل التي حبُّها يركب بعضه بعضًا. وقال أيضا حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾: العصف: ورق الزرع الأخضر الذي قطع رءوسه، فهو يسمى العصف إذا يبس. وقال ابن كثير: وكذا قال قتادة، والضحاك، وأبو مالك: عصفه: تبنه. وقال بعضهم: العصف: هو الحب من البرّ والشعير بعينه.

الخبز

والخبز يصنع من الحبوب كالقمح والشعير والذرة والدخن والشوفان وغيرها. قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ﴾ [يوسف: ٣٦].

الخمط وهو الأراك

قال تعالى: ﴿ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ

أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾[سبأ: ١٦] قال الطبري: وقوله (وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ) يقول تعالى ذكره: وجعلنا لهم مكان بساتينهم من الفواكه والثمار بساتين من جنى ثمر الأراك، والأراك هو الخمط. وقال ابن كثير: قال ابن عباس، ومجاهد، وعِكْرِمة، وعطاء الخُرَاساني، والحسن، وقتادة، والسُّدِّي: وهو الأراك، وأكلة البَرير. وقال البغوي: والخمط: الأراك وثمره يقال له: البرير، هذا قول أكثر المفسرين. وقال المبرد والزجاج: كل نبت قد أخذ طعمًا من المرارة حتى لا يمكن أكله فهو خمط. وهو نبات صحراوي على شكل شجيرات كثيفة. ثمره إذا نضج داكن بين الأحمر والأسود.

الخردل

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[الأنبياء: ٤٧] والخردل من الخضر المعروفة. حريف له فوائد طبية.

الرمان

قال تعالى: ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١] والرمان معروف.

الريحان

قال تعالى: ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن: ١٢] وقال تعالى أيضا: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٩] قال الطبري: (حدثنا الحسن بن عرفة،

قال: ثني يونس بن محمد، قال: ثنا عبد الواحد، قال: ثنا أبو روق عطية بن الحارث، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: (وَالرَّيْحَانُ) قال: الرزق والطعام. وقال آخرون: هو الريحان الذي يشمّ. وقال: حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: (الريحان) ما تنبت الأرض من الريحان).

الزيتون وزيت الزيتون

قال تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٥] قال الطبري: (قوله: (يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ) قال: هي شجرة لا يفيء عليها ظلّ شرق ولا ظلّ غرب، ضاحية، ذلك أصفى للزيت (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ) قال معمر، وقال الحسن: ليست من شجر الدنيا، ليست شرقية ولا غربية. وقال الطبري أيضا: فقال بعضهم: إنما قيل لهذه الشجرة: لا شرقية ولا غربية: أي ليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها الشمس إذا غربت، وإنما لها نصيبها من الشمس بالغداة ما دامت بالجانب الذي يلي الشرق، ثم لا يكون لها نصيب منها إذا مالت إلى جانب الغرب، ولا هي غربية وحدها، فتصيبها الشمس بالعشيّ إذا مالت إلى جانب الغرب، ولا تصيبها بالغداة، ولكنها شرقية غربية، تطلع عليه الشمس بالغداة، وتغرب عليها، فيصيبها حرّ الشمس بالغداة والعشيّ، قالوا: إذا كانت كذلك، كان أجود لزيتها. وقال: حدثنا هناد، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك،

عن عكرمة، في قوله: (زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ) قال: لا يسترها من الشمس جبل ولا واد، إذا طلعت وإذا غربت). وقال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، قال الطبري في التفسير: (يقول تعالى ذكره: وأنشأنا لكم أيضا شجرة تخرج من طور سيناء يعني بها: شجرة الزيتون. وقوله: (تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ) بمعنى: تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن، والدهن الذي هو من ثمره الزيت، كما حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: (تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ) يقول: هو الزيت يوكل، ويدهن به). وقال ابن كثير مثل ذلك ومما قال: (قال: (وَصِبْغٍ) أي: أدْم، قاله قتادة. (لِلآكِلِينَ) أي: فيها ما ينتفع به من الدهن والاصطباغ، كما قال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، عن عبد الله بن عيسى، عن عطاء الشامي، عن أبي أَسَيْد ـ واسمه مالك بن ربيعة الساعدي الأنصاري ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «كلوا الزيت وادهنوا به؛ فإنه من شجرة مباركة»). وقال البغوي: (تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ) فمعناه تنبت تثمر الدهن وهو الزيتون. وقيل: تنبت ومعها الدهن، روي ذلك عن عدد من السلف الثقاة، وقال أيضا: أي: نبت، (وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ) الصبغ والصباغ: الإدام الذي يلون الخبز إذا غمس فيه وينصبغ، والإدام كل ما يؤكل مع الخبز، سواء ينصبغ به الخبز أو لا ينصبغ. قال مقاتل: جعل الله في هذه الشجرة أدما ودهنا، فالأدم: الزيتون، والدهن: الزيت، وقال: خص الطور بالزيتون لأن أول ما نبت بها. وقيل أنه أول نبت في الدنيا بعد الطوفان. والله اعلم.

الزنجبيل

قال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾

[الإنسان: ١٧-١٨] قال ابن كثير: (وقوله: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ أي: ويسقون ـ يعني الأبرار أيضا ـ في هذه الأكواب ﴿كَأْسًا﴾ أي: خمرًا، ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ فتارة يُمزَج لهم الشراب بالكافور وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار، ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة. وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صِرْفًا، كما قاله قتادة وغير واحد. وقد تقدم قوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ وقال هاهنا: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ أي: الزنجبيل عين في الجنة تسمى سلسبيلا. أما الطبري في تفسيره فقد قال بمثل ذلك ولكن بتفصيل أوضح فيه سبب قوله تعالى ﴿كَأْسًا﴾ وعدم قوله أناء أو قدحا، قال: وقوله: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره: ويُسْقَى هؤلاء القوم الأبرار في الجنة كأسا، وهي كلّ إناء كان فيه شراب، فإذا كان فارغا من الخمر لم يقل له: كأس، وإنما يقال له: إناء، كما يقال للطبق الذي تهدى فيه الهدية: المِهْدَى مقصورا ما دامت عليه الهدية فإذا فرغ مما عليه كان طبقا أو خِوَانا، ولم يكن مِهْدًى ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ يقول: كان مزاج شراب الكأس التي يُسقون منها زنجبيلا.

(والزنجبيل مما ينبت في بلاد العرب بأرض عُمَان، وهو عروق تسري في الأَرض، ونباته شبيه بنبات الرَّاسَن وليس منه شيء بَرِّيًّا، وليس بشجر، يؤكل رطْباً كما يؤكل البَقْلُ، ويستعمل يابساً، وأَجوده ما يؤتى به من الزِّنْج وبلاد الصِّين، وزعم قوم أَن الخَمْر يسمى زنجبيلا، قال: والزنجبيل عاتِق مُطَيَّب وقيل: الزنجبيل العود الحِرِّيف الذي يَحْذِي اللسان. والعرب تصف الزنجبيل بالطيب وهو مستطاب عندهم جِدًّا)؛ (الباحث: لسان العرب).

الزقوم

يقال: ازْدَقَمَ الشيءَ وتَزَقَّمَهُ ابتلعه. والفعل زَقَمَ يَزْقُمُ ولَقِمَ يَلْقَمُ. والتَّزَقُّمُ: كثرة شرب اللبن، قال ابن سيده: وبلغنا أنه لما أُنزلت: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٤] لم يعرفه قريش، فقال أَبو جهل: إن هذا لشجر ما ينبت في بلادنا فَمَنْ منكم مَنْ يعرف الزقوم؟ فقال رجل قدم عليهم من إِفْريقيَةَ: الزقوم بلغة إِفْريقيَة الزُّبْدُ بالتمر، فقال أَبو جهل: يا جارية هاتي لنا تمراً وزبداً نَزْدَقِمُه، فجعلوا يأْكلون منه ويقولون: أَفبهذا يخوفنا محمد في الآخرة؟ فبيَّنَ الله تبارك وتعالى ذلك في آية أُخرى فقال في صفتها: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[الصافات: ٦٤-٦٥]. وقال أَبو حنيفة: أَخبرني أَعرابي من أَزْدِ السَّراة قال: الزقوم شجرة غبراء صغيرة الورق مُدَوَّرَتُها لا شوك لها، ذَفِرَةٌ مُرَّة، لها كَعابر في سُوقها كثيرة، ولها ورُيْدٌ ضعيف جدّاً يَجْرُسُه النحل، ونَوْرَتُها بيضاء، ورأس ورقها قبيح جدا.

السدر: النبق

قال تعالى: ﴿ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾[سبأ: ١٦] قال البغوي: (والسدر شجر معروف، وهو شجر النبق ينتفع بورقه لغسل الرأس ويغرس في البساتين، ولم يكن هذا من ذلك، بل كان سدرًا بريا لا ينتفع به ولا يصلح ورقه لشيء). (قلت: وقد رايت السدر يصلح ورقه للرعي، ترعاه الاغنام وغيرها من الحيوانات العاشبة، كذلك ترعى الحيوانات البرية ثمره وهو حب النبق، كالقردة وغيرها). والسدر

أيضا من شجر الجنة قال تعالى: ﴿فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ﴾ [الواقعة: ٢٨] قال ابن كثير: (فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ). قال ابن عباس، وعِكْرِمَة، ومجاهد، وأبو الأحوص، وقسَامة بن زُهَير، والسَّفر بن نُسَير، والحسن، وقتادة، وعبد الله بن كثير، والسُّدِّيّ، وأبو حَرْزَة، وغيرهم: هو الذي لا شوك فيه. وعن ابن عباس: هو المُوَقَر بالثمر. وهو رواية عن عِكْرِمَة، ومجاهد، وكذا قال قتادة أيضا: كنا نُحَدِّث أنه المُوقَر الذي لا شوك فيه. والظاهر أن المراد هذا وهذا فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر، وفي الآخرة على عكس من هذا لا شوك فيه، وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله، كما قال الحافظ أبو بكر بن سلمان النجّاد). وقال الطبري: (فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ) يعني: في ثمر سدر موقر حملا قد ذهب شوكه. وقد اختلف في تأويله أهل التأويل، فقال بعضهم: يعني بالمخضود: الذي قد خُضد من الشوك، فلا شوك فيه. وقال: حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: (سِدْرٍ مَخْضُودٍ) قال: خضده وقره من الحمل، ويقال: خُضِد حتى ذهب شوكه فلا شوك فيه. وقال آخرون: بل عُنِي به أنه المُوقَر حَمْلا. وقال: حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: (سِدْرٍ مَخْضُودٍ) يقول: مُوقَر. قلت وهو معروف ينبت في الصحراء على حواف الأودية، ومناطق تجمع المياه، دائم الخضرة وله شوك وثمر حلو بداخله بذور قاسية.

الضريع

سماه العرب نبت الشِّبْرِق، وأهل الحجاز الضَّريع إذا يبس، ويسميه غيرهم: الشِّبْرق، وهو سمّ. (الباحث: لسان العرب). قال تعالى: ﴿لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ﴾ [الغاشية: ٦].

الطلح: الموز

قال تعالى: ﴿وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ﴾ [الواقعة: ٢٩] قال البغوي: (وَطَلْحٍ) أي: موز، واحدتها طلحة، عن أكثر المفسرين. وقال الحسن: ليس هو بالموز ولكنه شجر له ظل بارد طيب. قال الفراءُ وأبو عبيدة: الطلح عند العرب: شجر عظام لها شوك. وجاء في تفسير الطبري: وأما أهل التأويل من الصحابة والتابعين فإنهم يقولون: إنه هو الموز. وروى ان ابن عباس سئل عن الطلح، فقال: هو الموز. وقال أيضا: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال، قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ﴾ قال الله أعلم، إلا أن أهل اليمن يسمون الموز الطلح. وقوله: (مَنْضُودٍ) يعني أنه قد نُضِدَ بعضهُ على بعض، وجمع بعضه إلى بعض. وقال: حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) قال: بعضه على بعض. وقال ابن كثير في تفسيره بمثل هذه الأقوال. قلت والأغلب والله اعلم انه الموز فهو الذي له ثمر منضود. والطلح شجر صحراوي له أشواك طويلة ودقيقة ولا ثمر له. وقوله تعالى: ﴿وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ﴾ [الواقعة: ٢٩] دل على انه الموز والله اعلم بمراده.

العنب

قال تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [النحل: ٦٧] قال ابن كثير: دل على إباحته شرعا قبل تحريمه، ودل على التسوية بين السَّكَر المتخذ من العنب، والمتخذ من النخل كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء، وكذا حُكْم سائر الأشربة المتخذة من الحنطة والشعير والذرة والعسل، كما جاءت السنة بتفصيل ذلك، وليس هذا

موضع بسط ذلك، كما قال ابن عباس في قوله: ﴿سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ قال: السَّكَر: ما حرم من ثمرتيهما، والرزق الحسن ما أحل من ثمرتيهما. وفي رواية: السَّكر حرامه، والرزق الحسن حلاله. يعني: ما يبس منهما من تمر وزبيب، وما عمل منهما من طلاء ـ وهو الدِّبس ـ وخل ونبيذ، حلال يشرب قبل أن يشتد (أي يتخمر)، كما وردت السنة بذلك. زاد الطبري: وقوله: (وَأَعْنَابًا) يعني: وكرومَ أعناب، واستغنى بذكر الأعناب عن ذكر الكروم.

القضب

قال تعالى: ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ [عبس: ٢٨] قال الطبري: (وَقَضْبًا) يعني بالقضب: الرطبة، وأهل مكة يسمون القَتَّ القَضْب. وروى عن ابن عباس، قوله: (وَقَضْبا) يقول: الفِصفِصة. قال أبو جعفر رحمه الله: الفِصفصة: الرَّطبة. قلت والقضب نبات معروف ومن أسمائه البرسيم يقدم علفا للحيوانات. وقال ابن كثير: والقضب هو: الفصفصة التي تأكلها الدواب رطبة. ويقال لها: القَتّ أيضا. وقال الحسن البصري: القضب العلف. وقال البغوي: وهو القت الرطب، سمي بذلك لأنه يقضب في كل الأيام أي يقطع. (قلت: ومعروف ان البرسيم نبات معمر يمتد عمره في الارض من ٣ - ٥ سنوات).

الكافور

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥] قال ابن كثير: وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة، مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة في الجنة. وقال السعدي: أي: شراب لذيذ من خمر قد مزج بكافور أي: خلط بكافور ليبرده ويكسر حدته، وهذا الكافور [في غاية

اللذة] قد سلم من كل مكدر ومنغص موجود في كافور الدنيا. والكافور شجرة كبيرة معمرة دائمة الخضرة. أوراقه كبيرة. وأزهاره صغيرة بيضاء بدون أعناق. أما الثمار فهي عنبية بلون بنفسجي إلى أسود وتحتوي كل ثمرة على بذرة واحدة. يستخرج منه زيت عطري بالتقطير من الأزهار والأوراق ولكن الجزء الأعظم يستخرج من القشور وخشب الساق والجذر. وله استخدامات طبية وغيرها.

المن

قال المفسرون: هو طَلٌّ ينزل من السماء، وهو شبه العسل كان ينزل على بني إسرائيل. ويقال: هو نقط حمراء تتجمع على أوراق الشجر بين الفجر وطلوع الشمس، وهى موجودة حتى الآن في بعض مناطق العراق، وفى الصباح الباكر يأتي الناس بالملاءات البيضاء ويفرشونها تحت الشجر، ثم يهزون الشجر بعنف فتسقط القطرات الموجودة على ورق الشجر فوق الملاءات، فيجمعونها وتصبح من أشهى أنواع الحلويات، فيها طعم القشدة وحلاوة عسل النحل، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾ [البقرة: ٥٧].

النخل: التمر والرطب

ومنه الرطب والبسر والبلح والتمر: قال تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾ [مريم: ٢٥] جاء في تفسير ابن كثير: (والظاهر أنها كانت شجرة، ولكن لم تكن في إبان ثمرها، قاله وهب بن منبه؛ ولهذا امتن عليها بذلك، أن جعل عندها طعامًا وشرابًا، فقال: ﴿تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ﴾ أي: طيبي نفسًا؛ ولهذا قال عمرو بن ميمون: ما من شيء خير

للنفساء من التمر والرطب، ثم تلا هذه الآية الكريمة). وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ [ق: ١٠] روى الطبري: (عن ابن عباس، قوله ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾ قال: النخل الطوال. وقوله ﴿لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ يقول: لهذا النخل الباسقات طلع وهو الكُفُرَّى، نضيد: يقول: منضود بعضه على بعض متراكب. وقال حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ ينضد بعضه على بعض). وقال تعالى: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ﴾ [الرحمن: ١١] قال الطبري: (والأكمام: جمع كِمّ، وهو ما تكممت فيه. واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: عنى بذلك تكمم النخل في الليف. وقال: حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، قال: سألت الحسن، عن قوله: ﴿وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ﴾، فقال: سَعَفة من ليف عُصبَتْ بها). وقال آخرون: بل معنى الكلام: والنخل ذات الطلع المتكمم في كمامه، ثم قال رحمه الله: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وصف النخل بأنها ذات أكمام، وهي متكممة في ليفها، وطلعها متكمم في جُفِّهِ، ولم يخصص الله الخبر عنها بتكممها في ليفها ولا تكمم طلعها في جفه، بل عمّ الخبر عنها بأنها ذات أكمام. والصواب أن يقال: عني بذلك ذات ليف، وهي به مُتَكَممة وذات طَلعْ هو في جُفِّه متكمِّمٌ فيُعَمَّم، كما عَمَّ جلّ ثناؤه). وجاء في تفسير البغوي: (وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ)، الأوعية التي يكون فيها الثمر لأن ثمر النخل يكون في غلاف ما لم ينشق، واحدها كِمٌّ، وكل ما ستر شيئًا فهو كم وكمة، ومنه كم القميص، ويقال للقلنسوة كُمَّةٌ، قال الضحاك: «ذات الأكمام» أي ذات الغلف. وقال الحسن: أكمامها: لفيفها. [وقال ابن زيد: هو الطلع قبل أن ينشق]. أما ابن كثير فجاء في تفسيره: ﴿وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ



ﭐلۡأَكۡمَامِ﴾ أفرده بالذكر لشرفه ونفعه، رطبا ويابسا. والأكمام ـ قال ابن جُرَيْج عن ابن عباس: هي أوعية الطلع. وهكذا قال غير واحد من المفسرين، وهو الذي يطلع فيه القنو ثم ينشق عن العنقود، فيكون بسرا ثم رطبا، ثم ينضج ويتناهى يَنْعُه واستواؤه. وقال أيضا: وقيل: الأكمام رفاتها، وهو: الليف الذي على عنق النخلة. وهو قول الحسن وقتادة.

اليقطين

واليَقْطِينُ: يسمى الدُّبَّاء والقرع، وإن كان اليقطينُ أعمَّ، فإنه في اللُّغة: كل شجر لا تقومُ على ساق، كالبِّطيخ والقِثاء والخيار. وأشهره ما يعرف بالقرع، وبعضهم يسميه القرع العسلي، وهو المذكور في القران الكريم. قال تعالى: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ﴾ [الصافات: ١٤٦] قال ابن كثير: قال ابن مسعود، وابن عباس، والعديد من التابعين قالوا كلهم: اليقطين هو القرع. وفال الطبري: حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في قوله (شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) قال: هو القرع، والعرب تسميه الدُّبَّاء. ومن المعروف أن لليقطين ولبذوره فوائد صحية عديدة، ويؤكل نيئا أو مطبوخا، أو على شكل عصير، وطعمه حلو المذاق. ولا أدل على فوائده الصحية والغذائية العظيمة، من إنبات الله سبحانه له، على يونس عليه السلام حين لفظه الحوت.

أجزاء النبات

الثمار والأكمام

والأكمام واحدها الكم، وهو جزء النبات المنتفخ الذي يمثل وعاء الطلع، والذي يتفتق عن الازهار، حتى اذا اكتمل نموها تحولت لتظهر منها الثمار. والثمار

معروفة باشكالها وانواعها المختلفة، وبالاجمال فان كل ما تفتقت عنه الأكمام فهو ثمر، كالفاكهة بانواعها، كالعنب والتين والرمان والتفاح وما شابهها، او الحبوب كالقمح والعدس والسمسم والفاصولياء وما شابهها، او الخضر كاليقطين والبطيخ والفلفل وماشابهها. قال تعالى: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فُصِّلَت: ٤٧].

الحبة والورقة

والحبة هي الثمرة بأي صفة كانت، أما الورقة فهي رئة النبات، ومصنع غذائه، ففيها تتم عملية التمثيل الضوئي التي ينتج عنها الغذاء، وفيها تتم عملية تبادل الغازات، وأهمها الأكسجين، وثاني أكسيد الكربون. قال تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

السوق والشطأ

والسوق جمع ساق، ويجمع على سيقان، وهو جزء النبات الذي ينغرس في الأرض، ويرتفع، ويتفرع لتحمل عليه بقية أجزاء النبات. أما الشطأ، فهو ما يتفرع من الساق ليحمل بقية الأجزاء كالورق والزهر والثمر. قال تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

الحرث

الحرث والحِراثةُ: العَمل في الأَرض زَرْعاً كان أَو غَرْساً، وقد يكون الحرث نفسَ الزَّرْع، قال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ [الأنبياء: ٧٨].

العرجون

والعُرْجُون العِذْقُ عامَّة، وقيل: هو العِذْقُ إذا يَبس واعْوجَّ، وقيل: هو أَصل العِذْق الذي يعْوَجُّ وتُقْطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابساً، قال الأَزهري: العرجون أَصْفرُ عريض شبه الله به الهلالَ لما عاد دقيقاً فقال سبحانه: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾[يس: ٣٩] وقال ابن سيده: شبهه بدِقَّتِه واعْوِجاجِه؛ (الباحث: لسان العرب).

السنبلة

وهي جزء نبتة الحنطة أو القمح أو الشعير أو ما شابهها، والذي تكون فيه الحبوب، قال تعالى: ﴿فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ﴾ [يوسف: ٤٧].

الطلع والينع والقنوان

الينع هو الثمر إذا نضج وطاب وحان قطافه، والطلع هو غلاف يشبه الكوز يتفتح عن حب منضود، أي مرتب في صفوف، فيه مادة إخصاب النخلة، وهو يدل على جمع ويجمع على أطلع وطلوع، أما القنو ويقال له العذق فهو عنقود النخل، يجمع على أقناء وقنوان. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩٩].

الفتيل

والفتيل: حبل دقيق من خَزَم أَو لِيف. وهو: السَّحَاة في شَقِّ النَّواة. والسحاة: ما انْقَشَر من الشيء كسحاءة النّواة والقرطاس. وسحاة كلِّ شيء أَيضاً: قِشرُه،



والجمع سحا. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩].

القطوف

جمع قطف، من القطف أي الجني، وهي الثمار المجتمعة على عرق واحد، كقطوف العنب والموز والتمر وما شابهها، قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣] قريبة سهلة التناول.

النقير

والنَّقير النُّكْتة في ظهر النَّواة، وهي نقطة لطيفة كالثقب في ظهر نواة التمر. قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤].

والقطمير والفتيل والنفير، قال أَبو منصور: وهذه الأَشياء تضرَب كلّها أَمثالاً للشيء التافِه الحقير القليل أَي لا يُظْلمون قدرَها. (الباحث: لسان العرب).

النوى

هو البذرة القاسية في وسط الثمرة، والتي إذا دفنت في الأرض انبتت نبتا جديدا من جنسها، وأكثر ما يستعمل مع التمر نقول: نوى التمرة أي بذرتها، قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ [الأنعام: ٩٥].



القطمير

وهو الجلد الرقيق الذي يغطي النواة، وقيل الذي يغطي قمعها، وقيل هو قمعها. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

الهشيم

وهو النبت إذا جف ويبس قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ [الكهف: ٤٥].

القسم السابع

المقاييس

ورد في القرآن الكريم ذكر للكثير من المقاييس التي نستعملها في حياتنا اليومية، والتي تسهل علينا التواصل والتفاهم، وتعيننا على التفاعل مع ما يحيط بنا من آلاء الله ومخلوقاته سبحانه. وتيسر لنا شؤون حياتنا، وسأعرض لها مع الأدلة والشرح ما أمكن والله الموفق.

المساحة

(الطول والعرض)

وهي ناتج ضرب الطول بالعرض، وتستخدم في تقدير اتساع الأرض وما إليها. ومن أدوات قياسهما: الذراع والباع والمتر وما إلى ذلك من أدوات القياس. قال تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧] وقال تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

المسافة: ومنها

الدنيا والقصوى

دَنا من الشيء دنُوّاً ودَناوَةً: قَرُبَ. وقَصا عنه قَصْواً وقُصُوًّا: بَعُدَ. وقَصا المَكانُ يَقْصُو قُصُوّاً: بَعُدَ. قال تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ

وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ ﴾[الأنفال: ٤٢] قال الفراء: الدنيا مما يَلي المدينة والقصوى، مما يَلي مكة. (يقصد حافة الوادي، وادي بدر). وقال الطبري: (إذ أنتم، حينئذ، بالعدوة الدنيا، يقول: بشفير الوادي الأدنى إلى المدينة (وشفير الوادي ناحيته أي حرفه وحده). «وهم بالعدوة القصوى»، يقول: وعدوكم من المشركين نزولٌ بشَفير الوادي الأقصى إلى مكة، «والركب أسفل منكم»، يقول: والعير فيه أبو سفيان وأصحابه في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر).

القريب والبعيد

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، والقرب يدل عادة على المجانبة أوالالتصاق، فعندما يكون شيئان متقاربان، دل ذلك على أن احدهما بجانب الآخر أو ملتصق به. والبعيد يدل على كبر واتساع مسافة ما بين شيئين. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ﴾ [الزُخرُف: ٣٨].

تذييل

(قال الليث: وسُمِّيت الدنيا لدُنُوِّها، ولأَنها دَنتْ وتأَخَّرَت الآخرة، وكذلك السماءُ الدنيا هي القُرْبَى إلينا)، (الباحث: لسان العرب). وسمي مسجد بيت المقدس بالاقصا، لبعده عن المسجد الحرام قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١].

الجهات والاتجاهات

الشرق والغرب واليمين والشمال

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ﴾ [ق: ١٧].

بين

قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧] تأتي بمعنى ما تقدم أو ما سلف، روى الطبري عن ابن عباس قوله: (مصدقا لما بين يديه)، لما قبله من الكتب التي أنزلها الله، والآيات، والرسل الذين بعثهم الله بالآيات، نحو موسى ونوح وهود، وأشباههم من الرسل صلى الله عليهم. وتأتي بمعنى الوسط أو التوسط قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفرقان: ٦٧] وتأتي بمعنى المسافة قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗا﴾ [آل عمران: ٣٠].

أمام وخلف

قال تعالى: ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ [القيامة: ٥]، روى الطبري عن ابن عباس قال: (اي يمضي قُدمًا). وقال تعالى: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ

ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ﴾ [النساء: ٩] أي تركوا بعد موتهم وراءهم او بعدهم. والخلف ما كان من قبل الظهر٠ والأمام هو ما كان من قبل الوجه بين اليدين.

فوق وأعلى

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: ٩٣] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ [الحجُرات: ٢].

أسفل وتحت

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ [فُصِّلَت: ٢٩] وهما عكس وضد فوق وأعلى.

جانب

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾ [طه: ٨٠] تأتي بمعنى الجهة أو قريبا من.

المكاييل والأوزان

هي التي تستعمل في تقدير المواد، كالسائلة ومنها الماء والحليب والسمن والزيت والعسل وما إلى ذلك، ومنها الجامدة كالحبوب مثل القمح والذرة والتمر وما شابهها، أو الأموال كالذهب والفضة، وكانت قديما تقدر بكمها ووزنها كالمثقال والدرهم وما إلى ذلك.

الصاع والصواع

والصاع: مِكيالٌ لأَهل المدينة يأْخذ أَربعة أَمدادٍ، يذكر ويؤنث، فمن أنث قال: ثلاث أَصْوُعٍ مثل ثلاث أَدْوُر، ومن ذكَّره قال: أَصْواع مثل أَثواب، وقيل: جمعه أَصْوُعٌ. وأَصْواعٌ وصِيعانٌ، والصُّواعُ كالصاع. وصاع النبيّ، ﷺ، الذي بالمدينة أَربعةُ أَمدادٍ بمُدِّهم المعروفِ عندهم. والمد: ضَرْبٌ من المكاييل وهو رُبُع صاع، وهو قَدْرُ مُدِّ النبي، ﷺ، والصاعُ: خمسة أَرطال؛ والمد رطل وثلث عند أَهل الحجاز والشافعي، ورطلان عند أَهل العراق وأَبي حنيفة. والمد: ربع صاع وإِنما قَدَّره به لأَنه أَقلُّ ما كانوا يتصدقون به في العادة. وقيل: إن المد مقدَّر بأن يَمُدَّ الرجل يديه فيملأ كفيه طعاماً. وهو باعتبار مساواته أربعةُ أمْدادٍ (بحسب أهل المدينة)، (وهو ما يعرف بالمد النبوي، فهو المعتمد شرعا وتَدُورُ عليه أحكامُ المُسْلمينَ باعتباره مكيالا)، (فعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «الوزن وزن أهل مكة والمكيال مكيال أهل المدينة» (أبو داود برقم٣٣٢٤)، و(النسائي برقم ٢٥٣٢). وقيل الصواع: هو الجامُ الذي يُشْرَبُ فيه. قال تعالى: ﴿ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ﴾ [يوسف: ٧٢] (الباحث: لسان العرب).

وجدير بالذكر ان الفقهاء والعلماء في العصور المتأخرة، وبسبب انتشار استعمال الأوزان أكثر من المكاييل في الحياة اليومية، قاموا بتقدير الصاع وزنا، ومع الاختلافات في تقديراتهم، إلا انه وقع شبه إجماع على انه يساوي اثنان ونصف من الكيلو غرام، مع أن البعض جعله أكثر من ذلك، والبعض جعله أقل، ولكن الأحوط أن يبقى الاعتماد عليه كوحدة للكيل لا للوزن. ولمن أراد الاستزادة في هذا الموضوع الرجوع إلى الفتاوى الشرعية، والكتب التي عالجت ذلك ومنها: كتاب مغني المحتاج للخطيب الشربيني، والمنهاج للنووي، والشرح الممتع على زاد المستقنع لمحمد بن صالح العثيمين، وكتاب حاشية الدسوقي، وحاشية الزرقاني على الموطأ.

القنطار

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٢٠] والقنطار: ستة أمنان قال ابن كثير: اختلف المفسرون في مقدار القنطار على أقوال، وحاصل أنه المال الجزيل، كما قاله الضحاك وغيره، وقيل: ألف دينار. وقيل: ألف ومائتا دينار. وقيل: اثنا عشر ألفا. وقيل: أربعون ألفا. وقيل: ستون ألفا وقيل: سبعون ألفا. وقيل: ثمانون ألفا. وقيل غير ذلك. وقال الطبري: وقد ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب: أن العرب لا تحدّ القنطار بمقدار معلوم من الوزن، ولكنها تقول: «هو قَدْرُ وزنٍ». وقال: وقد ينبغي أن يكون ذلك كذلك، لأن ذلك لو كان محدودًا قدرُه عندها، لم يكن بين متقدمي أهل التأويل فيه كلّ هذا الاختلاف. فالصواب في ذلك أن يقال: هو المال الكثير، كما قال الربيع بن أنس، ولا يحدُّ قدرُ وزنه بحدٍّ على تَعسُّف. والقنطار يساوي من حيث الأساس مائة رطل، وحديثا أيضا لم يعرف للقنطار وزن محدد فهو في بعض البلدان كالولايات المتحدة مائة رطل، وفي بريطانيا مائة واثنا عشر رطلا، ومائة كيلو غرام في فرنسا، ويسمى القنطار المتري، وغالبا ما يرتبط القنطار بوزن الذهب. ويدخل في الموازين أيضا وبشكل غير محدد القيمة، وإنما للدلالة على التفاوت في الأوزان.

الخفيف والثقيل

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ٦-١١] وهما ضدان يدل احدهما على الوزن القليل، ويدل الآخر على الوزن الكبير.

الذرة

قال تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣] وفي هذه الآية تتجلى عظمة الخالق سبحانه، فقد ظل العلم إلى عهد قريب يعتقد أن اصغر الأشياء هي الذرة، ولم يكتشف ما هو اصغر منها من نيترونات وبروتونات وفوتونات إلا قريبا.

الحبة

وتعد الحبة اصغر وحدة وزن استخدمها الإنسان منذ القدم، وذلك أن البذور الصلبة لبعض الحبوب كالحنطة والشعير والخردل والخرنوب، (الخروب)، تكون متساوية في الوزن تقريبا، وقد استعمل العرب حبة الشعير لوزن الأشياء الثمينة كالذهب والفضة، كما استعملوا وزن حبة الخردل للأشياء الصغيرة.

وقد وصف القران الكريم الشيء الصغير بحبة الخردل، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] قال عمرو بن شأس الاسدي:

فما أفلحت في الغزو كندة بعدها ... ولا أدركوا مثقال حبة خردل

الدرهم

والدرهم وزن قيل يعادل وزن أربع حبات من الحمص، وفي ذلك خلاف لان الأوزان كانت تختلف من بلد إلى بلد كما اختلفت من زمان إلى زمان. قال العلامة ابن خلدون (موقع: ahlalhdeeth. Com ٢٠١١/١٢/٢٣) (في مقدمته ص٢٦٣): (فاعلم أن الإجماع منعقد منذ صدر الإسلام وعهد الصحابة والتابعين: أن الدرهم الشرعي

هو الذي تزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب، والأوقية منه: أربعين درهما، وهو على هذا سبعة أعشار الدينار، وهذه المقادير ثابتة بالإجماع). قلت: والإجماع الذي قال به ابن خلدون هو في نسبة وزن الدرهم إلى الدينار، من دنانيرهم أي في زمانهم. والدينار في وقتنا الحالي أربعة غرامات وربع من الذهب، عيار٢٤، أما الدرهم النبوي فيساوي ٢. ٩٧٥ من الغرام أي ثلاثة غرامات من الفضة تقريبا، وتجدر الملاحظة أن الدنانير تسك من الذهب، والدراهم تسك من الفضة. وقد اشتهر الدرهم دون سواه من الوحدات، بمعناه المزدوج، فهو من ناحية، قطعة نقد تجارية، ومن ناحية أخرى، وحدة وزن صغيرة. غير أن الأغلب والشائع منذ الجاهلية وما قبلها انه قطعة نقد، قال تعالى:﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ [يوسف: ٢٠].

المثقال

قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[الزلزلة: ٧-٨] المثقال: عرفاً يساوي درهماً ونصف درهم. وقد جاء هنا بمعنى الوزن عاما. والمثقال على الأرجح (القرضاوي في كتابه فقه الزكاة ١/٢٨٥) = ٢٥ , ٤ غرام ويزن اثنين وسبعين حبة شعير معتدلة غير مقشورة مقطوع من طرفها ما دق وطال، وعند الحنفية: المثقال: يزن مائة حبة شعير (موقع ahlalhdeeth. com ٢٠١١/١٢/٢٣).

الدينار

قال تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن

تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾ [آل عمران: ٧٥] والدينار مثقال شرعي. (موقع ahlalhdeeth. Com ٢٠١١/١٢/٢٣) (القرضاوي في كتابه فقه الزكاة ١/٢٥٣)
وهذا التقدير يذكر العلماء انه لم يتغير لا في جاهلية ولا في إسلام.

الأحجام

الكبير والصغير

قال تعالى: ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ [القمر: ٥٣] وتأتي بمعنى الضخم (العظيم) قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢٠] وقال تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٤].

الواسع

وتدخل مع الإحجام لتعبر عن الضخامة والكبر، أو الإحاطة والشمول والعلم، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

كما تدخل مع المساحات لتعبر عن الاتساع، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ٩٧].

القوى

قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾ [النجم: ٥-٦] أي جبريل عليه السلام، والقوى جمع قوة، والمرة: القوة وشدة العقل.

الغلبة

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣] قال الطبري: وقوله (وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ) يقول: وصار أعز مني في مخاطبته إياي، لأنه إن تكلم فهو أبين مني، وإن بطش كان أشدّ مني فقهرني.

القدرة والقوة

قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

الوهن والضعف

الوهن: الضَّعف الشديد في العمل والأمر، وكذلك في العَظْمِ ونحوه. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١] وقال كذلك: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان: ١٤] وقال تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤].

الأزمنة

للزمن خصوصية تنفرد بها حياة المسلم، فالعبادات كلها مرتبطة بالزمن ومتعلقة به، سواء كانت يومية، أو شهرية، أو سنوية، أو على مدى العمر، أو كانت عارضة، كالطلاق، والزواج، وعدة المطلقة والأرملة، أو الكفارات، أو التحلل من الإحرام في الحج، أو القتال. وقد شدد الإسلام على الدقة في التعامل مع الوقت، لان الكثير من العبادات لا تصح إلا في أوقات محددة لا يجوز فيها التقديم ولا التأخير، فالحج لا يصح إلا في الأيام المعدودة التي فرض الله فيها هذه الفريضة قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾[البقرة: ١٩٧] ومما جاء في تفسير الطبري قوله: اختلف أهل التأويل في قوله تعالى: «الحج أشهر معلومات». فعن ابن عباس قوله: (وهن: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة، جعلهن الله سبحانه للحج، وسائر الشهور للعمرة، فلا يصلح أن يحرم أحد بالحج إلا في أشهر الحج، والعمرة يحرم بها في كل شهر). وعن ابن عمر قال: (أن تفصلوا بين أشهر الحج والعمرة فتجعلوا العمرة في غير أشهر الحج، أتم لحج أحدكم وأتم لعمرته). وعن محمد بن سيرين قال: (ما أحد من أهل العلم شك أن عمرة في غير أشهر الحج أفضل من عمرة في أشهر الحج).

وأما الذين قالوا: تأويل ذلك: شوال، وذو القعدة، وعشر ذي الحجة، فإنهم قالوا: إنما قصد الله جل ثناؤه بقوله: «الحج أشهر معلومات» إلى تعريف خلقه ميقات حجهم، لا الخبر عن وقت العمرة. قالوا: فأما العمرة، فإن السنة كلها وقت لها، لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه اعتمر في بعض شهور الحج، ثم لم يصح عنه بخلاف ذلك خبر. قالوا: فإذا كان ذلك كذلك، وكان عمل الحج ينقضي وقته

بانقضاء العاشر من أيام ذي الحجة علم أن معنى قوله: «الحج أشهر معلومات» إنما هو ميقات الحج، شهران وبعض الثالث.

قال الطبري: والصواب من القول عندنا، قول من قال: إن معنى ذلك: الحج شهران وعشر من الثالث؛ لأن ذلك من الله خبر عن ميقات الحج، ولا عمل للحج يعمل بعد انقضاء أيام منى، فمعلوم أنه لم يعن بذلك جميع الشهر الثالث، وإذا لم يكن معنيا به جميعه، صح قول من قال: وعشر ذي الحجة. ثم علل بقوله: قيل: إن العرب لا تمتنع خاصة في الأوقات من استعمال مثل ذلك، فتقول: «له اليوم يومان منذ لم أره»، وإنما تعني بذلك: يوما وبعض آخر، قلت وقد رخص سبحانه في التعجل تيسرا على عباده فقال: ﴿۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

ومثل ذلك في الصوم المفروض، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾[البقرة: ١٨٣-١٨٤] والأيام المعدودات هي شهر رمضان بطوله فلا يصح الصوم المفروض إلا فيه قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وكل صوم فيما سواه، فمن السنن والنوافل والتطوع. وقد رخص سبحانه الفطر في رمضان للمريض، والمسافر، وغير القادر لعجز أو كبر قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ

تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤] ويستدل من الآية على فضل الصوم على الفطر وان مع رخصة والله اعلم.

وكذلك فالصلاة لها وقت محدد لا تصح إلا به قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣] أي مفروضا في وقته، فدل ذلك على فرضيتها، وأن لها وقتا لا تصح إلا به، وهو هذه الأوقات التي قد تقررت عند المسلمين صغيرهم وكبيرهم، عالمهم وجاهلهم، وأخذوا ذلك عن نبيهم محمد ﷺ كما في حديث مالك بن الحويرث وفيه: «وصلوا كما رأيتموني أصلي فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم». (البخاري برقم ٦٣٤). ولا بد من الحرص على أداء الصلاة في وقتها المفروض، لقول رسول الله ﷺ لما سئل أي العمل أحب إلى الله قال «الصلاة على وقتها». (البخاري برقم ٥٢٦). وقد جاء ذكر الزمان بإشكال متعددة، فتارة تأتي الأوقات مفصلة لتدل على أجزاء محددة كاليوم والشهر وما إلى ذلك، وطورا تأتي دون تحديد واضح فتحسب مدتها بالتقدير، كالغسق والضحى وما إلى ذلك، وفي أحيان أخرى تأتي للدلالة على الوقت الذي لا تحده البداية ولا النهاية، إذ ليس بمقدور البشر تصور ذلك أو تقديره، كالدهر والسرمد والتاريخ، فيكون التقدير فيه لله سبحانه خالق الزمان ومفصله والقادر عليه.

اليوم

وهو عند الله بطول لا يعلمه إلا الله سبحانه، قال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] فلا يعلم طول يوم الدين أو يوم القيامة إلا الله. كذلك فقد صرح سبحانه في مواضع أخرى بطول اليوم عنده فقال جل ذكره: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ

ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: ٥] وقال: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]. وأما في عرف البشر فهو ما يقدر بالوقت الذي تستغرقه الأرض للدوران حول نفسها مرة واحدة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥] ومما دل عليه اليوم في الآية الوقت أو الحين.

ومن الأيام التي ذكرت في القران: السبت قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِي ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٥٤] كما ذكر يوم الجمعة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩] وورد ذكر لأيام محددة لما لها من فضل قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٤] والمقصود أيام شهر رمضان. وقال تعالى: ﴿ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٠٣] والمقصود هنا أيام التشريق الثلاثة بعد يوم النحر. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [يونس: ٣] وقال تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا

رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾ [الحج: ٢٨] وهذه الأيام هي أيام الحج التي تبدأ من يوم التروية الثامن من ذي الحجة وتستمر إلى اليوم الثالث عشر منه وهو آخر أيام التشريق. وفيها يوم عرفة التاسع من ذي الحجة أفضل الأيام. وفيها يوم النحر العاشر منه.

الساعة

ويقسم اليوم إلى أربع وعشرين قسما يسمى كل منها ساعة في تقدير البشر، وان كانت الساعة أيضا تعنى جزءا غير محدد من النهار او الليل، فهي بعض منه، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤] فهي هنا بمعنى اللحظة، أي اقصر مدة يمكن تصورها من الزمن. وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥] فهي هنا بمعنى الجزء من النهار طال أم قصر، وفي قوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ [التوبة: ١١٧] فهي هنا فترة غير محددة قد تطول وقد تقصر، وقد تعني أياما، وفي قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٧] فهي هنا بمعنى الآخرة أو يوم القيامة.

النهار

وهو يبدأ من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ودليل ذلك أن الصيام فرض على الأمة في النهار دون الليل، ويبدأ من الأذان الثاني؛ أذان ابن أم مكتوم في عهد رسول الله ﷺ، قال ابن كثير: وقد وَرَدَ في الصحيحين من حديث القاسم، عن

عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يمنعكم أذانُ بلال عن سَحُوركم، فإنه ينادي بليل، فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر». (رواه البخاري في باب الصوم برقم١٩٥٣). وقال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧] وقد ورد ذكر النهار في أكثر من موضع في القران الكريم قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] وللنهار أقسام كما لليل أولها:

السحر

والسحر: آخر الليل قُبَيْل الصبح، وهو تنفُّس الصبح. وقيل: هو من ثلث الآخِرِ إلى طلوع الفجر. والجمع أَسحارٌ. والسحر قطعة من الليل. وسحر كل شيء: طَرَفُه. قال تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨].

الفجر

ويبدأ الفجر من انقضاء الليل، أي من زوال العتمة روى ابن كثير: عن قيس بن طَلْق، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الفجرُ المستطيل في الأفق ولكنه المعترض الأحمر». ورواه أبو داود، (برقم ٢٣٥٠ باب وقت السحور) والترمذي ولفظهما: «كلوا واشربوا ولا يَهيدَنَّكُمْ الساطع المصعد، فكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر». قال تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] قال ابن كثير: روى الإمام أحمد: عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ ـ وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ

قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ قال: «تشهده ملائكة الليل، وملائكة النهار». ورواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن صحيح. وروى الطبري أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تَجْتَمِعُ مَلائِكَةُ اللَّيْلُ وَمَلائِكَةُ النَّهارِ فِي صَلاةِ الفَجْرِ»، ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾. وقد نقل ذلك عن كثير من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم.

الصبح والصباح والشروق

وذلك مما يلي الفجر ويستمر إلى وقت الضحى، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[هود: ٨١] وهما أول تباشير النهار موعد طلوع الشمس، قبله بقليل، وبعده بقليل.

وأَشْرَقَت الشمسُ إشراقا: أضاءت وانبسطت على الأَرض، وقيل: شَرَقَت وأَشْرَقت طلعت، (الباحث: لسان العرب). قال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨].

الضحى

وبداية وقته من ارتفاع الشمس قدر رمح إلى قرب الزوال، وقال ابن باز في نور على الدرب: (موقع: binbaz. org. sa ٢٠١١/١٢/٢٤): (وقتها واسع، أي صلاة الضحى، من ارتفاع الشمس قيد رمح أي من بعد طلوعها بنحو ربع ساعة إلى وقوف الشمس قبل الظهر بنحو ربع ساعة أو ثلث ساعة، كل هذا محل صلاة الضحى، وإذا كان في وقت شدة الضحى وارتفاع الضحى يكون أفضل. (وقد أقسم سبحانه بالضحى قال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضُّحى: ١-٢].

الغدو والعشي والبكرة والأصيل

الغدو، بالضم: البُكْرَة ما بين صَلاةِ الغَداة وطلُوعِ الشمس. وأما العشي: إذا زالت الشَّمْسُ، فَتَحَوَّلَ الظلُّ شَرْقِياً وتحوَّلت الشمْسُ غَرْبيَّة؛ قال الأزهري: يَقَع العشي على ما بَيْنَ زَوالِ الشمْسِ إلى وَقْت غُروبها، كل ذلك عشي، فإذا غابَتِ الشَّمْسُ فهو العِشاءُ، وقال: وصلاتا العشي هما الظُّهْر والعَصْر. وفي (البخاري برقم ١٢٤٠): (حدثنا حفص بن عمر، حدثنا يزيد بن إبراهيم، عن محمد عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال صلى النبي ﷺ إحدى صلاتى العشي ـ قال محمد وأكثر ظني العصر ـ ... الحديث). (لسان العرب). قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨]. والإبْكارُ: الإصباح، والبُكُور والتَّبْكيرُ: الخروج في ذلك الوقت. والإبْكارُ: الدخول في ذلك الوقت. والأصيل: العَشِيُّ (لسان العرب) قال تعالى: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤٢].

الظهر

ووقته من زوال الشمس اي دلوكها إلى العصر، قال تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨].

العصر

ووقته من انتهاء وقت الظهر، وهو من أن يصير ظل الشيء مثله إلى أن يصير ظل الشيء مثليه، وقد اقسم سبحانه بالعصر، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

الصباح والمساء

وهما وقتان فاصلان بين الليل والنهار، فالصباح يفصل الليل عن النهار وقت الشروق، والمساء يفصل النهار عن الليل وقت الغروب. قال تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾[الروم: ١٧] والآية الكريمة تحث على ذكر الله سبحانه على كل حال، وذلك من أعمال الصباح والمساء، فالمؤمن يبدأ نهاره بذكر الله وكذلك يختمه به، كما يبدأ ليله ويختم به أيضا، فسبحان الله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

الليل

قال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[الأنعام: ٩٦] ويقدر الليل بالفترة الزمنية ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر التالي، وفي الليل أوقات محددة لعدد من العبادات التي لا تتم إلا في الليل منها: صلاة المغرب، والعشاء، والتراويح، والتهجد والقيام. والكسوف، والوتر. والوقوف بعرفة، وقد ورد ذكر عدد من الليالي الفضيلة قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٥١] جاء في التفاسير أن الأربعين هي شهر ذي القعدة والعشر من ذي الحجة، والله اعلم. وقال تعالى: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ٢] وهي العشر الأولى من ذي الحجة. قال العلماء هذه العشر هي أفضل الأيام (أي نهارها)، يسن فيها الصيام لفضلها، ويقابلها الليالي العشر الأخيرة من رمضان وفيها ليلة القدر، أفضل الليالي، ويسن في هذه العشر القيام. وقال تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ

شَهۡرٖ﴾ [القدر: ٣] وتجدر الإشارة هنا إلى أن الوقوف بعرفة يكون بجزء من النهار متبوعا بجزء من الليل في اتصال ودون تفريق.

الغسق والدلوك

قال تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٨] أما الدلوك فقد جاء في الطبري قوله (بايجاز): واختلف أهل التأويل في الوقت الذي عناه الله بدلوك الشمس، فقال بعضهم: هو وقت غروبها، والصلاة التي أمر بإقامتها حينئذ: صلاة المغرب. وممن قال ذلك، عبد الله بن مسعود، كان على سطح حين غربت الشمس، فقرأ (أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ). حتى فرغ من الآية، ثم قال: والذي نفسي بيده إن هذا لَحِينَ دَلَكَتِ الشمس وأفطر الصائم ووقت الصلاة. وقال أيضا: عن ابن عباس، قال: دلوكها: غروبها. ثم قال: وقال آخرون: دلوك الشمس: ميلها للزوال، والصلاة التي أمر رسول الله ﷺ بإقامتها عند دلوكها: الظهر. وممن قال ذلك، ابن عمر، في قوله ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ قال: دلوكها: ميلها. وعن الحسن قال: قال الله عزّ وجلّ لنبيّه محمد ﷺ ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ قال: الظهر دلوكها، إذا زالت عن بطن السماء، وكان لها في الأرض فيء. قلت والحاصل من ذلك أن وقت دلوك الشمس، كان ذلك عند زوالها أم عند غروبها، إنما هو وقت عبادة وصلاة، ظهرا كانت أم مغربا، فلا ضرر من اختلاف التسمية ما دامت العبادة خالصة لله سبحانه. وقد رجح الطبري قول من قال الدلوك الزوال قال: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بقوله (أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ): صلاة الظهر، وذلك أن الدلوك في كلام العرب: الميل، يقال منه: دلك فلان إلى كذا: إذا مال إليه.. فإذا كان معنى الدلوك في كلام العرب هو الميل، فلا

شكّ أن الشمس إذا زالت عن كبد السماء، فقد مالت للغروب، وذلك وقت صلاة الظهر، وبذلك ورد الخبر عن رسول الله ﷺ، وإن كان في إسناد بعضه بعض النظر. وروى عن أبي مسعود عقبة بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جُبْرَائِيلُ عليه السلام لِدُلُوكِ الشَّمْسِ حِينَ زَالَتْ فَصَلَّى بِيَ الظُّهْرَ». ثم قال ابن جرير: فإذا كان صحيحا ما قلنا بالذي به استشهدنا، فبين إذن أن معنى قوله جلّ ثناؤه (أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) أن صلاة الظهر والعصر بحدودهما مما أوجب الله عليك فيهما لأنهما الصلاتان اللتان فرضهما الله على نبيّه من وقت دلوك الشمس إلى غسق الليل، ومما جاء في معنى الغسق ووقته قول الطبري: وغسق الليل: هو إقباله ودنوه بظلامه، كما قال الشاعر:

آبَ هَــــذَا اللَّيْــــلُ إذْ غَــــسَقَا

وقال: وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في الصلاة التي أمر رسول الله ﷺ بإقامتها عنده، فقال بعضهم: الصلاة التي أمر بإقامتها عنده صلاة المغرب. فعن قتادة قال: (إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) بدو الليل لصلاة المغرب. وقد ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْفِطْرَةِ مَا صَلَّوْا الْمَغْرِبَ قَبْلَ أَنْ تَبْدُوَ النُّجُومُ». وقال آخرون الصلاة عند الغسق العصر وممن قال ذلك، قال: حدثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن أبي جعفر (إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) قال: صلاة العصر. ثم قال: وأولى القولين بالصواب، قول من قال: الصلاة التي أمر النبيّ ﷺ بإقامتها عند غسق الليل، هي صلاة المغرب دون غيرها، لأن غسق الليل هو ما وصفنا من إقبال الليل وظلامه، وذلك لا يكون إلا بعد مغيب الشمس. فأما صلاة العصر، فإنها مما تقام بين ابتداء دلوك الشمس إلى غسق الليل، لا عند غسق الليل.

قلت: ومن الجدير بالذكر أن من تمعن في الآية الكريمة يجدها قد جمعت أوقات الصلوات كلها، في اليوم والليلة؛ فمن الدلوك إلى الغسق صلاة الظهر عند الدلوك، ثم صلاة المغرب عند الغسق، وبينهما صلاة العصر. ثم من الغسق إلى الفجر، صلاة العشاء بعد الغسق، إلى قران الفجر المشهود، وهو صلاة الفجر، وما بينهما القيام في كل ليلة، والتراويح في رمضان، ثم من قران الفجر إلى الدلوك، أي من الفجر إلى الظهر التالي، وبينهما صلاة الضحى، وبذلك يكتمل اليوم بجميع صلواته.

المغرب

ووقته عند غروب الشمس ويمتد إلى غياب الشفق الأحمر عند الجمهور. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦] وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩] قال الطبري: وقوله (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) يقول: ومن الليل فعظم ربك يا محمد بالصلاة والعبادة، وذلك صلاة المغرب والعشاء.

العشاء

ووقته من غياب الشفق الأحمر إلى نصف الليل أو ثلثه. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩] قال بعض المفسرين: (ومن الليل) أي من وقت صلاة المغرب، (وادبار النجوم) أي وقت صلاة الفجر (فسبحه) أي في الليل وذلك وقت صلاة العشاء وما بعدها من صلوات التطوع، والله اعلم. وقال سبحانه: ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾ [النور: ٥٨].

الأمس والغد

وهما ظرفان يدلان على الزمان، فالأمس تدل على اليوم الذي قبل هذا اليوم، والأيام التي سبقته، فكل ما مضى من الأيام فهو الأمس، وعندما تستعمل المفردة منكرة دون أل التعريف؛ فإنها تدل على اليوم الذي سبق هذا اليوم دون غيره، وكثيرا ما يستعمل معها ظرف آخر ليؤكدها؛ نقول صباح أمس، أو مساء أمس، وهكذا. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِ﴾ [يونس: ٢٤]. أما الغد فإنها تدل على ثاني اليوم والأيام التي تلي هذا اليوم. قال تعالى: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗا﴾ [لقمان: ٣٤] وإذا استعمل معها ظرف آخر أو بينة دلت على الغد ثاني اليوم، كقولنا، أراك صباح الغد، أو غدا مساء وهكذا. قال تعالى: ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢].

الغدو الرواح

تكلمنا عن الغدو، أما الرواح: فهو نقيضُ الصَّباح، وهو اسم للوقت، وقيل: العَشِيُّ، وقيل: من لَدُن زوال الشمس إلى الليل. والرواح: العَودِ إلى البيوت، قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞ﴾ [سبأ: ١٢] أي تحمله شهرا في ذهابه وشهرا في إيابه.

السرمد والدهر والحين

وهي أزمان غير محدودة بطول ولا يعلم لها بداية ولا نهاية إلا الله سبحانه قال تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم

بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص: ٧١]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤]. وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] فالحين: الدهرُ، وقيل: وقت من الدَّهر مبهم يصلح لجميع الأَزمان كلها، طالت أَو قَصُرَتْ، يكون سنة وأَكثر من ذلك، وخص بعضهم به أَربعين سنة أَو سبع سنين أَو سنتين أَو ستة أَشهر أَو شهرين. قال تعالى: ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٥]؛ قيل: كلَّ سنةٍ، وقيل: كُلَّ ستة أَشهر، وقيل: كُلَّ غُدْوةٍ وعَشِيَّة. قال الأَزهري: فالمعنى: أَنه ينتفع بها في كل وقت لا ينقطع نفعها البتة. والحين المُدَّة؛ أَو الوقت من الزمان، يقال: حينئذ؛ قال خُوَيْلِدٌ:

كـابي الرَّمـادِ عظـيمُ القِـدْرِ جَفْنَتُـه ... حـينَ الـشتاءِ، كَحَـوْضِ المَنْهَـلِ اللَّقِـفِ

وقال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: ١٧٤]؛ أَي حتى تنقضي المُدَّةُ التي أُمْهِلوا فيها وقال جل من قائل: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: ٨٨]؛ أَي بعد قيام القيامة، وقيل بعد موت. وجمع الحين أَحْيانٌ، وأَحايينُ جمع الجمع، (الباحث: لسان العرب).

الأعياد

نحن المسلمين لنا أعياد كغيرنا من الأمم، ولكن الله سبحانه جعل لأعيادنا نكهة خاصة تميزنا عن غيرنا؛ فليس في أعيادنا فجور ولا فسوق ولا رفث ولا معصية، بل هي مظهر من مظاهر التقرب إلى الله سبحانه، لذلك نجد الأعياد الإسلامية ترتبط ارتباطا وثيقا بالعبادات. نحن لنا عيدان عظيمان في السنة، يرتبطان بعبادتين عظيمتين، بل بركنين من أركان ديننا الحنيف، الأول، الفطر وهو ما يعرف

عند العامة بالعيد الصغير، ويرتبط بالركن الرابع وهو الصوم؛ فبعد أن يؤدي المسلمون فريضة الصوم في رمضان، وبعد ما يبذلون فيه من الجهد في الصيام نهاره، وفي القيام ليله، وكدليل على شكرهم لله سبحانه على ما وفقهم فيه للقيام بواجبات ذلك الركن العظيم، ورجاء أن يتقبل ما قدموا فيه من طاعة، يحتفلون في صبيحة شوال، أول أيام فطرهم بعد الصيام والقيام، يحتفلون بعيد الفطر، ودلالة على الاستمرار في إظهار الطاعة الخالصة لله سبحانه، يبدؤون العيد بالصلاة شكرا لله على توفيقه، ورجاء للقبول والمغفرة والرحمة، وتلك صلاة العيد بتكبيراتها العظيمة؛ الله اكبر الله اكبر، وعيدنا الثاني أيضا يرتبط بعبادة عظيمة أخرى، وذلك الحج وهو خامس أركان الدين الحنيف، وعيده النحر، وهو المعروف عند العامة بالعيد الكبير. فبعد ان يؤدي المسلم شعائر الحج؛ من طواف وسعي ووقوف بعرفة، وبعد الجهد والتعب يعلن استمراره على الطاعة والولاء لله سبحانه، فينحر هديه ويرمي الجمار ويقصر شعره، ليظهر فرحته بأداء الفريضة، ويسال الله القبول والمغفرة.

هذان العيدان، الفطر والنحر، هما لنا في كل عام، يرتبط الأول كما ذكرنا بعبادة عظيمة هي الصيام، وكذلك يرتبط جزئيا بعبادة عظيمة أخرى هي الزكاة، ففيه زكاة الفطر، وهي إحدى أنواع الزكاة المفروضة. كما يرتبط العيد الثاني بالحج كما أسلفنا. ثم بعد ذلك لنا عيد آخر وهو عيد عظيم في كل أسبوع، وذلك يوم الجمعة وهو خير يوم طلعت عليه الشمس، كما في الحديث الشريف عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة». (صحيح مسلم برقم ٢٠١٤). ومن مظاهر العيد في هذا اليوم اجتماع الناس لصلاة الجمعة، مع الغسل والتطيب ولبس أفضل الثياب. وبهذا فان هذه الأيام الثلاثة، الفطر والنحر والجمعة، تجمع أركان الإسلام الخمسة.

الشهر والسنة

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦] وجاء في (البخاري برقم ٤٧٠٨) عن أبي بكرة عن النبي ﷺ قال «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم... الحديث».

(والشهر القمري هو مدة دوران القمر حول الأرض، وهي عبارة عن حركته من نقطة معينة في فلكه إلى أن يعود إلى تلك النقطة، والعرب تقول: رأيت الشهر أي: رأيت هلاله. ويعرف الشهر القمري فلكيا؛ بأنه دورة القمر حول الأرض منسوبة إلى موقع الشمس في صفحة السماء، وهي دورة معقدة يدخل فيها دوران القمر حول الأرض، ودورانه مع الأرض حول الشمس، ومع باقي أفراد المجموعة الشمسية حول مركز المجرة وما فوق ذلك من حركات لا يعلمها إلا الله تعالى. ونتيجة لهذه الحركات المتعددة فإن القمر يمر بين الأرض والشمس فيكون وجهه المنير في اتجاه الشمس ووجه المظلم في اتجاه الأرض وتسمي هذه المرحلة باسم مرحلة المحاق أو مرحلة الاقتران؛ وبمجرد خروج القمر عن هذا الوضع يبدأ أهل الأرض في رؤية حافته المنيرة التي تؤذن بميلاد شهر قمري جديد. وبتواصل دوران القمر حول الأرض تزداد مساحة الجزء المنير من سطحه المواجه لنا، فيتحرك من الهلال الوليد إلى الهلال المتنامي إلى التربيع الأول إلى الأحدب المتنامي إلى البدر الكامل، ثم تبدأ مساحة الجزء المنير من سطح القمر المواجه لنا في التناقص التدريجي حتى المحاق، ويمر خلال التناقص تلك بمراحل الأحدب المتناقص ثم التربيع الثاني ثم الهلال المتناقص إلى المحاق، ليختتم شهرا قمريا ويؤذن بميلاد شهر جديد مع هلال وليد جديد). (الحاوي) باختصار.

(ومن المراحل الأربعة، الهلال والتربيع الأول والبدر والتربيع الأخير والمحاق، جاءت الأسابيع، وكل منها سبعة أيام، ويكون القمر قد امضي في مسيره ثمانية وعشرين يوما، ثم تأتي فترة المحاق التي تقدر بيوم ونصف اليوم تقريبا، وبذلك يكتمل الشهر القمري حوالي (٢٩,٥) يوما، وبتكرار تلك الدورة اثنتا عشرة مرة تكتمل السنة القمرية التي تقدر بـ(٣٥٤,٣٧ يوما). قال تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس: ٣٩].

الأعداد والحساب

وقد ورد الكثير منها كقيم ثابتة مفصلة معروفة، ولا بد للمسلم من معرفتها، فهي تلزمه في تقسيم الإرث ومعرفة أنصبة الزكاة وغير ذلك من الأحكام.

العشر (المعشار) والثمن

قال تعالى: ﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ﴾ [سبأ: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم﴾ [النساء: ١٢].

السدس والثلث والنصف والثلثان

﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ [النساء: ١١].

الخمس والربع

قال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ﴾ [الأنفال: ٤١]... الآية، وقال تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ﴾ [النساء: ١٢].

الواحد والاثنان

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦].

الثلاثة والأربعة والخمسة والستة والسبعة

قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ﴾ [المجادلة: ٧] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

الثمانية والتسعة والعشرة

وقال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧] وقال تعالى: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨] وقال تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦].

احد عشر واثنا عشر

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يوسف: ٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة: ٣٦].

التسعة عشر والعشرون والمائة والمائتان والألف

قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠] وقال تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥].

الثلاثون والأربعون والخمسون والستون

قال تعالى: ﴿۞ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢] وقال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤] وقال تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة: ٤].

السبعون والثمانون والتسعة والتسعون

قال تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣].

الثلاثمائة

قال تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥].

الألفان والثلاثة آلاف

قال تعالى: ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٦] وقال تعالى: ﴿إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٤].

الخمسة آلاف والخمسون ألفا والمائة ألف

قال تعالى: ﴿إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥] وقال تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج: ٤] وقال تعالى: ﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٧].

ألفاظ ذات مدلول قيمي

وقد ورد في القران ا مجموعة من الألفاظ التي تدل على قيم عددية، تقدر بحسب اللفظ منها:

الحقبة

قال تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾ [النبأ: ٢٣] والحقبة مفرد الأحقاب، وقد اختلف المفسرون في مقدار الأحقاب، وعلى العموم هي مدة لا يعلم طولها إلا الله سبحانه.

الرهط والعصبة والفئة

قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا

يُصْلِحُونَ ﴾ [النمل: ٤٨] والرهط هنا بمعنى النفر أي تسعة أنفار، وقال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ [هود: ٩١]، أما هنا فالرهط بمعنى الجماعة. وقال تعالى: ﴿ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴾ [يوسف: ١٤] قال ابن كثير في التفسير: العصبة جماعة يعني: ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة، والفئة: الجماعة من الناس، قال تعالى: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ [الكهف: ٤٣].

البضع والزوج

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢]، قال الطبري في معنى البضع: والصواب في «البضع» من الثلاث إلى التسع، إلى العشر، ولا يكون دون الثلاث. وكذلك ما زاد على العقد إلى المائة، وما زاد على المائة فلا يكون فيه «بضع». وقال تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٩] وهي تدل على الاثنين.، كما ورد في القران من عمليات الحساب

الجمع والقسمة

قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ [القيامة: ٣] أي نعيد ضم بعضها إلى بعض، قال الطبري: أيظنّ ابن آدم أن لن نقدر على جمع عظامه بعد تفرّقها، بلى قادرين على أعظم من ذلك، أن نسوي بنانه، وهي أصابع يديه ورجليه، فنجعلها شيئا واحدا كخفّ البعير، أو حافر الحمار. وقال تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ

﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾[النجم: ٢١-٢٢] أي قسمتكم هذه قسمة جائرة غير مستوية، ناقصة غير تامة، لأنكم جعلتم لربكم من الولد ما تكرهون لأنفسكم.

المساواة

أن المساواة تكون بين المختلِفين في الجِنْس وكذلك بين المتَّفقين، لأَن التَّساوِي هو التكافُؤُ في المِقْدار لا يزيد ولا ينقُص، واسْتَوى الشَّيْئَان وتَساوَيا: تَماثلا. وهذا لا يُساوي هذا أَي لا يعادِلُه. ويقال: ساوَيْتُ هذا بذاكَ إِذا رَفَعْته حتى بلَغ قَدْره ومَبْلَغه. ويقال: ساوى الشيءُ الشيءَ إذا عادَلَه. وقد وردت في القران الكريم الألفاظ التي تدل على المساواة أو التساوي بمعانيها ومدلولاتها المختلفة في مواضع كثيرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ [الكهف: ٩٦] أي جعل ما وضع بينهما من الحديد بمستوى قمتيهما فساواهما، وقوله: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠]، اي لا يتساوى هذا مع ذاك، وقوله: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]. اي هما متماثلان متساويان.

الأقل والأكثر

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٤] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥].

القسم الثامن

الملابس

الإستبرق والسندس والحرير

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴾ [الكهف: ٣١] قال الطبري: والسندس: جمع واحدها سندسة، وهي ما رقّ من الديباج، والإستبرق: ما غلظ منه وثخُن، وقيل: إن الإستبرق: هو الحرير، ومنه قول المُرقش:

تـــرهن يلبـــسن المـــشاعر مـــرة وإســـتبرق الـــديباج طـــورا لباســـها

يعني: غليظ الديباج.

الثياب والكسوة والسرابيل

وهي كل ما يلبس ليستر العورة، ويقي من الحر والبرد، أو يلبس للزينة. أو لأي غرض آخر كعدة الحرب والمناسبات وغيرها. قال تعالى:﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡ ﴾ [النحل: ٨١] وقال سبحانه: ﴿ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾ [هود: ٥] وقال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

الجلباب والقميص والخمار

جاء في (لسان العرب). الجلباب: القَمِيصُ. وهو ثوب أَوسَعُ من الخِمار، دون الرِّداءِ، تُغَطِّي به المرأَةُ رأْسَها وصَدْرَها؛ وقيل: هو ثوب واسِع، دون المِلْحَفةِ، تَلْبَسه

المرأةُ؛ وقيل: هو المِلْحفةُ. قالت جَنُوبُ أُختُ عَمْرٍو ذي الكَلْب تَرْثِيه:

تَمْشِي النُّسورُ إليه، وهي لاهِيةٌ   مَشْيَ العَذارَى، عليهنَّ الجَلابِيبُ

معنى قولها وهي لاهيةٌ: أَن النُّسور آمِنةٌ منه لا تَفْرَقُه لكونه مَيِّتاً، فهي تَمْشِي إليه مَشْيَ العذارَى. وقيل: هو ما تُغَطِّي به المرأَةُ الثيابَ من فَوقُ كالمِلْحَفةِ؛ وقيل: هو الخِمارُ. قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] قال ابن السكيت: الجلباب الخِمارُ؛ وقيل: جلباب المرأَةِ مُلاءَتُها التي تَشْتَمِلُ بها، واحدها جلباب، والجماعة جَلابِيبُ. وقال تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖ﴾ [يوسف: ١٨] والخمار للمرأَة، وهو النَّصِيفُ، وقيل: الخمار ما تغطي به المرأة رأْسها، والنصيف: الخِمار، وقد نَصَّفَتِ المرأَةُ رأْسها بالخمار. وانتَصَفَت وتَنَصَّفت أَي اختمرت، قال النابغة يصف امرأَة:

سقَطَ النصيف ولم تُرِد إسقاطَه   فَتناوَلَتْه واتَّقَتْنا باليَدِ

الغزل

غَزَلَت المرأة خيط القطن أو خيط الكتان وغيرهما تَغْزله غَزْلاً، وكذلك اغْتَزَلَتْه وهي تَغْزِل بالمِغْزل، والغزل أَيضاً: المغزول. والمغزل: أداة الغزل. قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثٗا﴾ [النحل: ٩٢].

النعال

النعل: الحذاء وهو ما يلبس في القدم لحمايتها مما في الطريق من شوك أو حصى أو طين أو كل ما يؤذي. قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ [طه: ١٢].

القسم التاسع

الأدوات والأثاث

وهي كل ما يستعمله الإنسان لقضاء حوائجه او للزينة في حياته اليومية، سلما وحربا.

الأباريق والأكواب والكأس

قال تعالى: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٨] والكوب هو القدح تطلق على إناء الشرب الفارغ فإذا امتلأ سمي كأسا، والأباريق هي الأوعية الكبيرة التي يحمل فيها الشراب ويصب منه في الأكواب

الأثاث والمتاع والفراش

وهو كل ما يستعمله الإنسان في بيته، من فرش وملابس، وأدوات للطبخ والأكل والشرب والزينة وما إلى ذلك قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠] وقال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤].

الأرائك

وهي جمع أريكة، والأريكة: السرير المنجد المزين، وقيل: هي الفُرُش، وقيل: هو كُلّ ما اتُّكِئَ عليه من سرير أَو فِراش أَو مِنَصَّةٍ. قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠] (الباحث: لسان العرب).

الأساور والحلي

قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴾ [فاطر: ٣٣] والأساور معروفة مفردها سوار، أما الحلي فهي اسم يجمع كل ما تستعمله النساء للزينة من أقراط وأساور وخواتم وغير ذلك.

الأقلام

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٤٤] ومعنى الأقلام هنا السهام أو العصي التي يلقي بها المستهمون للقرعة. وأما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [لقمان: ٢٧] فهي هنا بمعنى أداة الكتابة.

الأسفار والسجل والكتب

قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢا﴾ [الجمعة: ٥] والأسفار: الكتب، واحدها سفر. وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِ﴾[الأنبياء: ١٠٤] قال الطبري: والسجل الصحيفة، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، فإن قال قائل: وكيف نطوي الصحيفة بالكتاب إن كان السجل صحيفة؟ قيل: المعنى، يوم نطوي السماء كطيّ السجل على ما فيه من الكتاب، وياتي الكتاب بمعنى الرسالة، قال تعالى: ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴾ [النمل: ٢٨].



الألواح والدسر

الالواح معروفة، وهي المسطحات من المواد كالزجاج والخشب والحديد وغيره، ومنها ما يشد بعضه الى بعض لتصنع منه الاجسام والادوات والالات، كما تشد الواح الحديد او الخشب الى بعضها البعض لتصنع منها السفن والمراكب، والقاطرات وغيرها، قال تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر: ١٣] والدسر وهي المسامير التي تشد الخشب بعضه الى بعض. والمقصود بالاية الكريمة هي سفينة نوح عليه السلام. والالواح ايضا هي الاجسام المسطحة من الخشب وغيره التي تستعمل للكتابة، قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

الآنية والقوارير

الانية جمع إناء وهو ما يستعمل للشرب أو للطبخ أو للحفظ وغيره. قال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾[الإنسان: ١٥] والقوارير الزجاجات. واحدتها قارورة من الزُّجاج، وهي ما قَرَّ فيه الشرابُ وغيره، وقيل: لا يكون إِلا من الزجاج خاصة. وقوله تعالى: ﴿قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٦]؛ قال بعض أَهل العلم: معناه أَوانيَ زُجاج في بياض الفضة وصفاء القوارير. (الباحث: لسان العرب).

الأوتاد

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ [ص: ١٢] وقيل في معنى الأوتاد هي أدوات للعب، وقيل معناها البنيان، وقيل العصي الغليظة (وهو المعنى الشائع المتداول).

الأوعية والأقفال

قال تعالى: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾ [يوسف: ٧٦] والوعاء ما يستعمل لتحفظ فيه الأشياء والحاجات وغيرها. وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤].

التابوت

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٨] والتابوت معروف وهو ما يحمل عليه الميت.

الجفان والجواب والتماثيل والقدور

قال تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ: ١٣]... الآية، قال الطبري في التفسير: وقوله (وَتَمَاثِيلَ) يعني أنهم يعملون له تماثيل من نحاس وزجاج، وقوله (وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ) يقول: وينحتون له ما يشاء من جفان كالجواب، وهي جمع جابية والجابية: الحوض الذي يجبى فيه الماء، كما قال الأعشى ميمون بن قيس:

تروح على نادي المحلق جفنة ... كجابية الشيخ العراقي تفهق

وقال: حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله (وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ) يعني بالجواب: الحياض... قلت والجفان جمع جفنة وهي الوعاء الكبير، والحياض جمع الحوض. والمحاريب المساجد.

الحبل والمسد

قال تعالى: ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ [المَسَد: ٥] وقد اختلف في معنى المسد فقيل، شجر يفتل تصنع منه الحبال، وقيل العصا التي تكون في البكرة، وقيل الحديد الذي في البكرة، وقيل الليف، وقيل النار، وقيل الأمساد جمع مسد وهو الحبل.

الحجاب والستر

الحجاب: السِّتْرُ. نقول: حَجَبَ الشيءَ يَحْجُبُه حَجْباً: سَتَرَه. قال تعالى: ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم: ١٧] وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾ [الكهف: ٩٠] يقول تعالى ذكره: ووجد ذو القرنين الشمس تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا، وذلك أن أرضهم لا جبل فيها ولا شجر، ولا تحتمل بناء، فيسكنوا البيوت، وإنما يغورون في المياه، أو يسربون في الأسراب... (أي المغر والسراديب) (تفسير الطبري).

الباب والوصيد

الباب معروف، وهو موضع الدخول والخروج من البيوت والأفنية واليها، وكل ما يستعمل لحفظ شيء أو ستره فإنما يكون له باب يغلق دونه، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾[يوسف: ٦٧]. والوصيد: فِناءُ الدار والبيت. قال تعالى: ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ [الكهف: ١٨].

الحجرات والغرف

والحجرات: المساكن أو أجزاء منها، والغرف كذلك قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحُجُرات: ٤].

الخزائن

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥] والخزائن جمع خزانة أو خزنة وهي كل ما يستعمل لخزن الأشياء وحفظها، طعاما كان ذلك أو قوتا أو حبوبا أو أمتعة أو غير ذلك مما يخزن ويحفظ.

الخياط

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٠] قال الطبري: وسم الخياط هو ثقب الإبرة، وكل ثقب في عين أو أنف أو غير ذلك، فإن العرب تسميه «سَمًّا» وتجمعه «سمومًا»، وهو في جمع «السَّم» الذي هو بمعنى الثقب أفصح. في كلام العرب. وقد يقال لواحد «السموم» التي هي الثقوب «سَمٌّ» و«سُمٌّ» بفتح السين وضمها، ومن «السَّم» الذي بمعنى الثقب قول الفرزدق:

فنفست عن سميه حتى تنفسا وقلت لـه: لا تخش شيئا ورائيا

يعني بسمِّيه، ثقبي أنفه. وأما «الخياط»، وهي الإبرة. قيل لها: «خِيَاط» و«مِخْيَط».

الدلو

قال تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ

وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴾ [يوسف: ١٩] والدلو معروف الذي ينزع فيه الماء من البئر وغيره.

الرفرف والعبقري والزرابي والنمارق

قال تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٍ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ [الرحمن: ٧٦] وقال تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ﴾ [الغاشية: ١٥-١٦] قال الطبري، واختلف أهل التأويل في معنى الرفرف، فقال بعضهم: هي رياض الجنة، واحدتها: رفرفة. وقال آخرون: الرفرف فضول المحابس والبسط. وقال آخرون: بل هي المرافق. وقال: وأما العبقريّ، فإنه الطنافس الثخان، وهي جماع واحدها: عبقرية. وقد ذُكر أن العرب تسمي كل شيء من البسط عبقريا. وذكر عن ابن عباس، قوله: (وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) قال: الزرابيّ. وقيل العبقريّ: الطنافس. وقيل: الديباج. وقيل النمارق: الوسائد والمرافق؛ والنمارق: واحدها نُمْرُقة، بضم النون. وقيل في قوله تعالى: (وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ): وفيها طنافس وبُسُط كثيرة مبثوثة مفروشة، والواحدة: زِرْبية، وهي الطِّنفسة التي لها خمل رقيق.

الرقيم والرق

الرقيم هو الكتاب يكتب فيه، وكانوا قديما يكتبون على الألواح والحجارة وغيرها. وما كتب عليه يسمى الرقيم قال تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٩]، قال بعض المفسرين: الرقيم هو الكتاب الذي كتبت فيه أسماء أصحاب الكهف، ووضع مع حجارة الباب، ليعرفوا فيما بعد. والرق: الصحيفة، أو ما يكتب فيه من جلد وغيره قال تعالى: ﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾ [الطور: ٢-٣]، وقولنا كتاب مَرْقُوم أي قد بُيِّنتْ حروفه بعلاماتها من التنقيط.

السراج

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾[الفرقان: ٦١] والسراج في الآية الشمس. والسراج أداة الاستضاءة كالمصباح وما شابهه.

السرادق

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩] وهو كل ما أحاط بشيءٍ من حائط أو مِضْرَب أو خباء. ومنه الاروقة التي تحيط بصحن المسجد وغيره، وقيل في معنى السرادق: هي الحجرة التي تطيف بالفسطاط، كما قال رؤبة:

يا حكم بن المنذر بن الجارود   سرادق الفضل عليك ممدود

وقال سلامة بن جندل: ويعني: بيتا له سرادق.

هو المولج النعمان بيتا سماؤه   صدور القبول بعد بيت مسردق

السرر

قال تعالى: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴾ [الزُّخرُف: ٣٤] والسرر معروفة، منها ما يتخذ للنوم، ومنها ما يتخذ للاستلقاء والاسترخاء وقت الراحة، ومنها ما يتخذ للجلوس، نقول جلس الملك على سريره أي على كرسي عرشه.

السلم

قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ [الطور: ٣٨].

السقف والقواعد

القواعد: هي الأساس الذي يقوم عليه البناء وهي أسفل البناء، وعليها تقوم الجدران التي تحمل السقف وهو أعلى البناء. قال تعالى: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النحل: ٢٦].

الصحاف

قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾[الزُّخرُف: ٧١]. والصحاف جمع للكثير من الصَّحْفة، والصَّحْفة: القصعة. وجمعها قصاع. وهي الوعاء الذي يقدم فيه الطعام.

الصحف

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ١٣٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨-١٩]والصحف جمع صحيفة، وهي الكتب بعامة وفي الآيات السابقة هي الكتب التي قبل هذا الكتاب: صحف إبراهيم، وصحف موسى (التوراة)، والزبور الذي انزل على داود، والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم.

الصواع والصاع

قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ

زَعِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٢] (والصاع النبوي يساوي أربعة أمداد، والمد يساوي ملء اليدين المعتدلتين، وأما بالنسبة لتقديره بالوزن فهو يختلف باختلاف نوع الطعام المكيل، ومن هنا اختلفوا في حسابه بالكيلو جرام، فمنهم من قدره بـ٢٠٤٠ جراماً، ومنهم من قدره بـ٢١٧٦ جراماً، ومنهم من قدره بـ٢٧٥١ جراماً.. وقدرته اللجنة الدائمة للإفتاء بالسعودية بما يساوي ثلاثة كيلو جرام تقريباً، وهو الذي نميل إليه ونختاره). (ahlalhdeeth. Com، المقادير الشرعية في العصر الحاضر ٢٠١١/١٢/٢٥).

قلت والأصل في الصاع انه وحدة قياس للكم لا للوزن، والأولى أن يبقى كذلك، فهو الأصوب والأصح من الناحية الشرعية، ذلك أن كثافة المواد تختلف، وعلية سيختلف وزن الصاع من مادة إلى أخرى، فعلى سبيل المثال وزن الصاع من الزبيب يختلف عن وزن الصاع من القمح، كذلك وزن الصاع من التمر المكنوز (الجاف) يختلف عن وزن الصاع من نفس نوعية التمر إن كان طازجا رطبا.

العصا والمنسأة

قال تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨] وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ [سبأ: ١٤] والمنسأة هي العصا.

العرش والكرسي

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤] وقد ورد في التفاسير معان عدة للكرسي، منها انه العرش الذي يجلس عليه الملوك للحكم، ومنها انه مكان موضع القدمين في عرش الملوك، ومنها انه أداة الجلوس

المعروفة وغير ذلك من المعاني. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ [النمل: ٤٢] والعرش هو كرسي الحكم الذي يجلس عليه الملوك.

الغطاء

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١] والغطاء هو الستر وهو كل ما يغطى به الشيء ليستره ويواريه.

الفخار والصلصال

قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤]، اي خلق الله الإنسان وهو آدم من صلصال: وهو الطين اليابس الذي لم يطبخ، فإنه من يبسه له صلصلة إذا حرّك ونقر كالفخار، يعني من يُبسه وإن لم يكن مطبوخا، كالذي قد طُبخ بالنار، فهو يصلصل كما يصلصل الفخار، والفخار: هو الذي قد طُبخ من الطين بالنار. وعن ابن عباس، (مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) قال: الطين إذا مطرت السماء فيبست الأرض كأنه خزف رقاق (الطبري).

الفلك والجواري

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ [الشورى: ٣٢] أي السفن الجارية في البحر كأنها الجبال او العلامات، والأعلام جمع علم وهو الشيء المميز المعروف بنفسه. وقال تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجاثية: ١٢] وهي السفن وما شابهها من المراكب واليخوت وغيرها.



القلائد

قال تعالى: ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ﴾ [المائدة: ٩٧] والقلائد: جمع قلادة وهي ما يوضع في العنق من الرقى وغيرها لمنع الحسد والعين وقد كان الرجل في الجاهلية إذا خرج من بيته يريد الحج، تقلَّد من السَّمُر، فلم يعرض له أحد. فإذا رجع تقلَّد قِلادة شَعَر، فلم يعرض له أحد. وروى الطبري عن السدي، قوله: إن العرب كانوا يتقلدون من لحاء شجر مكة، فيقيم الرجل بمكانه، حتى إذا انقضت الأشهر الحرم، فأراد أن يرجع إلى أهله، قلَّد نفسه وناقته من لحاء الشجر، فيأمن حتى يأتي أهله. والقلادة ايضا العقد الذي تضعه المراة في عنقها للزينة.

القسطاس والميزان

القسطاس: أعدل الموازين وأَقومُها، وهو ميزان العدل أيَّ ميزان كان من موازين الدراهم وغيرها؛ وكانوا يوزنون به كل ثمين كالذهب والفضة. قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٥] والميزان معروف توزن به الأشياء ليعدل بعضها بعضا أي يساويه، ويسمى: العدل، نقول: وازن الشيء الشيء إذا عادله وقابله، قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: ٩] (لسان العرب).

المائدة

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[المائدة: ١١٢] والمائدة، الخوان الذي يوضع عليه الطعام عند الأكل. فهو خوان ان لم يكن عليه طعام، فاذا وضع عليه الطعام فهو مائدة.



المتكأ

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ [يوسف: ٣١] والمتكأ هو ما يوضع من الفرش وما عليه من الوسائد والمساند وغيرها مما يتكأ عليه.

المساكن والبيوت

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ [النحل: ٨٠] والمقصود بالبيوت في قوله تعالى (من بيوتكم سكنا) بيوت المدر والحجر وفي قوله تعالى (من جلود الأنعام بيوتا) هنا بيوت الشعر التي يستخدمها البدو للسكن.

المصباح والمشكاة والزجاجة

قال تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ [النور: ٣٥] والمشكاة هي كوة البيت التي لا منفذ لها، والمصباح السراج، والزجاجة معروفة، يوضع فيها المصباح لمنع تلاعب الريح به. والكوكب الدري هو المضيء شديد اللمعان.

المهد

قال تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٦] والمهد هو سرير الرضيع.

القسم العاشر

الأسلحة

ذكرت الاسلحة في القران الكريم للدلالة على انواع السلاح كافة، اذ هي تشمل كل ما يستعمل في الحرب ويعين على القتال، قال تعالى: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [النساء: ١٠٢]، ومن انواع السلاح الذي اشار اليه القران دون ان يصرح باسمه، السيف، قال تعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ [الأنفال: ١٢]، ومعلوم ان هذا النوع من القتل، اي ضرب الاعنلق وقطع الايدي وغيرها من اجزاء الجسم يكون عادة بالسيف دون غيره من الاسلحة.

الأغلال والاصفاد والوثاق

والغُلّ: القيد يوضع في العُنق أَو اليد، والجمع أغلال؛ يقال: في رقبته غُلّ من حديد، وقد غُلّ بالغُلّ الجامِعة (القيد) يُغَلّ بها، فهو مَغْلول. قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ﴾ [يس: ٨] والأغلال في الآية هي الجَوامِع (القيود) تجمَع أَيديهم إِلى أَعناقهم. والصِّفادُ: حَبْلٌ يُوثَقُ به أَو غُلٌّ، وهو الصَّفْد والصَّفَدُ، والجمع أصفاد، قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾[إبراهيم: ٤٩]، قيل: هي الأَغلال، وقيل: القيود، يقال: صَفَدْتُه بالحديد وفي الحديد؛ وقيل: الصَّفَد القيد، وقال الجوهري: الصِّفادُ ما يُوثَقُ به الأَسير من قِدٍّ

وقَيْدٍ وغُلٍّ. والوثاق: هو حبل أو قَيْد يُشدّ به الأسير والدابة. وأَوْثقهُ في الوثاق أي شده، بمعنى ربطه واحكم ربطه. قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا﴾ [محمد: ٤] (الباحث: لسان العرب). والأغلال، والأصفاد، والوثاق، كلها تدل على معنى واحد وهو القيود.

الحجارة

قال تعالى: ﴿تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾[الفيل: ٤] ومن المعروف أن الناس قديما كانت تستعمل الحجارة كأسلحة في الحروب ترمي بها العدو باليد أو المقلاع أو المنجنيق.

الدروع

قال تعالى: ﴿أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[سبأ: ١١] وقوله (أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ) يقول: وعهدنا إليه أن اعمل سابغات: وهي التوامُّ الكوامل من الدروع. والدروع معروفة بأشكالها وأنواعها المختلفة، منها ما يلبس غطاء للراس ويسمى الخوذة او البيضة، ومن الدروع ما يلبس فوق الجزء الاعلى من الجسم ويكون من الزرد المسلسل، ومنها ما يحمل باليد ويسمى الترس.

السلاسل

السَّلْسَلَة: اتّصال الشيء بالشيء، وبذلك سُمّيت سِلسلة الحديد، لان حلقات الحديد يشد بعضها إلى بعض فتصبح سلسلة، والجمع سلاسل، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤].

الرمح

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [المائدة: ٩٤] والرماح واحدها رمح وهو عصا طويلة مستدقة في رأسها حديدة مدببة.

السكين

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّ﴾[يوسف: ٣١] والسكين أداة للقطع تستعمل في البيوت والمطابخ لتقطيع الطعام وغيره. لها أشكال مختلفة، منها الكبير ومنها الصغير، كالخنجر والساطور، كانت قديما تستعمل كسلاح في الحروب.

القوس

قال تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ [النجم: ٩] والقوس من أسلحة الحرب القديمة، وهي عصا يشد إليها وتر مرن، يسهل انطلاق السهم أو النبل منها.

القسم الحادي عشر

الألوان في القرآن الكريم

ورد ذكر الألوان في القران الكريم صريحا في بعض المواضع كالأبيض والأسود، وفي مواضع أخرى ورد تلميحا، يستدل عليه من السياق كما في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[الرحمن: ١٥] قال الطبري: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: (مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ)، قال: اللهب الأصفر والأخضر، الذي يعلو النار إذا أوقدت. وكقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾[يونس: ٢٤] قال الطبري: حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس قوله: (إنما مَثَل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض)، قال: اختلط فنبت بالماء كل لون مما يأكل الناس، كالحنطة والشعير وسائر حبوب الأرض والبقول والثمار، وما يأكله الأنعام والبهائم من الحشيش والمراعي. قلت: ومن المعروف أن للنباتات، وللكائنات بعامة، ألوان كثيرة لا تعد. وردت الإشارة إليها مجملة، قال تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ﴾ [النحل: ١٣] وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ

﴿ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨] ومن الألوان التي ورد ذكرها صريحا:

الأبيض

قال تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾[البقرة: ١٨٧] قال ابن كثير: وقال الإمام أحمد: حدثنا هُشَيم، أخبرنا حُصَين، عن الشعبي، أخبرني عَديّ بن حاتم قال: لما نزلت هذه الآية: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ) عَمَدت إلى عقالين، أحدُهما أسود والآخر أبيض، قال: فجعلتهما تحت وسادتي، قال: فجعلت أنظر إليهما فلا تَبَيَّن لي الأسود من الأبيض، ولا الأبيض من الأسود، فلما أصبحت غدوت على رسول الله ﷺ فأخبرته بالذي صنعت. فقال: «إنّ وسادك إذًا لعريض، إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل». أخرجه ـ الشيخان البخاري ومسلم ـ في الصحيحين من غير وجه، عن عَديّ. ومعنى قوله: «إن وسادك إذًا لعريض» أي: إن كان يسعُ لوضع الخيط الأسود والخيط الأبيض المرادين من هذه الآية تحتها، فإنهما بياض النهار وسواد الليل. فيقتضي أن يكون بعرض المشرق والمغرب. وقال تعالى: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٨] روى الطبري بسنده، عن ابن عباس، قوله: «بيضاء للناظرين»، يقول: من غير برص. وقال تعالى في صفة خمر الآخرة: ﴿ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [الصافات: ٤٦] قال ابن كثير: قال مالك، عن زيد بن أسلم: خمر جارية بيضاء، أي: لونها مشرق حسن بهي لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الرديء، من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة، إلى غير ذلك مما ينفر الطبع السليم. (التفاسير).

الأحوى

قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾ [الأعلى: ٥] قال الطبري: الحُوَّة، وهي السواد من بعد البياض أو الخضْرة، من شدّة اليبس. قال: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: (غُثَاءً أَحْوَى) قال: غثاء السيل أحوى، قال: أسود.

الأحمر

قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٌ وَحُمۡرٌ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

الحور ومنه الحوراء

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾[الدخان: ٥٤] قال الطبري: الحُور إنما هو جمع حوراء، كالحمر جمع حمراء، والسود: جمع سوداء، والحوراء إنما هي فعلاء من الحور وهو نقاء البياض، كما قيل للنقيّ البياض من الطعام الحُوَّارِيُّ. وقال: والحُور: جمع حَوْراء، وهي الشديدة بياض مقلة العين في شدة سواد الحدقة. وقال: حدثنا ابن حُميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، الحور: سواد في بياض.

الأخضر

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ

عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾[يوسف: ٤٣] وقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ [الكهف: ٣١].

الأدهم

قال تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢-٦٥] وقيل في معنى الأدهم الأسود أو الأسمر أو الأخضر القريب إلى السواد. قال ابن كثير: قال ابن عباس في قوله: (مُدْهَامَّتَان) قد اسودتا من الخضرة، من شدة الري من الماء. وقال محمد بن كعب: (مُدْهَامَّتَان): ممتلئتان من الخضرة. وقال قتادة: خضراوان من الري ناعمتان. ولا شك في نضارة الأغصان على الأشجار المشبكة بعضها في بعض.

الأزرق

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [طه: ١٠٢] قال الطبري: وقوله ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ يقول تعالى ذكره: ونسوق أهل الكفر بالله يومئذ إلى موقف القيامة زرقا، فقيل: عنى بالزرق في هذا الموضع: ما يظهر في أعينهم من شدة العطش الذي يكون بهم عند الحشر لرأي العين من الزرق، وقيل: أريد بذلك أنهم يحشرون عميا، كالذي قال الله (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا). وقال ابن كثير: وقوله: (وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) قيل: معناه زُرْق العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال. وقال البغوي: (يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) والزرقة: هي الخضرة: في سواد العين، فيحشرون زرق العيون سود الوجوه. وقيل:

(زُرْقًا) أي عميا. وقيل: عطاشا. وقال السعدي: والمجرمون يحشرون زرقا ألوانهم من الخوف والقلق والعطش.

الأسود

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧] قال ابن كثير: قال عكرمة: الغرابيب: الجبال الطوال السود. وكذا قال أبو مالك، وعطاء الخراساني وقتادة. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزُمَر: ٦٠] جاء في التفاسير: يوم القيامة تسود وجوه الكافرين المتكبرين المكذبين من الخزي والهوان. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الزُّخرُف: ١٧] أي: إذا بشر أحد هؤلاء بما جعلوه لله من البنات يأنف من ذلك غاية الأنفة، وتعلوه كآبة من سوء ما بشر به، ويتوارى من القوم من خجله من ذلك.

الأصفر

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩] وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾ [الروم: ٥١] قال الطبري: يقول تعالى ذكره: ولئن أرسلنا ريحا مفسدة ما أنبته الغيث الذي أنزلناه من السماء، فرأى هؤلاء الذين أصابهم الله بذلك الغيث الذي حييت به أرضوهم، وأعشبت ونبتت به زروعهم،

ما أنبتته أرضوهم بذلك الغيث من الزرع مصفرّا، قد فسد بتلك الريح التي أرسلناها، فصار من بعد خضرته مصفرا، لظلوا من بعد استبشارهم، وفرحتهم به يكفرون بربهم. وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات: ٣٢-٣٣] قال الطبري: وقوله: (جِمَالاتٌ صُفْرٌ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: كأن الشرر الذي ترمي به جهنم كالقصر جِمالات سود: أي أينق سود؛ (والاينق: جمع نوق) وقالوا: الصفر في هذا الموضع، بمعنى السود قالوا: وإنما قيل لها صفر وهي سود، لأن ألوان الإبل سود تضرب إلى الصفرة، ولذلك قيل لها صُفْر، كما سميت الظباء أدما، لما يعلوها في بياضها من الظلمة.

تم باب الكائنات بحمد الله

مراجع الباب الثاني

- موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: **www. qurancomplex. Com**.
مصحف المدينة المنورة ـ خدمات حاسوبية للقران الكريم وعلومه، ويحوي إضافة إلى المصحف الشريف، تفسير ابن كثير، تفسير الطبري، تفسير السعدي، تفسير البغوي، التفسير الميسر .
- مصحف المدينة المنورة للنشر الحاسوبي.
- موقع الباحث: **www. baheth. info/all. jspterm** (لسان العرب) (القاموس المحيط) (القواميس) (الصحاح في اللغة) (مقاييس اللغة).
- موقع: **www. al-eman. com** نداء الإيمان: الكتب.
- كتاب: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (تفسير).
- كتاب: مسند أحمد: أحمد بن محمد بن حنبل.
- كتاب: سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني.
- كتاب: الحاوي في تفسير القرآن الكريم: عبد الرحمن بن محمد القماش.
- كتاب: سنن النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن علي النسائي.
- كتاب: سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد بن ماجه.
- كتاب: صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري.
- كتاب: صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري.
- موقع: **ahlalhdeeth. com**: نقلا من كتاب مقدمة ابن خلدون ٢٣/ ١٢/ ٢٠١١، نصاب الزكاة / مقدار الدينار والدرهم.
- موقع: **ahlalhdeeth. com** المقادير الشرعية في العصر الحاضر ٢٠١١/١٢/٢٥ .



- موقع: binbaz. org. sa٢٤/١٢/٢٠١١ نور على الدرب.
- موقع: ahlalhdeeth. com٢٣/١٢/٢٠١١ القرضاوي في كتابه فقه الزكاة ١/٢٥٣.
- كتاب: تفسير القرطبي: محمد بن احمد القرطبي.

الفهرس

